المملكة العربية السعودية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها
الدراسات اللغوية والنحوية

الظَّوَاهِرُ اللُّغَوِيَّةُ
في مرثيَّات حسَّان بن ثابتٍ ﷺ للنَّبيِّ ﷺ

رسالة مقدَّمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

إعداد

الطالبة: مريم بنت غَمْضَان بن علي جَلِيّ

تخصُّص الدراسات اللغوية والنحوية

إشراف

الدكتور: حمادة عبد الإله حامد

(أستاذ النحو والصرف والعروض المساعد بالقسم)

السنة الجامعية

(١٤٤٠هـ – ٢٠١٩م)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين، وعليه نتوكّل.

"إني رأيت أنه لا يكتب أحدٌ كتابًا في يومه؛ إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل. وهذا أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

القاضي الفاضل: عبد الرحيم البيساني
(كشف الظنون لحاجي خليفة، ١/١٤)

شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ

الحمد الله أولاً وآخرًا، الذي منَّ عليَّ من فضله وبركاته وتوفيقه ما أتممت به هذه الرسالة، ولطالما لجأت إليه في النائبات فلم يردّني، ولطالما طرقت بابه في الشدائد فكان لي نعم المعين، سبحانه وتعالى لا إله إلا هو نعم المولى ونعم النصير.

وبعد حمد الله وشكره، أتقدّم بوافر الشكر وعظيم الامتنان وجزيل التقدير لأستاذي الفاضل، وشيخي الجليل، الأستاذ الدكتور/ حمادة عبد الإله، الذي لم يتوان لحظة واحدة في تنبيهي وإرشادي، حيث كانت توجيهاته البناءة مشاعل من نور أهتدي بها وسط بحر العلم الواسع ، ولولا فضل الله – ثم اهتمامه – ما كانت هذه الدراسة لترى النور، فقد فتّق أكمام العلم، واستخرج أروع ما فيه من طيوب، ببيان مشرق، ووضاءة فكر، إذ طفقت أنهل من معينه الثرّ الصافي، وأخذت العلم عنه رطبًا ثريًا، مترعًا بالبر والتقوى، وكان كنز مثل، وبحر عطاء، فجزاه الله عني خير ما يجزي معلمًا عن طالبه، وبارك له في دينه، وعلمه، وصحته، وأعلى في الأنام قدره، وزاده نورا على نور.

كما أتقدم بعظيم الشكر والامتنان لعضوي لجنة المناقشة الموقّرة، وأشكر لهما تجشّم عناء قراءة الرّسالة وتفحّصها وتصويب أخطائها، حتى يثرياها بتوجيهاتهما البناءة، واقتراحاتهما السديدة، ولا شك أنني سأفيد من ملاحظاتهم القيّمة، وتصويباتهم الدقيقة؛ لكي يخرج هذا العمل في صورة مُرضِية بإذن الله .

وأتمنى أن تحظى هذه الرسالة بالقبول، ونفعني الله بعلمهم، وجزاهم الله عني خير الجزاء.

كما لا أنسى أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى كل من أسهم في إنجاز هذه الرسالة، وكان له يد فيها.

الباحثة: مريم غَضْبَان جلي.

الإهداء

إلى والدِي الكريم، مثلي الأعلى في هذه الحياة، الذي ما زال يقوّم سلوكي حتى اشتد عودي، حفظه الله ورعاه.

إلى أمي العزيزة الغالية التي طالما حثتني على المثابرة ، ولم تقطع عني دعواتها الطيّبة، التي ما فتئت تتساقط عليّ قطرات ندية، فجزاها الله عني خير الجزاء.

إلى زوجي الغالي الذي مدّ لي يد العون والمساعدة، ووقف إلى جانبي مشجعًا ومؤازرًا لإنجاز هذه الدراسة، وذلّل لي العقبات التي تقف في طريقي.

إلى أبنائي البررة فلذات كبدي الأعزاء.

إلى إخوتي وأخواتي وأولادهم.

أهدي هذا البحث

مريم

مُلخَّص البحث

تدور هذه الدراسة في فلك الظواهر اللغوية في مرثيَّات حسَّان بن ثابت ﷺ، وأثرها في الدلالة، وقد اسْتُهِلت الدراسة بمقدِّمة، ضمَّت تعريفا بالدراسة ومنهجها والدراسات السابقةَ لها، وأهدافها المتوخّاة، ومنها: استشفاف ما بداخل النصوص الأدبيَّة من براعة لغويَّة، ثم تمهيدٍ يتحدث عن حسَّان بن ثابت – رضي الله عنه– ومرثيَّاته.

وقُسِّمت الدراسةُ إلى ثلاثة فصول: تضمَّن الفصل الأول منها الظواهر الصوتية في المرثيَّات، وحوى مبحثين، أوّلهما: الصوامت والصوائت ودلالاتهما، وثانيهما: المقاطع والنبر ودلالاتهما، وفي الفصل الثاني مبحثان، منضويان تحت عنوان: الظواهر الصرفية ودلالاتها في المرثيَّات، وهما: الأوّل: أبنية الأفعال ودلالاتها، والثاني: أبنية الأسماء ودلالاتها، أما الفصل الثالث؛ فقد كان عنوانه: الظواهر التركيبية والدلالية في المرثيَّات، وقسَّمته إلى ثلاثة مباحث، الأوّل منها: أنماط الجملة ودلالاتها، والثاني: التركيب الإنشائي، و الثالث الظواهر الدلالية في المرثيَّات، ثم أعقبت تلك الفصول بخاتمة، وفيها أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج وتوصيَات، كان أبرزها: تآزر الظواهر اللغوية الصوتية والصرفية والتركيبيّة والدلاليّة، ومساهمتها في بناء نص باذخ شامخ محكم النسج سلس العبارة قوي العاطفة، بمنأى عن معاضلة المعنى وتأبيده، ثم كانت النهاية بثَبَت لمصادر الدراسة ومراجعها.

المقدمة

الحمد لله المذكور بكلِّ لسان، المحمود في كل زمان ومكان، وصلاة وسلامًا على أفصح من نطق بالضاد طُرًّا، الذي سمح له البيان الأبيّ، ودانت له قطوف البلاغة، وعصيّات الكَلِم، الخاتمِ لما سبق، والفاتح لما أغلق، وعلى آله وأصحابه والتابعين بإحسان إلى يوم يبعثون.

أما بعد،

فإن انشغال المرء بلغته أمر متوجَّب عليه؛ فهي وسيلة تعلُّمه وتعليمه، وأداة تثقيفه وتفهيمه، منه نبتت وعليه سيطرت، وهو مالك لها ومملوك، ومن حقّ لغتنا العربية علينا جميعًا أن نُحْيِيَها، وذلك بدراسة نصوصها القرآنية بدءًا، ودواوينها الشعرية الماتعة منتهىً، وبإعادة قراءتها وسَبْر غورها، واستخراج لآلئها المنثورة فيها، وجواهرها الكامنة بين تضاعيف سطورها، وإنّ من يحاول إقامة الدليل على فضل اللغة في فَهم التراكيب الشعرية، واستكناه جمالها، كان كمن يتكلّفه على إشراق الشمس وضياء النهار:

فما لِنظمِ كلامٍ أنت ناظِمُه ... معنًى سوى حكْم إعرابٍ تزجِّيه[1]

ولكي يتسنّى لنا ذلك على أكمل وجه وأتمّ دراية، ينبغي علينا دراستها دراسة لغويّة تتكئ على مستوياتها الأربعة المألوفة: الصوتيّ والصرفيّ والتركيبيّ والدلاليّ، وهو ما تهدَّيتُ إليه في دراسة مرثيَّات حسَّان بن ثابت ﷺ للنبيّ ﷺ؛ فقد تناولت أبيات المرثيَّات من جميع جوانبها اللغويّة، و رُمْت استنطاقَها فآنست دلالاتٍ ثرَّةً، مخبّأةً في مناكب العبارات، وطيَّات التراكيب، وقد كان انتخابي لتلك المرثيَّات دون غيرها، كونها في رثاء النبيّ ﷺ، كما أنها تتَّسم بصدق العاطفة، وروعة الديباجة، وحسن المعنى، في لغة صافية كالحقّ، منزَّهةٍ عن الرَيْب كالواقع، وكأنها الرحيق، مزاجها التسنيم، ولمَ لا؟ وقد صدرت على لسان صحابيّ جليل، لا يُشقُّ لكلامه غبار، مسلوكٍ في عداد الشعراء المجيدين، تحسبه كأنما انصرف لساعته من سوق عكاظ؛ لبيان لهجته وقوة عارضته.

إنّ ثمَّة علاقةً طبعيَّة[2] بين الدالّ ومدلوله، وهذه العلاقة قد أقرَّها علماؤنا العرب قديمًا؛ حيث أشار سيبويه (ت:١٨٠هـ) إلى وجود علاقة وكيدة بين الصِّيغة ودلالتها في قوله: "قد جاؤوا بالفَعَلانِ في أشياء تقاربت. وذلك: الطَّوَفَان والدَّوران والجَولان، شبَّهوا هذا حيث كان تقلبًا وتصرفًا بالغَلَيَان والغَثَيَان؛ لأن الغَلَيَان – أيضًا- تقلُّب ما في القِدْرِ وتصرُّفه"[3] .

---

(١) البيت على بحر البسيط، في دلائل الإعجاز للجرجاني، ص: ١٠.

(٢) وهذا هو والقياس، وربما قلت طبيعية وهذا من كلام المحدثين، يُحفظ ولا يُقاس عليه، ينظر في ذلك: أخطاء اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر، ص:٦٧.

(٣)الكتاب لسيبويه، ٤/ ١٤.

وقد سار على سَنَنِه واتَّبع نُهجته في ذلك من اللغويين ابنُ دُرَيْدُ (ت:٣٢١هـ)؛ حيث أَلَّفَ كتابه الاشتقاق الذي يرتكز على علاقة اللفظ بمدلوله، فعلَّل أسماء الأعلام، والقبائل في جزيرة العرب بِناءً على أفعالها وعاداتها، ورأى أن اسم قبيلة هُذيل[١] مأخوذ من الهَذَل وهو الاضطراب[٢]، أما قضاعة[٣] فمن انقطاع الرجل عن أهله إذا بَعِد عنهم[٤].

وقد وضع ابن فارس (ت:٣٩٥) معجمه مقاييسَ اللّغة، وبذل فيه مجهودًا كبيرًا لاستنباط الوشائج والصّلات بين اللفظ ومدلوله، وقد أزجى لذلك أمثلة منها: أنه ردّ أصل باب القاف والطاء وما يثلِّثهما إلى معنى القطع، ورأى أن " القاف والطاء والعين أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدل على صَرْم وإبانة".[٥]

والتعرُّف على هذه الظواهر التي تشكِّل بِنية النص الأدبي، إنما يكون بالوُلوجِ إلى عالم النَّص غيرِ المرئي، بتفصيله وتحليله والتنقيب فيه.

أسباب اختيار الموضوع :

جاءت هذه الدراسة لتكشف عن الظّواهر اللغويَّة الموجودة في مرثيَّات حسَّان بن ثابت ﷺ ودلالاتِها؛ إذ باتت التحوُّلات اللغويَّة وأشكالُها وتواليها من أهم العوامل التي تشكّل الدَّلالة؛ حيث تتمازج الظواهر اللغويَّة في إطار نظام لغويٍّ خاصٍّ؛ لتشكِّل ألفاظًا ترتبط بسياقها الشعري، تعبر بذلك عن تجرِبة الشاعر، خاصّة أن لكل تجربةٍ سمتها الذي يتناسب وزمنها الشعري، وجوَّها النفسي الذي يتملَّك الشاعر ويسيطر عليه. وغرضَها الذي سيقت فيه.

وقد وقع اختياري على هذا النوع من القصائد؛ ليكون مادة بحثي؛ لما فيها من عمق دلاليٍّ وثروة لغويَّة غزيرة، وذلك بعد مشورة أستاذي الفاضل المشرف على رسالتي، الدكتور: حمادة عبد الإله، فاستعنت بالله وسألتُه التوفيق والسداد، والنُّجح والرواء.

---

(١) قبيلة من قبائل خَندَفَ، من العرب المضريّة تسكن في الحجاز غرب الجزيرة العربيّة، وأقرب القبائل نسبًا إليها قبيلة أسد وكنانة، وديارهم الأم مكة المكرّمة، وقيل عنهم إن القرآن نزل بعدة لهجات منها لهجة هُذيل، ينظر: جمهرة أنساب العرب، ص: ١٩٦، تاريخ دمشق لابن عساكر، ج: ٥١ ص: ٢٦٧- ٣٢٣

(٢) يُنظر: الاشتقاق، ص: ١٧٦.

(٣) يرجع نسبها إلى قضاعة بن مالك بن حِمير، ويرى البعض أن قضاعة يرجع نسبها إلى قضاعة بن معد بن عدنان، قال ذلك ابن الكلبيّ (٢٠٤) في جمهرة نسب العرب ، وابن كثير(ت٧٧٤) في كتابه البداية والنهاية ٢/ ٢٥١، وابن قتيبة (٢٧٦) في كتابه المعارف، وكانت أول أمرها في تهامة، ثم ظعنوا بعد ذلك إلى نجد والحجاز، ينظر في ذلك، جمهرة أنساب العرب (ت: ٤٥٦) ، ص: ١٥٠.

(٤) الاشتقاق ص: ٥٣٦.

(٥) معجم مقاييس اللغة، مادة(ق ط ع)، ج: ٥ ، ص:١٠١.

أما عن أبرز الأسباب؛ فيمكننا زمُّها في النقاط التالية بإجمال:

١. تنمية الجانبِ اللغويِّ والاستفادة من التراكيب والخصائص اللغوية .
٢. حاجتي لهذا الفن من فنون العربية؛ لتعميق المعاني اللغوية في النصوص الأدبية.
٣. العمق الفني والأدبي واللغوي الذي بُنيت عليه مرثيَّات حسَّان بن ثابت رضي الله عنه.
٤. لم يخُص أحد – في حد علمي– مرثيَّات حسَّان بن ثابت بدراسة لغويَّة، رغم مكانتها وأصالة موضوعها.
٥. حاجة الدارسين إلى هذه الدراسات التي تُجلِي الظواهر اللغوية في الشعر العربي.
٦. إثراء المكتبات العامة، والمتخصصة في اللغة من باب أولى، التي تُعنَى بالدراسات الأكاديمية؛ ليكون ذلك هديًا نافعا ونبراسًا كاشفًا، وعملًا مبرورًا، وسعيًا في سبيل اللغة مشكورًا.

منهج الدراسة:

اعتَمَدْتُ على المنهج الوصفيّ، الذي يقوم على التحليل والاستقصاء والمقارنة والإحصاء ما أمكن، في محاولة لسبر أغوار الألفاظ اللغوية في مرثيَّات حسَّان بن ثابت للرسول –صلى الله عليه وسلم– وبيان ما فيها من دلالات.

الدراسات السابقة:

احتلّت الدراسات اللغوية حيزاً واسعاً في المكتبة العربية، كما أنها حظيت باهتمام كبير عند العلماء الغربيين ، لكنّ هذه الدراسات اقتصرت على النظام اللغوي من حيث دراسة مستوياته، ولم تكن هناك دراسة مستقلَّة عُنِيت بما ستُعْنَى به هذه الدراسة، وإن كان شعر حسَّان بن ثابت لم يخلُ من دراسات عديدة، لكن هذه الدراسات لها مشَاربها المختلفة، التي لم تمسّ مرثيَّات حسَّان بالدراسة، رغم ما فيها من عمق المعنى ومتانة التركيب، وجزالة الألفاظ؛ لذلك جاءت دراستنا هذه لتبحث الظواهر اللغوية ودلالاتها في مرثيَّات حسَّان بن ثابت ﷺ، مسلِّطة الضوء على جانب لم يُعنَ به أحد من الباحثين قبل.

ومن تلك الدراسات التي يمكن للبحث الاستعانة بها:

- الهجاء في شعر حسَّان بن ثابت – دراسة أسلوبيّة، الباحث: أ / سالم عبود مبارك غانم، جامعة حضرموت، اليمن، رسالة ماجستير ٢٠٠٨م، وقد عالجت المستوى الأسلوبي في شعر الهجاء لدى حسَّان بن ثابت بمستوياته الدلالية والإيقاعية والتركيبية .
- شعر حسَّان بن ثابت ، معجم و دراسة دلالية ، للباحث محمد فتوح سليمان، كلية الآداب ، جامعة طنطا بمصر، وتهدف تلك الدراسة الأدبية إلى التعرف على البنية الدلالية لشعر حسَّان بن ثابت، من خلال الوقوف على الكلمات في مجالاتها الدلالية، وبيان العلاقات الدلالية بينها، كما تهدف –أيضًا– إلى إعداد معجم لغوى لشعر حسَّان بن ثابت؛ ليكون إسهاما في

مكونات المعجم اللغوي التاريخي للغة العربية .

- ألفاظ الحضارة العربية في ديوان حسَّان بن ثابت رضى الله عنه : دراسة دلالية ، للسيد طلبة محمد عطية، القاهرة ٢٠٠٣م.
- النواسخ في شعر حسَّان بن ثابت، دراسة نحوية وصفية إحصائية تطبيقية للباحث حسن محمد آدم ٢٠٠٤م.
- التحولات الفكرية في شعر حسَّان بن ثابت للدكتور أحمد عبد الرحمن الزنيبات، والدكتور خالد فرحان البداينة . مجلة جامعة دمشق العدد، ٢٠١٣م .
- شعر حسَّان بن ثابت، دراسة نحوية، للكاتب ماهر عبد الله أحمد، عن دار البلاغة العربية.
- البناء والصورة، في الشعر الإسلامي لحسَّان بن ثابت – رضي الله عنه – دراسة بلاغية، لمحسنة بنت عبد الله بن حبيب الحارثي ١٤٣٥هـ ، تناولت فيها بلاغة التركيب من حذف وذكر وفصل ووصل، وبلاغة الصور التشبيهية والمجازية والكنائية .

وكل ما سبق من دراسات لا تتعانق مع دراستي هذه بحال، ولعل في الرجوع إليها فائدة تُرجَّى، وقيمة تضاف.

أهداف البحث:

تتمثل أهداف البحث فيما يلي:

١. الكشف عن مكنونات التكوين الأسلوبي لدى حسان بن ثابت ﷺ وتناولُها بالدرس والتحليل، في ضوء الظواهر اللغوية.
٢. التعريف بالظواهر اللغوية، وما يندرج تحتها من أنواع .
٣. إظهار أنواع الدلالة التي اعتنت بها الدراسة، وعرْضُها في أمثلة تطبيقية مع كل ظاهرة.
٤. الوقوف على أبرز خصائص الصوت اللغوي في المرثيَّات وعرضها على أبرز موضوعات علم الأصوات.
٥. العناية بالجوانب النحوية والصرفية في موضوعات، لها علائق ببِنية الكلمة.
٦. توضيح ما بداخل النص من إبداعات لغوية .
٧. دراسة العلاقة بين الدالّ ومدلوله، في إطار السياق، سابقه ولا حقه.

إجراءات البحث وأدواتُه:

تدور هذه الدراسة حول أهم الظواهر اللغوية في مرثيَّات حسَّان بن ثابت ﷺ، وأثرِها في الدلالة، وقد استُهِلت الدراسة بمقدمة، ضمت تعريفًا بالدراسة وهدفها ومنهجها والدراسات السابقة لها، ثم كان

التمهيد، وفيه نُبذة عن حسَّان، وتعريف بشعره، ثم آصدتُ التمهيد وشفّعته بمتن أبيات المرثيَّات موضعِ الدراسة، وقسّمت الدراسة إلى ثلاثة أقسام :

الفصل الأول: الظواهر الصوتية ودلالاتها في المرثيَّات

وتحته ثلاثة مباحث:

- ❖ المبحث الأول: الأصوات، ودلالاتها.
  - المطلب الأوّل: الصوامت، ودلالاتها.
  - المطلب الثاني: الصوائت، ودلالاتها.
- ❖ المبحث الثاني: المقاطع والنبر، ودلالاتهما
  - المطلب الأول: المقاطع الصوتية، ودلالاتها.
  - المطلب الثاني: النبر، ودلالاته.

الفصل الثاني: الظواهر الصرفية ودلالاتها في المرثيَّات

وتحته مبحثان:

- ❖ المبحث الأول: أبنية الأفعال، ودلالاتها.
  - المطلب الأول: أبنية الأفعال المجردة، ودلالاتها.
  - المطلب الثاني: أبنية الأفعال المزيدة، ودلالاتها.
- ❖ المبحث الثاني: أبنية الأسماء، ودلالاتها
  - المطلب الأول: الأسماء الجامدة، ودلالاتها.
  - المطلب الثالث: أبنية المشتقات، ودلالاتها.
  - المطلب الرابع: العدد ودلالاته.

الفصل الثالث: الظواهر التركيبية والدِّلالية في المرثيَّات

وتحته مبحثان:

- ❖ المبحث الأول : أنماط الجملة، ودلالاتها.
  - المطلب الأول: الجمل المستطيلة.
  - المطلب الثاني: الجمل المنسوخة.
  - المطلب الثالث: الجمل المنفية.
  - المطلب الرابع: الرُّتبة.
  - المطلب الخامس: الحذف.
- ❖ المبحث الثاني: التركيب الإنشائي.

- المطلب الأول: أسلوب الاستفهام.
- المطلب الثاني: أسلوب النداء.

❖ المبحث الثالث: الظواهر الدلالية.

- المطلب الأول: الترادف.
- المطلب الثاني: التقابل الدلالي.

ثم أعقبتُ ذلك بخاتمة، وفيها أهم ما توصَّلت إليه الدراسة من نتائج وتوصيَات، ثم كانت النهاية بثَبَتٍ لمصادر الدراسة ومراجعها، تقفوها فهارس الرسالة، ثم فهرس الموضوعات.

وختامًا، فإن كان من صواب؛ فمن الله، وإن كان من خطأ؛ فمن نفسي، والإنسان محلُّ النسيان، والجواد قد يكبو، والصارم قد ينبو، وجلّ من لا يسهو، ومن ذا الذي تُرْجَى سجاياهُ كُلُّها؟

وإنّي لأدرك مخلصة أن هذه الدراسة ليست أكثر من محاولة لباحثة وضعت أولى خطواتها على درب العلم؛ راغبة أن تستفيد وتتعلم، ومن هنا فإني أحمد سلفًا كلّ من صوَّب خطأ، أو نبَّه إلى هناة، أو قوّم اعوجاجًا، شاكرة إيّاه وافر الشكر وأوفاه، وأختم كلامي بقول سُحَيْم (ت٤٠هـ)[1]:

الحَمْـدُ لله حَمْـدًا لانْقِطَـاعَ لَـهُ ... فَلَـيْسَ إحسَّـانهُ عَنَّـا بِمَقْطُـوعِ[2]

وَعَلَى الله قَصْدُ السَّبِيل.

الباحثة

(١) ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ج:١٥، ص:٧٦.

(٢) ينظر: خزانة الأدب، البغدادي، ج ٢ ،ص: ٩١.

التمهيد

- **ترجمة حسَّان بن ثابت.**
- **مرثيَّات حسَّان بن ثابت ﷺ للرسول ﷺ.**

ترجمة حسَّان بن ثابت

حياته وشعره:

هو حسَّان بن ثابت الأنصاري الخزرجي، يكنى بأبي الوليد، وقيل أبو عبد الرحمن وهو من بني النجَّار أخوال عبد المطلب ابن هاشم جد النبي ﷺ، ولد سنة ستين قبل الهجرة، وعاش مائة وعشرين عامًا، ستون منها في الجاهليّة وستون في الإسلام، وكذلك عاش أبوه وجدُّه وأبو جدِّه، وكان ينشد الشِّعر قبل الإسلام، ويفد على ملوك الغساسنة في الشام يتمدّحهم طالبًا العطاء، وبعد إسلامه اعتُبِر شاعر النبي ﷺ، وقد قال له النبيﷺ يومًا: "اهجُ قريشًا؛ فإنه أشدُّ عليهم من رشقِ النَّبلِ"(١)، فهجاهم حسَّان، وقال له رسول الله ﷺ لقد شَفَيتَ يا حسَّان واشتَفَيتَ، وفضَّل هجاءه على هجاء صاحبيه عبدالله بن رواحة وكعب بن مالك(٢).

فُضِّل حسَّان على الشعراء بثلاثة، كان شاعر الأنصار في الجاهليّة، وشاعر النبيّ في النبوّة، وشاعر اليمانيين في الإسلام، وكان شديد الهجاء، فحل الشّعر، قال عنه المبرّد، في الكامل: "أعرق قوم كانوا في الشعراء آل حسَّان"(٣)، وقال ابن سلّام: "شعراؤها (يقصد المدينة) الفحول خمسة، ثلاثة من الخزرج واثنان من الأوس، فمن الخزرج من بني النّجار حسَّان بن ثابت"(٤).

ويرى أكثر علماء النقد أن شعر حسَّان في الجّاهلية أقوى منه في الإسلام، كما ذكر الأصمعي، "وقد قيل لحسَّان: إن شعرك لان في الإسلام يا أبا الحسام، فقال للقائل: يا ابن أخي إن الإسلام يحجز عن الكذب أو يمنع من الكذب، وإن الشّعر يزيّنه الكذب"(٥)، يعني أن شأن التجويد في الشعر الإفراط في الوصف، والتزيين بغير الحق، وذلك كله كذب، والحقّ فيما يتبدّى للباحثة بعد مطالعتها مرثيّات حسَّان، أن شعره في الإسلام وإن كان قد خَفَتَ التصوير فيه، إلا أنه اتَّكأ على وسائل أخرى من ألوان البيان، فجاء شعره محكمَ النسج صادقَ العاطفة، كما اكتسب رقّة في التعبير، بعد أن عمَّر الإيمان قلبَه، وظَهَر فيه ملامح التأثُّر بالقرآن الكريم والحديث الشريف، وقد عَدَّ ابن خَلدُون شعره أعلى كعبًا من فحول شعراء في الجاهلية أمثال النابغة وعنترة وزهير، وأعلى من كلام الجاهلية في منثورهم ومحاوراتهم.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، باب فضائل الصحابة، ج: ١٦، ص: ٤٨.

(٢) ينظر: ترجمة حسَّان في المراجع الآتية، طبقات الشعر والشعراء، لابن قتيبة ج:١ ،ص: ١٠٩، مقدمة ابن خلدون، ج: ٤، ص: ١٠٩، الأعلام للزِّرِكْلي ج: ٢، ص: ١٧٥.

(٣) الكامل، المبرد، ج:١، ص:١٧٧، أُسْد الغابة لابن الأثير، ص: ٢٦٨، الأعلام للزِّرِكْلي ج: ٢، ص: ١٧٥.

(٤) طبقات فحول الشعراء، ج:١، ص:٢١٥.معرفة الصحابة لأبي نُعيم،ج:٢،ص: ٨٤٥،

(٥) تاريخ دمشق، لابن عساكر، ج: ١٢، ص: ٣٩٣.

توفي حسَّان بن ثابت في المدينة ما بين عامي خمس وثلاثين وأربعين للهجرة[1].

وترك ديوانا ضُمَّ فيه شعره في مجلدٍ واحد، كانت منه هذه المرثيَّاتُ موضع الدراسة، وقد وصلت ما يناهز اثنين وثمانين بيتًا، موضونة وموزّعة على قصائد ست، أقلها بيت يتيمٌ ونُتفة، ويجدر بنا قبل أن نَدلِف إلى فصول البحث وأروقته أن نُصدِّره بمرثيَّات حسَّان مرتبة على حسب ورودها في ديوانه[2] كما يلي:

مرثيَّات حسَّان بن ثابت لرسول الله ﷺ

المرثية الأولى: قال حسَّان ﷺ يرثي النبي ﷺ: (من الطويل الثاني)[3]

بِطَيْبَـةَ رَسْـــمٌ لِلرَّسُـــولِ وَمَعْهَـــدُ ... مُنِيرٌ، وَقَـــدْ تَعْفُـو الرُّسُـومُ وَتَهْمُدُ

وَلَا تَنْمَحِي الْآيَاتُ مِـنْ دَارِ حُرْمَـــةٍ ... بِهَا مِنْبَـرُ الْهَادِي الَّـذِي كَانَ يَصْعَدُ

وَوَاضِـــحُ آيَـاتٍ، وَبَـاقِـــي مَعَـالِمٍ ... وَرَبْـعٌ لَـهُ فِيـهِ مُصَلًّـى وَمَسْجِـــــدُ

بِهَا حُجُـرَاتٌ كَـانَ يَنْزِلُ وَسْطَهَـــا ... مِـنَ اللهِ نُـورٌ يُسْـتَضَـاءُ، وَيُوْقَـــدُ

مَعَـالِمُ لَـمْ تُطْـمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيُهَا ... أَتَاهَا البِلَى، فَالْآيُ مِـنْهَـا تَجَـــدَّدُ

عَرَفْـتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُـولِ وَعَهْـــدَهُ ... وَقَبْـــرًا بِهِ وَارَاهُ فِـي التُّرْبِ مُلْحِـدُ

ظَلِلْتُ بِهَا أَبْكِي الرَّسُولَ، فَأَسْعَدَتْ ... عُيُـونٌ، وَمِثْـلَاهَا مِـنَ الجَفْنِ تُسْعِدُ

تَذَكَّـــرُ آلَاءَ الرَّسُـــولِ، وَمَـــا أَرَى ... لَهَـــا مُحْصِيًا نَفْـسِي، فَنَفْسِي تَبَلَّدُ

مُفَجَّعَـــةٌ قَدْ شَـفَّهَـا فَقْدُ أَحْمَـدِ ... فَظَلَّـــتْ لِآلَاءِ الرَّسُـــولِ تُعَـــدِّدُ

وَمَـا بَلَغَـتْ مِنْ كُـــلِّ أَمْـــرٍ عَشِيرَةُ ... وَلكِنَّ نَفْسِي بَعْـضَ مَا فِيـهِ تَحْمَدُ

أَطَالَتْ وُقُوفًا تَـذْرِفُ الْعَيْنُ جُهْـدَهَا ... عَلَى طَلَلِ الْقَبْـرِ الَّـــذِي فِيـهِ أَحْمَـدُ

---

(١) فحول الشعراء، لابن سلام (ت:٢٣٢هـ)، ج:١،ص:٢١٥،

(٢) اعتمدت الباحثة شرح ديوان حسَّان بن ثابت للبرقوقي، مراجعة: يوسف البقاعي، نشر: دار الكتاب العربي، ط:١.

(٣) الديوان: ص: ٩١- ٩٥.

فَبُورِكْتَ، يَا قَبْرَ الرَّسُولِ، وَبُورِكَتْ ... بِلَادٌ ثَوَى فِيهَا الرَّشِيدُ المُسَدَّدُ

وَبُورِكَ لَحْدٌ مِنْكَ ضُمِّنَ طَيِّبًا ... عَلَيْهِ بِنَاءٌ مِنْ صَفِيحٍ، مُنَضَّدُ

تُهِيلُ عَلَيْهِ التُّرْبَ أَيْدٍ وَأَعْيُنٌ ... عَلَيْهِ، وَقَدْ غَارَتْ بِذَلِكَ أَسْعُدُ

لَقَدْ غَيَّبُوا حِلْمًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً ... عَشِيَّةَ عَلَّوْهُ الثَّرَى، لَا يُوَسَّدُ

وَرَاحُوا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ نَبِيُّهُمْ ... وَقَدْ وَهَنَتْ مِنْهُمْ ظُهُورٌ، وَأَعْضُدُ

يُبَكُّونَ مَن تَبْكِي السَّمَاوَاتُ يَوْمَهُ ... وَمَنْ قَدْ بَكَتْهُ الْأَرْضُ فَالنَّاسُ أَكْمَدُ

وَهَلْ عَدَلَتْ يَوْمًا رَزِيَّةُ هَالِكٍ ... رَزِيَّةَ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدُ

تَقَطَّعَ فِيهِ مَنْزِلُ الوَحْيِ عَنهُمُ ... وَقَدْ كَانَ ذَا نُورٍ، يَغُورُ وَيُنْجِدُ

يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يَقْتَدِي بِهِ ... وَيُنْقِذُ مِنْ هَوْلِ الخَزَايَا وَيُرْشِدُ

إِمَامٌ لَهُمْ يَهْدِيهِمُ الحَقَّ جَاهِدًا ... مُعَلِّمُ صِدْقٍ، إِنْ يُطِيعُوهُ يَسْعَدُوا

عَفُوٌّ عَنِ الزَّلّاتِ، يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ ... وَإِنْ يُحْسِنُوا، فَاللهُ بِالْخَيْرِ أَجْوَدُ

وَإِنْ نَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقُومُوا بِحَمْدِهِ ... فَمِنْ عِنْدِهِ تَيْسِيرُ مَا يَتَشَدَّدُ

فَبَيْنَا هُمُ فِي نِعْمَةِ اللهِ بَيْنَهُمْ ... دَلِيلٌ بِهِ نَهْجُ الطَّرِيقَةِ يُقْصَدُ

عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَحِيدُوا عَنِ الْهُدَى ... حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا

عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ، لَا يُثَنِّي جَنَاحَهُ ... إِلَى كَنَفٍ يَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيَمْهِدُ

فَبَيْنَا هُمُ فِي ذَلِكَ النُّورِ، إِذْ غَدَا ... إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقصِدُ

فَأَصْبَحَ مَحْمُودًا إِلَى اللهِ رَاجِعًا ... يُبَكِّيهِ جَفْنُ الْمُرْسَلَاتِ وَيَحْمَدُ

وَأَمْسَتْ بِلَادُ الْحَرْمِ وَحْشًا بِقَاعُهَا ... لِغَيْبَةِ مَا كَانَتْ مِنَ الْوَحْيِ تَعْهَدُ

قِفَارًا سِوَى مَعْمُورَةِ اللَّحْدِ ضَافَهَا ... فَقِيدٌ، يُبَكِّيهِ بَلَاطٌ وغَرْقَدُ

وَمَسْجِدُهُ، فَالْمُوْحِشَاتُ لِفَقْدِهِ ... خَلَاءٌ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ

وَبِـالْجَمْرَةِ الْكُبْـرَى لَـهُ ثَـمّ أَوْحَشَـتْ ... دِيَـارٌ، وَعَرْصَـاتٌ، وَرَبْـعٌ، وَمَوْلِـدُ

فَبَكِّـي رَسُـولَ الله يَـا عَيْـنُ عَبْـرَةً ... وَلَا أَعْرِفَنْـكِ الـدَّهْرَ دَمْعَـكِ يَجْمَـدُ

وَمَالَـكِ لَا تَبْكِـينَ ذَا النِّعْمَـةِ الَّتِـي ... عَلَـى النَّـاسِ مِنْهَـا سَـابِغٌ يَتَغَمَّـدُ

فَجُـودِي عَلَيْـهِ بِالـدُّمُوعِ وَأَعْـوِلِي ... لِفَقْـدِ الَّـذِي لَا مِثْلُـهُ الـدَّهْرَ يُوْجَـدُ

وَمَـا فَقَـدَ المَاضُـونَ مِثْـلَ مُحَمَّـدٍ ... وَلَا مِثْلُـهُ، حَتَّـى الْقِيَامَـةِ ، يُفْقَـدُ

أَعَـفَّ وَأَوْفَـى ذِمَّـةً بَعْـدَ ذِمَّـةٍ ... وَأَقْـرَبَ مِنْـهُ نَـائِلاً، لَا يُنَكَّـدُ

وَأَبْـذَلَ مِنْـهُ للطَّرِيـفِ وَتَالِـدٍ ... إِذَا ضَـنَّ مِعْطَـاءٌ بِمَـا كَـانَ يُتْلِـدُ

وَأَكْـرَمَ حَيًّـا فِـي الْبُيُـوتِ، إِذَا انْتَمَـى ... وَأَكْـرَمَ جَـدًّا أَبْطَحِيًّـا يُسَـوَّدُ

وَأَمْنَـعَ ذَرْوَاتٍ، وَأَثْبَـتَ فِـي الْعُلَـى ... دَعَـائِمَ عِـزٍّ شَـاهِقَاتٍ تُشَيَّـدُ

وَأَثْـبَتَ فَرْعًـا فِـي الْفُـرُوعِ وَمَنْبِتًـا ... وَعُودًا غَـدَاةَ الْمُزْنِ، فَالْعُودُ أَغْيَـدُ

رَبَـاهُ وَلِيـدًا، فَاسْـتَتَمَّ تَمَامَـهُ ... عَلَـى أَكْـرَمِ الْخَيْـرَاتِ، رَبٌّ مُمجَّـدُ

تَنَاهَـتْ وَصَـاةُ المُسْـلِمِينَ بِكَفِّـهِ ... فَلَا الْعِلْمُ مَحْبُوسٌ، وَلَا الرَّأْيُ يُفْنَدُ

أَقُـولُ، وَلَا يُلْـفَى لِقَـوْلِيَ عَائِـبٌ ... مِنَ النَّاسِ، إِلَّا عَـازِبُ الْعَقْلِ مُبْعَدُ

وَلَيْـسَ هَـوَائِي نَـازِعًا عَـنْ ثَنَائِـهِ ... لَعَلِّـي بِـهِ فِـي جَنَّـةِ الْخُلْـدِ أَخْلُـدُ

مـعَ الْمُصْـطَفَى أَرْجُـو بِـذَاكَ جِـوَارَهُ ... وَفِي نَيْلِ ذَاكَ الْيَومِ أَسْعَى وأَجْهَـدُ

المرثية الثانية: وقال أيضًا يرثيه ﷺ: (من الكامل الأول)[1]

مَـا بَـالُ عَيْنِـكَ لَا تَنَـامُ كَأَنَّـمَا ... كُحِلَـتْ مَآقِيهَـا بِكُحْـلِ الأَرمَـدِ

جَزَعًـا عَلَـى الْـمَهدِيِّ أَصْـبَحَ ثَاوِيًـا ... يَـا خَيْـرَ مَـنْ وَطِئَ الْحَصَـى لَا تَبعُـدِ

(١) الديوان، ص:٩٥ – ٩٧.

وَجْهِي يَقِيكَ التُّرْبَ لَهْفِيَ لَيْتَنِي ... غُيِّبْتُ قَبْلَكَ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ

بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ شَهِدْتُ وَفَاتَهُ ... فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ النَّبِيِّ الْمُهْتَدِي

فَظَلِلْتُ بَعْدَ وَفَاتِهِ مُتَبَلِّدًا ... مُتَلَدِّدًا يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوْلَدِ

أَأُقِيمُ بَعْدَكَ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ ... يَا لَيْتَنِي صُبِّحْتُ سُمَّ الْأَسْوَدِ

أَوْ حَلَّ أَمْرُ اللَّهِ فِينَا عَاجِلاً ... فِي رَوْحَةٍ مِن يَوْمِنَا أَوْ فِي غَدِ

فَتَقُومُ سَاعَتُنَا فَنَلْقَى طَيِّبًا ... مَحْضًا ضَرَائِبُهُ كَرِيمَ الْمَحْتِدِ

يَا بِكْرَ آمِنَةَ الْمُبَارَكِ بِكْرُهَا ... وَلَدَتْهُ مُحْصَنَةً بِسَعْدِ الْأَسْعُدِ

نُورًا أَضَاءَ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا ... مَنْ يُهْدَ لِلنُّورِ الْمُبَارَكِ يَهتَدِ

يَا رَبِّ فَاجْمَعْنَا مَعًا وَنَبِيَّنَا ... فِي جَنَّةٍ تَثْنِي عُيُونَ الْحُسَّدِ

فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ فَاكْتُبْهَا لَنَا ... يَا ذَا الْجَلَالِ وَذَا الْعُلَا وَالسُّؤْدُدِ

وَاللَّهِ أَسْمَعُ مَا بَقِيتُ بِهَالِكٍ ... إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

يَا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ ... بَعْدَ الْمُغَيَّبِ فِي سَوَاءِ الْمَلْحَدِ

ضَاقَتْ بِالَانْصَارِ الْبِلَادُ فَأَصْبَحَتْ ... سُودًا وُجُوهُهُمُ كَلَوْنِ الإِثْمِدِ

وَلَقَدْ وَلَدْنَاهُ وَفِينَا قَبْرُهُ ... وَفُضُولُ نِعْمَتِهِ بِنَا لَمْ يُجْحَدِ

وَاللَّهُ أَكْرَمَنَا بِهِ وَهَدَى بِهِ ... أَنْصَارَهُ فِي كُلِّ سَاعَةِ مَشْهَدِ

صَلَّى الْإِلَهُ وَمَنْ يَحُفُّ بِعَرْشِهِ ... وَالطَّيِّبُونَ عَلَى الْمُبَارَكِ أَحْمَدِ

المرثية الثالثة: وقال أيضًا يرثيه ﷺ: (من ثاني البسيط)[1]

(١) الديوان، ص: ٩٧.

آلَيْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُجْتَهِدًا ... مِنِّي أَلِيَّةَ بَرٍّ، غَيْرِ إِفْنَادِ

تَاللَّهِ مَا حَمَلَتْ أُنْثَى، وَلَا وَضَعَتْ ... مِثْلَ الرَّسُولِ نَبِيِّ الْأُمَّةِ الْهَادي

وَلَا بَرَا اللَّهُ خَلْقًا مِنْ بَرِيَّتِهِ ... أَوْفَى بِذِمَّةِ جَارٍ، أَوْ بِمِيعَادِ

مِنَ الَّذِي كَانَ فِينَا يُسْتَضَاءُ بِهِ ... مُبَارَكَ الْأَمْرِ ذَا عَدْلٍ وَإِرْشَادِ

مُصَدِّقًا لِلنَّبِيِّينَ الْأُلَى سَلَفُوا ... وَأَبْذَلَ النَّاسِ لِلْمَعْرُوفِ لِلْجَادِي

يَا أَفْضَلَ النَّاسِ، إِنِّي كُنْتُ فِي نَهَرٍ ... أَصْبَحْتُ مِنْهُ كَمِثْلِ الْمُفْرَدِ الصَّادِي

أَمْسَى نِسَاؤُكَ عَطَّلْنَ البُيُوتَ، فَمَا ... يَضْرِبْنَ فَوْقَ قَفَا سِتْرٍ بِأَوْتَادِ

مِثْلَ الرَّوَاهِبِ يَلْبَسْنَ الْمُسُوحَ، وَقَدْ ... أَيْقَنَّ بِالْبُؤْسِ بَعْدَ النِّعْمَةِ الْبَادِي

المرثية الرابعة: وقال يوم دفن النبي ﷺ: (من ثاني البسيط)[1]

أَلَا دَفَنْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ فِي سَفَطٍ ... مِنَ الْأُلُوَّةِ وَالْكَافُورِ مَنْضُودِ

المرثية الخامسة: وقال يرثيه ﷺ: (من البسيط الأول)[2]

نَبِّ الْمَسَاكِينَ أَنَّ الْخَيْرَ فَارَقَهُم ... مَعَ النَّبِيِّ تَوَلَّى عَنْهُمُ سَحَرَا

مَنْ ذَا الَّذِي عِنْدَهُ رَحْلِي وَرَاحِلَتِي ... وَرِزْقُ أَهْلِي إِذَا لَمْ يُؤْنِسُوا الْمَطَرَا

أَمْ مَنْ نُعَاتِبُ لَا نَخْشَى جَنَادِعَه ... إِذَا اللِّسَانُ عَتَا فِي الْقَوْلِ أَوْ عَثَرَا

كَانَ الضِّيَاءَ وَكَانَ النُّورَ نَتْبَعُهُ ... بَعْدَ الْإِلَهِ وَكَانَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَا

فَلَيْتَنَا يَوْمَ وَارَوْهُ بِمَلْحَدِهِ ... وَغَيَّبُوهُ وَأَلْقَوْا فَوْقَهُ الْمَدَرَا

لَمْ يَتْرُكِ اللَّهُ مِنَّا بَعْدَهُ أَحَدًا ... وَلَمْ يُعِشْ بَعْدَهُ أُنْثَى وَلَا ذَكَرَا

---

(١) السابق، ص: ٩٨.

(٢) السابق، ص: ١٣٥

ذَلَّــتْ رِقَــابُ بَنِــي النَّجَّــارِ كُلِّهِــمُ ... وَكَـانَ أَمْـرًا مِـنَ امْـرِ اللَـهِ قَـدْ قُـدِرَا

المرثية السادسة: وقال أيضًا يرثيه عليه الصّلاة والسلام: (من مجزوء الكامل)[1]

كُنْــــتَ السَّـــــوَادَ لِنَـــــاظِرِي ... فَعَمِـــــي عَلَيْـــــكَ النَّـــــاظِرُ

مَـــنْ شَـــاءَ بَعْـــدَكَ فَلْيَمُـــتْ ... فَعَلَيْـــــكَ كُنْـــــتُ أُحَـــــاذِرُ

...

انتهت

(١) الديوان، ص:١٣٥.

الفصل الأول

الظواهر الصوتية ودلالتها في المرثيَّات

❖ **المبحث الأول: الأصوات ودلالتها.**

- **المطلب الأوّل: الصوامت ودلالاتها.**
- **المطلب الثاني: الصوائت ودلالاتها.**

❖ **المبحث الثاني: المقاطع والنبر ودلالاتهما.**

- **المطلب الأول: المقاطع الصوتية ودلالاتها.**
- **المطلب الثاني: النبر ودلالته.**

المبحث الأول

الأصوات ودلالاتها

- **المطلب الأول: الصوامت، ودلالاتها.**
  - الجهر والهمس.
  - الشدَّة والرخاوة.
  - التفخيم والترقيق.
- **المطلب الثاني: الصوائت، ودلالاتها.**
  - الصوائت القصيرة.
  - الصوائت الطويلة.

المطلب الأول

الصوامت ودلالاتها

الأصوات الصامتة هي كل أصوات اللغة العربية ماعدا الحركاتِ منها، والحركات هي الفتحة بنوعيها القصير والطويل، والضمة بنوعيها، والكسرة بنوعيها، وبذلك يكون عدد الصوامت ثمانية وعشرين صوتًا عندما نضيف إليها نصفي الحركة الواو والياء.

وإن يكن ثمة دلالة للأصوات يمكن للدارس أن يستشفها؛ فإنها تكمن في الصفات المميِّزة لتلك الأصوات؛ التي لا يمكن بحالٍ من الأحوال الوصول إلى دلالتها المتوخَّاة بمعزل عنها.

ويشتمل هذا المطلب على أبرز تلك الصفات وهي: الجهر والهمس، ، والشدَّة والرخاوة، والتفخيم والترقيق[١]، وإليك أسوقها تفصيلًا:

الجهر والهمس

الجَهْر لغة: الإعلان والظهور، "وجَهَرَ بالقَوْلِ: رَفَعَ بِهِ صَوْتَه، وهو رَجُلٌ جَهْوَريُّ الصَّوْتِ، وجَهِير الصَّوْتِ، وإجْهَارُ الكَلَامِ إعْلَانُه"،[٢] وجهر الصوت: انحباس جريان النفس عند النطق به؛ لقوة الاعتماد عليه في المخرج[٣]؛ فالصوت المجهور يهتز معه الوتران الصوتيان اهتزازًا منتظمًا، ويُحْدِثان صوتًا موسيقيًا، تختلف درجته حسْب هذه الهزَّات أو الذبذبات في الثانية، كما تختلف شدَّته أو علوُّه حسْب سعة الاهتزازة الواحدة[٤].

الهمس لغة: الخفاء، وهو "الصَّوتُ الخَفِيُّ، وكلُّ خَفِيٍّ"،[٥] وهَمْس الصوت: جريان النفس عند النطق به؛ لضعف الاعتماد عليه في المخرج[٦]؛ وبالتالي لا يهتز معه الوتران الصوتيان، ولا يسمع لهما رنين حين النطق به.[٧]وحروف الهمس جمعها ابن الجزري في قوله:

---

(١) ينظر: نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، تامر سلوم، ص: ٣٦.

(٢) الصحاح للجوهري، ج:٢، ص:٦١٨، المعجم الوسيط، ج:١، ص:١٤٧.

(٣) فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، ص:٥٠.

(٤) الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص:٢٢.

(٥) القاموس المحيط للفيروزآبادي، ص: ٧٥٠.

(٦) ينظر: سر صناعة الإعراب لابن جني، ج:١، ص:٧٥.

(٧) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص:٢٣.

مَهْمُوسُـهَا: فَحَثَّـهُ شَـخْصٌ سَـكَت[1]

وما عداها أصوات الجهر، ويعد الجهر ملمحًا من ملامح القوة في الصوت؛ إذ يلعب دورًا إيجابيا في وضوحه وإظهاره؛ لأن علوَّ الصوت يعتمد على معدّل ذبذبة الوترين الصوتيَّين؛ فكل انغلاق وانفتاح للوترين الصوتيّين في الحنجرة يؤدي إلى ظهور قمة في ضغط الهواء، فمع الصوت المجهور يمتنع النّفس أن يجري فينحصر.

ولا عجب أن سُمِّيت الأصوات المجهورة بهذا الاسم، ونُعِتت به، ألا ترى الناس يقولون: جهر بالأمر أي أعلنه وأظهره، وفي محكم التنزيل: {وَأَسِرُّوا قَـوْلَكُمْ أَوِ اجْهَـرُوا بِـهِ}[2]، ومن ثَمَّ، فقد وافق الاسم مسمَّاه، والدَّال مدلوله، والمثل إلى مثله ساكن. على حين أننا نرى الهمس معكوس ذلك، فهو ملمح ضعف، يجري معه النفس، وبالتالي يفقد الصوت قوته ومُنَّته، فيكون ضعيفًا مَنِينًا خفيًّا، وفي آيات الذكر الحكيم: {وَخَشَعَت الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا} [3]، أي صوتًا خفيًا، ولئن كان للجهر دور في تجلِيَة الصَّوت وقوته؛ فإن للهمس دورًا سلبيًا في ذلك.

أما بالنسبة لورود هذه الأصوات في المرثيَّات فيُلاحظ سيطرة الأصوات المجهورة سيطرة لافتة، لا تخطئها النظرة العَجْلى، مقارنة بالأصوات المهموسة، حيث بلغ عدد الأصوات المجهورة (١٨٤٥) صوتًا، بما نسبته (٧٠.٢%)، في حين كان عدد الأصوات المهموسة (٧٨٣)، بما نسبته (٢٩.٧%)، ولعل من أبرز الأصوات المجهورة في المرثيَّات صوتَا: اللام والميم، وإليك أسوق تفصيلًا لدلالاتهما:

صوت اللام:

حظي صوت اللام في المرثيَّات أعلى نسبة تكرار؛ إذ وَرَدَ (٣١٤) مرة، بنسبة تكرار (١٧%) من بين جميع أصوات المرثيَّات، وهو "صوت جانبي ذو ذبذبة عذبة لطيفة"[4]، يتميز بالوضوح السمعي، وجمال موسيقاه، التي أَثْرَت الأبيات بنغمات ثرّة رقيقة ، وهو يوحي بالثَّبات والتَّماسك؛ بسبب تحفّز أعضاء النطق حال إحداثها، حيث يخرج "من أدنى حافة اللسان إلى منتهى طرفه بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية"[5]، وهو صوت (منحرف)؛ ينحرف اللّسان حين النطق به إلى أحد جانبي الفم، ويتّصل طرفه بأصول الثنايا العليا؛ وبذلك يُحال بين الهواء ومروره من وسط

(١) الحواشي المفحمة في شرح المقدمة، ص:١٢.

(٢) سورة: الملك ، آية :١٣.

(٣) سورة: طه، آية :١٠٨.

(٤) التحليل الصوتي للنص (بعض قصار سور القرآن الكريم أنموذجا)، مهدي عناد أحمد قبها، ص:٩٠.

(٥) شرح ألفية ابن معطي، ابن الخباز، ص: ٥٣٤.

الفم؛ فيتسرب من جانبيه[١]. وقد وصفه حسن عباس بأنه يوحي "بمزيج من الليونة والمرونة والتماسك والالتصاق"[٢]، وفي التّماسك والالتصاق قوّة، تشي بعلو شأو النبي ﷺ وعظم مكانته وجلالة قدره وسمو أخلاقه، وانتفاء من يجاريه.

فمجيء اللام هنا بهذه الكثرة، مع وجود روي (الدال) في القافية، ضاعف الإحساس بالمعنى، فهما صوتان قويان لهما رصيد كبير من الدلالة، ولا يِندُّ ذلك عن ملاحظة الأريب.

بل تبدّى للباحثة أنّ معظم أشعار العرب قديمًا بعد تأمل قوافيها، تنحصر حروف رويها في الحروف الستة المجموعة في كلمتي (بلد مرن)[٣] وفيهما اللام والدال، اللذان لوَّن بهما الشاعرُ الأبيات ، فلئن كان الحجر في يد البنائين مادة للبناء؛ فإنَّ الأصوات في يد الشاعر مادة إبداع، سواء أكان ذلك بوعي منه أم دون وعي، فالشعر لا يُعنى بالأفكار فقط، ولكنه يعنى بالكلمات والأصوات التي يتغيَّا صاحبها من ورائها المعنى الذي يقصده ويريغ إليه.

ولما كان للَّام هذه الفخامة والقوة، انتُخِبَت في القرآن لتكون فاصلةً لسورة الفيل في كل آياتها؛ ليمنح صوتُها الدلالةَ قوةً تناسب مقام الموضوع، وما حل بأصحاب الفيل من جزاء، وهذا يدل على قوة الله ﷻ وعظمة صفاته، كما دلّ في الأبيات على فخامة صفاته ﷻ وهيبتها.

وتبلغ القوة ذروتها حين تتكاثف اللام في بعض المواضع، فلا تكاد كلمة تخلو منها في بيته القائل:

مُصَدِّقًا لِلنَّبِيِّينَ الْأُلَى سَلَفُوا ... وَأَبْـذَلَ النَّاسِ لِلْمَعْرُوفِ لِلْجَادِي[٤]

حيث بلغ تكراره إحدى عشْرة مرة في ثماني كلمات؛ لتمنح المعنى تكثيفًا دلاليًا وشحنة مكتنزة، فكأنما هو المرتكز الضوئي في هذا البيت؛ إذ ربط به الشاعر بين النبي ﷺ والنبيين السابقين عليهم السَّلام من جهة، وبين النبي ﷺ والناس عامة من جهة أخرى، فأي ارتقاء هذا، وأية عظمة هذه؟!

صوت الميم:

يلي صوتَ اللام في نسبة تكراره صوتُ الميم؛ حيث بلغت نسبة وروده بين كلِّ المجهورات في المرثيَّات عامة (١٢.٥)، بما يعادل (٢٣٢) مرة، وهذا يعني أن صوت الميم ارتكز عليه الشاعر أكثر من غيره، والتجأ إليه بوحًا بتجربته، كما أن هذا الحرف يأتي على قمة الحروف المجهورة في ميل المبدع إليه وصاحب البيان، وليس أدلّ على ذلك من أن هذا الصوتَ أثيرٌ عند الشعراء في قوافيهم.

---

(١) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص:٦٤.

(٢) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص: ٧٩.

(٣) المورد الصافي في العروض والقوافي، ص:١٦١.

(٤) الديوان، ص:٩٧.

ومن المعروف أن "الميم صوت أنفي يأتي من أعماق الأنف، لينتهي نهاية رخوة عند الشفتين، ولذا فهي صوت خفيض يكسوه عمق وانكسار"[(١)]، وتكرار هذا الصوت يبعث جوًا من الهدوء والوقار في النّص، ويوشِّيه بحزن ممرور.

فما يحدث عند إنتاجه من ضغط على الشفتين، وتذبذب للوترين الصوتيَّين، وخروج للهواء من الأنف؛ بسبب انخفاض سقف الحنك الليّن (الأقصى) إلى أسفل، كلُّها ملامح تجعل من هذا الصوت دلالة ذات شقَّين؛ فهي من جهة تبعث في النفس عظمة المرثيِّ وجلالته وهيبته، ومن جهة أخرى تُلقِي بظلالها على الشاعر، فتَلمَس فيه جوَّ الانكسار من الفقد، وجوَّ الشجن المهيمن عليه، فكأنَّما يبعث إلينا رسالة أو مأْلُكَة، مُؤدَّاهَا أن صاحب تلك الصفات العظيمة والسمات النادرة قد فقدناه، فالمصاب جلل والفجيعة عظيمة، وما كان لتلك الدَّلالات أن تلوِّن معاريضَ النص وتتغشَّاه، إلا بتكرار هذا الصوت الذي لا يكتمل إلّا بالغنَّة، التي تُكسِبُه موسيقيَّة وإيقاعًا.

و" الغَّنة من علامات قوة الحرف"؛[(٢)] لما فيها من "تردد موسيقي محبب"[(٣)]، وفيها دلالة على الحزن العميق، والشجن الشفيق في النفس. ولـمَّا كان لحرف الميم هذا التأثير نُلْفِيه قد وُظِّف في فاصلة القرآن الكريم، في المرتبة الثالثة بعد النون والألف؛ لِمَا له من دلالة. ويبلغ هذا الصوت ذروته من التأثير والدلالة في قوله ﷺ:

آلَيْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُجْتَهِدًا ... مِنِّي أَلِيَّةَ بَرٍّ، غَيْرِ إِفْنَادِ

تَاللَّهِ مَا حَمَلَتْ أُنْثَى، وَلَا وَضَعَتْ ... مِثْلَ الرَّسُولِ نَبِيِّ الْأُمَّةِ الْهَادي[(٤)]

فقد صدَّر البيتين المتَتَاليَيْن بالقسم، وأَردَف بالنفي، موظفًا الميم فيهما ثماني مرات، مبثوثة في تضاعيف البيتين، ولا يخفى على القارئ الكريم تلك الدلالة المزدوجة، من إحساس بعظمة المرثيِّ وعظمة صفاته من ناحية، وبالحزن الممرور لفقده ﷺ من ناحية أخرى.

ويمكن للباحثة أن تقول في اطمئنان: إن الشَّاعر المبدع تَطبَع التَّجارِبُ في نفسه أحاسيس ومشاعر تُرَسَّخُ في ذهنه، وتُخْتَزَنُ في مخيِّلته، حتى يدفعه هذا المعادل الشعوريّ الراسخ إلى البحث عن معادلٍ لغويّ يضاهي ما ترسَّخ في مخيِّلته، وهذا المعادل يتبدَّى من خلال أدوات نصِّه التي يحلق بها في فضاءات الإلهام، وذلك ما نجده عند حسَّان، ومن ثَمَّ؛ فإن الجهد والمعاناة اللذين ينوء بهما الشاعر، يفرِزَان لنا هذا البناء

---

(١) النحو الدلالي، د. حمادة عبدالإله حامد، ص:٢٤٩.

(٢) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت:٤٣٧)، ص: ١٣١.

(٣) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص: ٦٩.

(٤) الديوان، ص:٩٧.

الفنيَّ الباذخَ، بهذا الإيقاع المؤثِّر. إنّنا لا يمكننا أن نفهم تركيبًا لغويًا ما، إلَّا إذا استجلينا طرائق التعبير الصوتية؛ لنستطيع أن نلج إلى عالم القصيدة، أو نعرِّج في أجوائها؛ لندرك ما يَرِيغُ إليه المبدع[١].

أما بالنسبة للأصوات المهموسة؛ فقد حاز صوت الهاء على أعلى نسبة تكرار بينها؛ ليكسو المرثيَّات بدلالات ثريّة ثرة، وإليك بيان ذلك.

صوت الهاء:

وهو أكثر صوت ورد ذكره في المرثيَّات مقارنة بأصوات الهمس، وقد ذكر سيبويه أن مخرج الهاء أقصى الحلق[٢]، وتبعه في ذلك بإحسان ابن جني وشارح المفصَّل[٣]، والنطق بهذا الصوت لا يحتاج إلى جهد عضليّ، وعبر تَرِديده تُفرَّغ الآهات المتتالية والزَّفَرَات الحرَّة ، فهو اندفاع كميَّة كبيرة من الهواء أكبر مما يندفع من الأصوات الأخرى، ويترتب عليه سماع صوت حفيف قوي ينتج عنها سماع صوت الهاء[٤].

وصوت الهاء كما هو معروف صوت رخو فيه خفاء، وجميع صفات الضعف فيه؛ ولذلك نقويه أحيانًا بمد الصلة[٥]،وقد وظفّه القرآن في آيات ملوّنة بالضعف والشجن والحزن؛ ليرسم الموقف ببراعة وتأنق، كان للهاء الدور الأبرز فيها، ومن ذلك – على سبيل المثال– قول الله ﷻ؛ واصفا موقف المرء يوم القيامة، حيث ضعفُه وخوفُه ورهبتُه، والقلق والإحساس بالضياع، فقال: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيه، وَأُمِّهِ وَأَبِيه، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيه}،[٦] وليس من قبيل المصادفة؛ أن يرسم موقفًا قريبًا من هذا الموقف ويجعل الهاء أيضا في فاصلته في قوله تعالى: {يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيه، وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيه، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْويه، وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيه} [٧]، وانظر إلى الآيات كيف تعدل عن الهاء – في الفاصلة – إلى غيرها بعد انتهاء الموقف العصيب في قوله ﷻ:{كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى} [٨].

ووُظِّفَت هاء السكت أيضًا؛ لتكون أداة لذلك الموقف في قوله: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيه، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيه، يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَة، مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيه، هَلَكَ عَنِّي

(١) نقلت هذا الكلام بتصرُّف في دراستي المنهجية للماجستير من محاضرة مع أستاذي، د. حمادة حامد، عام ١٩٣٨هـ.

(٢) ينظر: كتاب سيبويه، ص: ٤٣٣.

(٣) ينظر: سر صناعة الإعراب، ج:١، ص:٦٠ ، شرح المفصل، لابن يعيش، ج:٥، ص: ٥١٦.

(٤) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص:٨٦ .

(٥) القول السديد في علم التجويد، ١/١٧٦.

(٦) سورة: عبس، آية : ٣٤ – ٣٦ .

(٧) سورة :المعارج، آية : ١١ –١٤.

(٨) سورة: المعارج، آية :١٥.

سُلْطَانِيه}[1] وتُظهِر الهاء هنا بضعفها مدى نوحه وندبه وعويله، وكأنك تسمع وراء الحروف هذا الأنين الكامن فيها.

ومن أمثلة هذه المعاناة، قصيدة (وقفة على طلل)[2]، ولله در قائلها:

مَالِـي وَلِلنَّجْـمِ يَرْعَانِـي وَأَرْعَـاهُ ... أَمْسَى كِلَانَا يَعَافُ الغَمْضَ جَفْنَاهُ

لِي فِيكَ –يَا لَيْلُ– آهَاتٌ أُرَدِّدُهَا ... أَوَّاهُ لَـوْ أَجْـدَتِ المَحْـزُونَ أَوَّاهُ

لَا تَحْسَبَنِّي مُحِبًّا يَشْتَكِي وَصَبًا ... أَهْوِنْ بِمَا فِي سَبِيلِ الحُبِّ أَلْقَاهُ

فهذا الصوت بصفاته الضعيفة – التي أوردناها سلفًا– ساعد بقوة في إزجاء مشاعر المبدع، ومَنَحَها شحنات مكتنِزة من الشكوى والحنين، وضاعف ذلك الإحساس، وتلك المشاعر، ضمَّة صوت الهاء في القافية، (يرعاه. أواه، ألقاه)؛ فالضمة تستدعي ضمُّ الشفتين، فيمتد معها الصوت المناسب طول الألم والمعاناة، كمن يقول (آه آه آه)، فهذا الصوت يصدر عن الإنسان بسبب حالته النفسية القلقة المتعبة، التي يمر بها دون قصد منه. ولما كان لصوت الهاء هذا الخفاء وهذا الضَّعف – خصوصًا إذا وقع قبله حرف يشاركه في الصفة أو بعده – وجب على قارئ القرآن أن يبيِّنه؛ لئلّا تختفي الهاء عند النطق، كما في قوله (بناها) و (جباهم)، فلما كان للهاء هذا الكمُّ الكبير من الضعف؛ تجد أن الشعراء يوظِّفونها في تراكيب أو تضاعيف بيانهم ، ولما كانت مرثيَّات حسَّان موشَّاة بالحزن الممرور؛ فلا عجب أن تحوز الهاء أكبر النسب ورودًا، وتتربّع قمة الأصوات المهموسة، كما ذُكر آنفا.

وبتأمل المرثيَّات تطالعنا كلماته التي وظَّف فيها الهاء ومنها (ولدناه، آيها، شفَّها، جُهْدها، وهنت، هول، الدهر، مآقيها، لهفي)، وفي قوله ﷺ:

فَلَيتنا يومَ وارَوهُ بِمَلحَـده ... وَغَيّبوهُ وَأَلقَوا فَوقَـهُ المَدَرَا[3]

نجد أن الشاعر قد صنع لنا ظلالًا من الحزن والأسى بنبرة باكرة، وجوٍ شفيف، تتأجج فيه المشاعر، ويضطرم فيه الضعف والخَوَرُ حتى البكاء، تطالعنا هذه الروح العارمة الممزوجة بالحسرة الكامنة في التمنّي بـ(ليت) المتصلة بضمير المجموع (نا)؛ فبان منها الشمول، ويتضاعف الحزن حين يسوق الفعلين (واروه وغيبوه) المسندين لـ(واو) الجماعة، ولئن كانا في مدَّتِهما يدلَّان على الخفاء؛ فقد ازداد هذا الخفاء والضَّعف حين اتَّصل بالهاء الواقعة مفعولاً، بما تحمل من فراغ وتغيُّب، وإنك لتشعر بهذا مع تكرار الهاء المضاف إليها في لفظ (ملحده). إن ثمة شعورًا بأن قلوب محبي النبيِّ ﷺ قد رحلت برحيله، وأن حياتهم

(١) سورة: الحاقة، آية:٢٥-٢٩.

(٢) الأبيات على بحر البسيط، لمحمود غنيم، ينظر: الأعمال الكاملة، ص:٧٩.

(٣) ديوان حسّان، ص:١٣٥.

استحالت بفقده، ولا قيمة لها بعده، وقد نجحت الهاء في وصف هذا الغياب الأبديِّ عن الدنيا، وهو كمن يقول: من يُقنِع الرَّاحلين بأن قلوبنا معهم؟ وأنَّى لنا أن نعيش بدونهم؟!

لقد حُقَّ لعبقري اللغة ابن جني أن يعقد بابًا في قوة اللفظ لقوة المعنى، بيّن فيه القيمة التعبيريَّة للصَّوت في حال البساطة وحال التركيب[١]؛ فالصوت الضعيف للمعنى الضعيف، والصوت القوي للمعنى القوي، وليس أدلّ على ذلك من تحليلنا الذي أسلفناه في بيان الأصوات في مرثيَّات حسَّان.

الشدَّة والرخاوة والتوسّط

وسمّاها المحدثون الأصوات الانفجارية والاحتكاكية، ولكني آثرت أن أستخدم تسمية القدماء؛ لأني أراها أكثر تعبيرًا في المعنى، ودقة في الوصف[٢].

الشدَّة لغة: القوّة، واصطلاحًا: امتناع الصّوت أن يجري مع الحرف لشدَّة لزومه موضعه، وأحرفها ثمانية يجمعها قول ابن الجزري: "**شديدها لفظ (أَجِد قَطٍ بَكَت)**"[٣]

وفي هذه الحروف يكون الاعتماد كاملًا على المخرج.

والتوسّط لغة: الاعتدال[٤]، واصطلاحا: اعتدال الصوت عند النطق بالحرف؛ لعدم كمال انحباسه أحرفه محصورة في قول ابن الجزري: "**وبين رخو والشديد لن عمر**"[٥].

أما الرخاوة لغة فهي اللين، واصطلاحا: جريان الصوت مع الحرف، وعدم الاعتماد على المخرج، وحروف الرخاوة باقي حروف الهِجاء بعد حروف الشدَّة والتوسُّط.

فالأصوات الشديدة ينحبس معها الهواء انحباسًا تامًا، ولا يُسمَح بمروره حتى ينفصل العضوان فجأة ويُحدِث النفس صوتًا انفجاريًا، أما الأصوات الرخوة؛ فهي الأصوات التي لا ينحبس الهواء عند النطق بها انحباسًا محكمًا، وإنما يضيق مجراه في موضع من المواضع؛ بحيث يحدث في خروجه احتكاكًا مسموعًا[٦].

وتعتبر الشدَّة من الصفات القويّة في الصوت، والرخاوة من الصفات الضعيفة[٧].

أما عن ورود هذه الأصوات في المرثيَّات؛ فقد وردت الشديدة (٧٨٧) مرة، بنسبة (٢٩.٩%)،

---

(١) الخصائص. ج: ٢، ص:١٤٥.

(٢) ينظر: الكتاب، ج: ٤، ص: ٤٣٤، سر صناعة الإعراب ج:١، ص: ٦٨، تسهيل الفوائد، ابن مالك، ص:٣٢.

(٣) الحواشي المفهمة في شرح المقدمة، ص:١٢.

(٤) ينظر: القاموس المحيط، مادة (ع د ل) ص: ١٣٣٢.

(٥) الحواشي المفهمة في شرح المقدمة، ص:١٢.

(٦) ينظر: علم اللغة، محمود السعران، ص:١٧٢، الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس، ص:٢٦.

(٧) الدر النثير والعذب النمير ج:٢، ص: ١٩ الكنز في القراءات العشر، ج:١، ص:١٦٨.

والأصوات الرخوة (٧١٨) مرة بنسبة (٢٧.٣%)، أما الأصوات المتوسطة؛ فقد حازت أعلى نسبة تكرار، حيث وردت (١١٢٣) مرة، بما يعادل (٤٢.٧%)؛ وإليك أسوق أكثر الأصوات شدَّة في المرثيَّات.

صوت الباء:

كما هو مأنوس ومعروف لدى اللغويين أنه مع ضميميه الفاء والميم؛ مخرجه من بين الشفتين، وقد ذكر الخليل: أن الشفتين لا تعملان في شيء من الحروف الصّحاح سوى هذه الأحرف الثلاثة،[١] ووصفه سيبويه بأنه حرف شديد، لا يجري الصوت فيه[٢]، وتبعه في ذلك بإحسَّان ابن جني؛ حيث قال: "فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض"[٣]، وهذه الصلابة نابعة من طبيعتها النطقية؛ حيث تنتج بانغلاق الشفتين انغلاقًا تامًا، وانحباس الهواء خلف الشفتين فترة من الزمن، ثم انفراجهما فجأة، ولم يختلف وصف الباء حديثًا عمَّا ارتآه القدماء؛ فقد وصفه إبراهيم أنيس بأنه صوت مجهور،[٤] وعدّه كمال بشر من أصوات القلقلة[٥]، أما عن دلالته ومعناه فقد ألمع إليها العلايلي فاعتبر أن الباء تدل على "بلوغ المعنى في الشيء بلوغا تامًا"[٦].

وإذا أردنا أن نكشف عن مدى توظيف حسَّان صوت الباء؛ ليؤديَ تلك الدلالة؛ فسنجد أن عدد وروده في المرثيَّات كلها (١٤٧) مرة، بنسبة (٧.٩%)، منها (٢١) مرة، وقعت حرفًا من حروف المعاني بنسبة (١٤%)، ولئن كان ذلك في المرثيَّات كلِّها؛ فإن نسبة مجيء حرف الباء من حروف المعاني في المرثية الثالثة – مثلًا – تقارب النسبة الكليَّة الواردة في المرثيَّات؛ حيث وردت (باء الجر) أربعَ مرات، من بين (٢٠) مرة، بنسبة (٢٠%)، وهذا يعني أن الشاعر نجح في استغلال الصوت بكل طرائقه؛ ليُسهِم في بناء المعنى الدِّلالي الذي يريغ إليه ويقصِده، ويلوّن به جوَّ القصيدة العام، ولقد كانت صفتا الجهر والشدة في الباء واضحتين جليَّتين في الكلمات التي سيقت فيها، وإنك لواجد ذلك حين تتأمل الكلمات (يضربن، الرواهب، يلبسن، البادي، البيوت) و (بأوتاد بالبؤس) في قوله:

أمْسَى نسَاؤُكَ عَطَّلنَ البُيُوتَ، فما ... يَضْرِبْنَ فَوْقَ قَفَا سِتْرٍ بأوْتَادِ

---

(١) العين، ج:١ ، ص: ٥١.

(٢) الكتاب، ج: ٤، ص: ٤٣٤.

(٣) الخصائص، ابن جني، ج: ٢، ص:١٦٣.

(٤) الأصوات اللغوية، ص: ٤٧.

(٥) علم الأصوات، ص: ٣٧٨.

(٦) مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد، عبدالله العلايلي، ص:٢١٠.

مثلَ الرَّواهبِ يلْبسْنَ المُسُوحَ، وقَدْ ... أيقنَّ بالبؤْسِ بعدَ النِّعْمَةِ البَادِي[1]

وكَوْن حرف الباء من حروف الجر؛ يسمح له أن يأتي في الكلام موظفًا بأكثرَ من طريقة، وقد ذكر ابن هشام النحوي أن للباء الجارّة أربعة عشر معنى، والقرآن الكريم زاخر بكثير من الأمثلة التي تصبُّ في تلك المعاني، وأول هذه المعاني الإلصاق وهو معنى لا يفارقها[2]، فكأنما الإلصاق، هو المعنى الأصل وغيره تابع له، كما في قوله تعالى: {وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ}[3]، وأمثلة ذلك في القرآن كثيرة، يطول بنا المقام إنْ تتبَّعناها ويؤودنا حصرها. أما عن ترددها في المرثيات، فقد ورد كثيرًا، ومنه (بطيبة) في قوله ﷺ:

بِطَيْبَةَ رَسْمٌ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدُ ... مُنِيرٌ وَقَدْ تَعْفُو الرُّسُومُ وَتَهمُدُ

والمرثيّات مترعة بهذه الأمثلة، ومنها (بها أبكي، بها حجرات، بها رسم)، وعلى كل؛ فإن حسَّان استطاع أن يوظِّف الحرف جزءًا من الكلمة أو حرفًا من حروف المعاني، وهذا يدل على تمكُّنه من أدوات نصه.

إنّ الشاعر الجيد هو الذي يعالج تجربته الشعورية بطريقة فنية متفرِّدة، تجعلنا نعيش معه الأحداث كما يشعر بها، فهو يفتح أعيننا على جوانب خفيَّة، ويكمن وراء الألفاظ والأصوات معانٍ يصبُّها من نفسه وروحه في أرواحنا، حتى ولو كانت تلك المفردات متاحة للجميع ومستمدة من الواقع، لأنه يعيد صياغتها وبناءها بناءً فريدا ونَسْجَها نسيجًا شعوريًا متشابكًا، سَدَاه ولُحمتُه، هما عاطفته وأحاسيسه، وربما قُلتُ حبكته وجدائله.

ولا عجب أن تتصدّر هذه الأحرف (اللام والميم والنون والباء) أكبر النسب في المرثيَّات؛ فمعظم ما كَتَبَ عليه العرب أشعارهم كانت الحروف الأربعة الآنفة الذكر، تمثّل أكبر النسب ورودًا في رويِّها، ولو لم تكن لهذه الأحرف تلك الدلالات العميقة؛ ما كان للشعراء أن يفضِّلوها قديمًا، ربّما مراعاة لذلك صُنِّفَت من حروف الذلاقة التي يندر أن يخلو منها لفظ رباعي عربي أصيل.

صوت الدال:

وهو النظير المجهور لصوت التاء، ومخرجهما متقارب، وهو من أصوات الشدَّة، بلغت نسبته من بين جميع أصوات المرثيَّات (٩.١%)، ، وقد اختير ليكون في موضع الروي لأكثر المرثيَّات؛ حيث بلغت نسبته كروي للمرثيَّات (٨٩%)، وهو يوحي بثبات الشاعر وقوة إيمانه وتجلُّده، والرضا بقضاء الله وقدره، ويحقق جانبا جماليًا، وموسيقيًا، له وقعه الخاص في الآذان، والقلوب، وجاء في المرثية الثانية رويًا مكسورًا؛

(١) الديوان، ص:٩٧.

(٢) ينظر: مغني اللبيب، ص:١١٨.

(٣) سورة: المائدة ، آية :٦.

ليظهر لنا نفسية الشاعر الحزين المنكسر، وذلك الحزن تعكسه الكسرة القصيرة؛ لما يصحب نطقها من ارتفاع لمقدم اللسان نحو الحنك الأعلى، دون أن يحدث في مروره أي نوع من الحفيف، مع انفراج الشفتين[1]، مما يوحي بشدَّة حزن حسَّان بن ثابت ﷺ ولوعته وحرقته، وهذا طبيعي لأنه يتحدث في إطار الرثاء الذي يشعُّ بالحزن على فراق العزيز، ومن أبيات تلك المرثية ما جاءت مكتظَّة بهذا الصوت لتحمل لنا ما يعانيه الشاعر ويقاسيه، ومن أمثلة ذلك قوله:

فَظَلِلْتُ بَعْدَ وَفَاتِهِ مُتَبَلِّدًا ... مُتَلَدِّدًا يَا لَيْتَنِي لَمْ أُولَدِ

ونرى انتشار صوت الدال في باقي المرثيات؛ ليشي بدلالة شدَّة الألم، ومنها قوله:

فَبَكِّي رَسُولَ الله يَا عَيْنُ عَبْرَةً ... وَلَا أَعْرِفَنْكِ الدَّهْرَ دَمْعَكِ يَجْمَدُ

فَجُودِي عَلَيْهِ بِالدُّمُوعِ وَأَعْوِلِي ... لِفَقْدِ الَّذِي لَا مِثْلُهُ الدَّهْرَ يُوجَدُ

فانحباس الهواء عند النطق بصوت الدال ثم انطلاقه منفجرًا، يعبر عن حزن الشاعر الشديد، وقد اختار (الدال المضمومة) رويًا في المرثية الأولى، مُعَبِّرة عن قوة ذلك المرثيّ وشدة صبره وثبات جأشه في المواقف العصيبة، فهو "صوت أصم أعمى مغلق على نفسه، كالهرم لا يوحي إلا بالأحاسيس اللمسية، وبخاصة ما يدلّ على الصلابة والقسوة، وكأنه من حجر الصوان؛ ليكون بذلك أصلح الحروف للتعبير عن معاني الشدَّة والفعاليَّة الماديتين" [2]، ومن دلالة هذا الصوت على الصلابة، وروده في مواطنِ الشدَّة، في الفواصل القرآنية، وانظر – مثلًا– قوله تعالى : {وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيد، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيد، وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيد، لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيد، وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيد} [3].

ومما يؤكد دلالة الشدَّة، وقوة الفعل، انتهاء الآيات من سورة البروج به، فهي تصور عظمة الله في خلقه، وشدَّة بطشه بالظالمين: {وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوج، وَالْيَوْمِ الْمَوْعُود، وَشَاهِدٍ وَمَشْهُود، قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُود، النَّارِ ذَاتِ الْوَقُود} [4].

فانتهاء الآيات بصوت الدال يعزز من قوة المعنى، ويناسب شدَّة الموقف، وهذا المعنى يتلاءم والمعنى

(١) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص: ٣٣، ٣٧.

(٢) خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، ص: ٦٧.

(٣) سورة: ق، آية:١٩-٢٣.

(٤) سورة: البروج، آية:١-٥.

الذي أراد الشاعر إيصاله للمتلقي، وهو شدَّة الموقف الذي مر به الشاعر وصعوبته بعد رحيل سيد البشريةﷺ، كما يتناسب صوت الدال وصلابة النبي ﷺ، وشدته، وتصديه للصعاب بقلب ثابت وإيمان مترسِّخ، فهو شجاع في مواطن الشجاعة، قوي في مواطن القوة، رحيم رفيق في مواطن الرفق، صلوات ربي وسلامه عليه، ونلاحظ من خلال هذا العرض البسيط لأصوات النص، قلة الأصوات المفخمة في هذه الأبيات.

صوامت أخرى:

ومن أصوات الشدَّة صوت الكاف، ذلك الصوت الانفجاري الشديد، والذي ينتج عن انحباس النفس لحظة النطق به ثم اندفاعه دفعة واحدة ، فلا شك أنه يلائم حالة المكبوت المقهور ، الذي ينفجر فجأة، وهو يدل على الفعاليَّة الشديدة؛ لأنه يتكون بالتقاء أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى، مما يؤدي إلى اعتراض تيار الهواء الصادر من الرئتين اعتراضًا تامًا، خلف نقطة الالتقاء، ثم ينفصل العضوان الملتقيان، فيندفع الهواء دفعة واحدة [(١)]؛ لذلك لنا أن نستوحي منه شدَّة هذه الفاجعة، والمأساة التي حلت بالمسلمين .

ونلاحظ أيضًا انتشار أصوات الهمزة والكاف والقاف التي تعبر عن المشقة والعذاب[(٢)]؛ لأنها أصوات عميقة المخرج، ولما في مخرجها من مشّقة على النَّفس عندما يحبس بالقرب من الرئتين، ولكن صوت الهمزة أشق الأصوات نطقًا بسبب اقتراب الوترين الصوتيين[(٣)]، فيصاحب نطقها مشّقة وعنف، وذلك لأنه ليس من شك في أن إقفال الفتحة التي بين الوترين الصوتيين، وهي فتحة المزمار، إقفالا تامًا، يؤدي إلى احتباس الهواء الصادر من الرئتين، عبر القصبة الهوائية، فيما دون الحنجرة، ثم انفراج الوترين الصوتيين، فخروج الهواء فجأة عبر المزمار[(٤)] يحتاج إلى جهد عضلي قد يزيد على ما يحتاج إليه أي صوت آخر؛ مما يجعل الهمزة أشق الأصوات نطقًا في العربية، هذا الجهد الذي يوحي انفجاره الحاسم السريع بالرحيل المفاجئ، فمشّقة النطق بهذا الصوت تعكس مدى صعوبة الموقف عليه، وشدَّة تأثيره في نفسه، فهذا الصوت هو الأكثر قدرة على التعبير عن الحالة النفسية التي كان عليها الشاعر في تلك اللحظة، والشعور النفسي الذي اعتراه لهول ما مُنِيَ به، ومن الأبيات التي برزت فيها الهمزة قوله:

أَعَــفَّ وَأَوْفَــى ذِمَّــةً بَعْــدَ ذِمَّــةٍ ... وَأَقْــرَبَ مِنْــهُ نَــائِلاً، لَا يُنَكَّــدُ

---

(١) فصول في علم الأصوات، محمد جواد النوري، ص: ٢٤٠، علم اللغة، مقدمة القارئ العربي، د. محمود السعران، ص:١٥٥، ١٥٦.

(٢) مقدّمة لدرس لغة العرب، وكيف نضع المعجم الجديد، عبد الله العلايلي، ص:٢١٠.

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص:٨١، ٨٤، ٨٧.

(٤) ينظر: علم الأصوات العربية، محمد جواد النوري، ص:١٥٦.

وَأَمْنَعَ ذَرْوَاتٍ، وَأَثْبَتَ فِي الْعُلَى ... دَعَائِمَ عِزٍّ شَاهِقَاتٍ تُشَيَّدُ

أما بقية الأصوات الشديدة؛ فقد تكررت بنسب قليلة في النص، وعبرت – على قلتها – عن الشدَّة والصلابة؛ لتشابه هذه الأصوات في طبيعتها النطقية، وخصائصها الفيزيائية.

أما زيادة عدد الأصوات الرخوة، التي لا تحتاج إلى جهد عضلي كالذي تحتاج إليه نظائرها الشديدة[١]؛ فتعود إلى طبيعة الموضوع الذي يحتاج إلى توخِّي الوضوح السمعي، الذي تمتاز به هذه الأصوات؛ فالهواء لا يُحبس عند النطق بها انحباسًا محكمًا، وإنما يكون مجراه ضيقًا، ويترتب على ضيق المجرى أنّ هواء النَّفس في أثناء مروره بمخرج الصوت يُحدِث نوعًا من الاحتكاك، أو الصفير والحفيف تختلف نسبته تبعًا لنسبة ضيق المخرج[٢]، فهذا الوضوح السمعي في إنتاج هذه الأصوات يساعد على حسن الاستماع إلى الألفاظ التي تتألف منها، وفهم معانيها. على حين أنّ الأصوات الشديدة تعدّ أصواتًا صعبة، مما أدى إلى تحقيق السلاسة النطقية في الأبيات؛ ذلك أن الّنص الجيِّد، هو ما لا تُجهِد الإنسان أصواته؛ مراعيًا بذلك "أن الإنسان في نطقه لأصوات لغته، يميل إلى تلمس الأصوات السهلة التي لا تحتاج إلى جهد عضلي" [٣]. ومما يزيد من السلاسة في هذه المرثية وجود الأصوات المائعة بكثرة فيها، ف"نحن نحس أن النون حرفٌ نوّاح، يتضمن شحنة قوية من النغم المشع كيفما استعملناه، ومن العجيب أن مادة الرنين قد اكتسبتْ صفتها من هذا الصوت نفسه[٤].

ويستطيل بنا البحث، وتتشعب طرائقه إن تتبعنا كل صوت بالدرس والتحليل، ويكفينا ما ذكر؛ وما لم يقل يقاس على ما قيل، وفي هذا غنى لمن أراد.

التفخيم والترقيق

التفخيم لغة: فَخُمَ الرجل بالضم فَخامَةً، أي ضَخُمَ، ورجلٌ فَخْمٌ، أي عظيم القدر، والتَفْخيمُ: التعظيمُ. وتَفْخيمُ الحرف: خلاف إمالته، ومنطقٌ فخمٌ، أي جَزْلٌ[٥].

وهو "ارتفاع مؤخر اللسان إلى أعلى قليلًا في اتجاه الطبق اللين وتحركه إلى الخلف قليلًا في اتجاه الحائط الخلفي للحلق"[٦].

---

(١) في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٢م، ط:٨، ص: ٨٩.

(٢) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص: ٢٦.

(٣) السابق، ص: ٢١١ .

(٤) ينظر: الأصوات اللغوية، ص: ٧٠. ولغتنا الجميلة، فاروق شوشة، ص: ٧٣.

(٥) الصحاح للجوهري، مادة ج:٥، ص:٢٠٠١.

(٦) دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص: ٣٢٦.

أما الترقيق لغة: التحسين و"تَرْقيق الكلام تحسينُهُ. وفي المثل أَعَنْ صَبوحٍ تُرَقِّقُ؟. وتَرَقَّقْتَ له، إذا رَقَّ له قلبُك"(١)، ورقّ الشيء "خلاف غلظ فهو (رَقِيقٌ)"(٢)

ويطلق مصطلح التفخيم على الأصوات المستعلية، بينما مصطلح الترقيق؛ فيطلق على الأصوات المستفلة، (٣).

ومن المعلوم أن التفخيم من نواتج الاستعلاء، أي هو مستحق من مستحقاته، وناتج من نواتج وضع اللسان حين النطق بالصوت المستعلي، حيث يكون في حالة ارتفاع. ولئن كان التفخيم نتيجة الاستعلاء؛ فإن الترقيق مستحق الاستفال وناتج من نواتجه، حيث يكون اللسان حين النطق به في حالة انخفاض.

ولقد فرّق علماء اللغة المحدثون بين الإطباق والتفخيم؛ إذ إن الإطباق وصف عضوي للسان، أما التفخيم؛ فهو أثر سمعي ناشئ عنه(٤).

فالاستعلاء والاستفال والإطباق والانفتاح يضمها حقل واحد، فهي جميعًا حالات تخصّ وضع اللسان الذي هو مخرجها.

بينما يتبدّى أن التفخيم والترقيق صفتان متضادتان من صفات الأصوات، فمع الأول يسمن الصوت، ويصير غليظًا، ومع الآخر يكون الصوت نحيلًا.

والأصوات المفخّمة جمعها الناظم في قوله: "**خصّ ضغط قظ**"(٥)، منها أربعة مطبقة، وهي: (ص، ض، ط، ظ)، وتحظى بتفخيم أعلى، والأصوات الثلاثة الأخرى (خ، غ، ق) لا إطباق فيها، مع استعلائها، وهي بهذا ذات تفخيم جزئي.

وللتفخيم درجات، أعلاها أن يكون الحرف مفتوحًا وبعده ألف (قال)، ثم مفتوحًا فقط (قرأ)، ثم مضمومًا (يقول)، ثم ساكنًا (سُقْنَاه)، ثم مكسورًا (قِيل). وما عدا هذه الأصوات الآنفة الذكر هي أصوات مرققة، ولا مناصَ من الإشارة هنا إلى أنَّ هذه الأصوات ترقَّق في جميع الأحوال والمواضع، باستثناء الراء والألف ولام لفظ الجلالة؛ فلها أحكام مخصوصة، فهي تفخم في بعض الحالات.

وقد أشار ابن الجزري إلى أحكام الراء فقال:

وَرَقِّقِ الرَّاءَ إِذَا مَا كُسِرَت ... كَذَاكَ بَعْدَ الْكَسْرِ حَيْثُ سَكَنَتْ

---

(١) الصحاح للجوهري، ج:٤ ص: ١٤٨٣

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ج: ١ ، ص: ٢٣٥

(٣) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص: ٣٢٥ .

(٤) علم الأصوات عبد الصبور شاهين ص: ١١٥.

(٥) الحواشي المفهمة في شرح المقدمة، ص:١٢.

إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلِ حَرْفِ اسْتِعْلاَ ... أَوْ كَانَتِ الْكَسْرَةُ لَيْسَتْ أَصْلاَ[1]

أما لام لفظ الجلالة؛ فتفخم إن سبقها مضموم أو مفتوح، وترقق إن سبقها كسر، كما في قولك: (تبارك الله) أو (باسم الله).

وقد يكون الصوت المرقق حينًا مفخمًا؛ إذا تأثر بما يجاوره؛ فالباء في كلمة (الباب) تختلف، عن الباء في كلمة (قاب)، فالأولى تحتفظ بترقيقها، على حين أن الثانية تأثرت بتفخيم القاف قبلها.

وللتفخيم والترقيق أثرٌ في أداة السمع، يجعل للكلمة فخامة تشي بقوة الكلمة، ويعدها علماء اللغة صفة مميِّزة أي: محسنة، يقول أبو بشر: "ولولا الإطباق لصارت الطاء دالًا، والصاد سينًا، والظاء ذالا، ولخرج الضاد من الكلام"[2] فالتفخيم يعد ملمح قوة في الصوت، يكسب المعنى قوة وفخامة، أما الترقيق فملمح ضعف في الصوت يناسب المعاني الرقيقة، والهادئة.

وعلى كل، فإنما أردت من هذا المهاد المجمل أن أدلف بكم إلى الجانب التطبيقي في مرثيَّات حسَّان متفقدة الأصوات البارزة في التفخيم والترقيق مبيَّنة أثرها الدلالي، ومنتخبة منها ما لا يمكن إغفاله أو تخطّيه.

فبالنسبة لورود الأصوات المفخّمة والمرقّقة في المرثيَّات نلاحظ قلة ورود الأصوات المفخمة؛ حيث بلغ إجمالي الأصوات المفخمة في المرثيَّات (١٦٣) صوتًا بنسبة (٦.٢%)، وباقي الأصوات مرققة، وربما يعود سبب قلتها إلى طبيعتها النطقية، حيث إن مقدم اللسان عند إنتاج هذه الصوامت يرتفع باتجاه الغار وهذا ما يطلق عليه مصطلح التغوير[3]، ومع ذلك فإننا نجدها في بعض الأغراض الشعرية الأخرى كالهجاء والفخر والمدح ترد بنسب أكبر من ورودها هنا (في غرض الرثاء)، ويتجلّى لنا ذلك عندما نتأمل مثلًا أبيات الفخر:

أيَّ مَحَـــلٍّ أرْتَقِـــي ... أيَّ عَظِـــيمٍ أتّقِـــي
وَكُـــلُّ مَـــا قَـــدْ خَلَـــقَ اللهُ وَمَـــا لَمْ يَخْلُـــقِ
مُحْتَقَـــرٌ فِـــي هِمّتِـــي ... كَشَـعْرَةٍ فِـي مَفْرِقِـي[4]

فبالإضافة إلى كون الرويّ مفخَّمًا، حوى كل بيت منها على ثلاثة أصوات مفخمة على الأقل، وهذا ما يَنْدُر وجودُه في المرثيَّات، وبإعادة النظر إلى المرثيَّات نجد أن أغلب الأصوات المفخمة ارتبطت بصفات النبي ﷺ، ومن أمثلتها: (يستضاء، مصدقًا، محضًا ضرائبه، خير من وطئ، أبطحِيًّا، طيبًا) فكأن

(١) السابق، ص:٢٣.

(٢) الكتاب، ج:٤، ص: ٤٣٦.

(٣) ينظر: علم الأصوات العربية، ١٩٩٦م، ص:١٥٤.

(٤) الأبيات على مجزوء الرجز، من ديوان المتنبي، ص:٨٠٧.

ورودها القليل هنا يتناسب ورثاء العظماء، فتأتي هذه الأصوات مفخمة في ذكر صفاتهم الحميدة؛ لأنها أكثر الأصوات قدرة على التعبير عن معاني العظمة والفخامة[1]. ومن الأصوات المرققة الواسعة الانتشار صوتا النون والتاء، وفيما يلي دلالاتهما.

صوت النون:

ويأخذ هذا الصوت المرتبة الثالثة في التكرار بعد اللام والميم، وبأخذ المرثية الثالثة نموذجًا تطبيقيًا فقد جاء (٢٣) مرة، بنسبة (١١.٩%)، في ثنايا تراكيب المرثية الثالثة، أما نسبة وروده في المرثيَّات كلها؛ فقد بلغت (١٦.١%) بما يعادل تكراره (٢٩٨) مرة.

وبَادِي بَديٍّ، فإن صوت النون يخرج "من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فويق الثنايا"[2]، وقد برع حسَّان في توظيف هذا الحرف في هذه المرثية وغيرها؛ ليشيَ بالحزن العميق الذي يلوِّن التجربة الشعريَّة، وانظر إليه يقول:

يا أفضَلَ الناس، إني كنتُ في نَهَرٍ ... أصبحتُ منهُ كمثلِ المفردِ الصادي

إن ثمَّة شعورًا بالحُزن ظلَّل البيت دون غيره، والنون فيه بمثابة إذكاء الإحساس المأساوي بوقود أورى من الزَّنْد، يرسم صورةً حيةً ، تؤثّر في النَّفْس أبلغ تأثير، وذلك عن طريق ثباتها المجسَّم أمام العَيْن، فهو يُلزِمك أن تتخيَّل معه صورتين، ملخّصهما: أنه قد كان ثم آض، كان في نهر ثم صار صاديًا، وهذا لون من المقابلة عالي التأثير، مفعم بنَدْب الحال، وضاعفت التأثير فيها أصوات النون المنثورة في تلافيف البيت.

ففي الكلمات(النَّاس، إنِّي، كنت، نهر، منه) تحرّى الشاعر مجيء (ياء متكَلِّمه) بعد النون مرة في (إنِّي)، و(تاء فاعِلِه) الواقعة بعد النون اسمًا للناسخ في (كنت)، فبان أنَّه مشغولٌ بحزنه، لا يستطيع الفكاك منه، ومعنيٌّ لنكبتِه لا يفلِت منها، وكأنه يشعر ألَّا حزن يبلغ درجة حزنه، وألَّا حالَ هناك تضاهي حالته، وليس أدلَّ على ذلك من مجيء النون مشفوعة بـ(الأنا) التي تقطُر حُزنا، المتمثِّلة في (ياء المتكلِّم)، و(تاء الضَّمير) الموصولتين بالنون في (إنِّي، وكنت).

كما أنَّ صوتَ النون من الأصوات الأنفية، المائعة، الواضحة في السمع، التي تبدو للسامع وكأنها خارجة من الأعماق، مما ساعد حسَّان ﷺ على إخراج شحنات من الحزن العميق الكامن في نفسه، وإيصالها إلى المتلقِّي، وكأنَّه وحده يعيش ظلمة فقدٍ غُدَافِيَّة الإهَاب.

صوت التاء:

---

(١) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، ص: ٢١٢.

(٢) كتاب سيبويه ج:٤، ص: ٤٣٣، وينظر: الكنز في القراءات العشر، ج: ١،ص: ١٦٦.

حظي صوت التاء بوروده (١٤٤) مرة في المرثيَّات كلها، وفي المرثيَّة الثالثة تكرَّر (١٢) مرة، وهو الحرف الثالث في الترتيب الهجائي، من بين حروف اللغة، ومن المتفق عليه عند العلماء أن صوت التاء صوت مهموس من الحروف النِّطْعِيَّة، فهي تخرج من قرب نطع الفم، ويشاركه في المخرج الطاء والدال، ويقول سيبويه في ذلك: "ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء"[(١)]، ومع أنه يشترك مع الطاء والدال في المخرج، إلا أنه يختلف في بعض الصفات، فالتاء والدال مرققان على حين أن الطاء صوت مفخم، والدال مجهور والتاء والطاء مهموسان، وتشترك الثلاثة في كونها شديدة. وينبغي أن نشير هنا إلى أن صوت التاء يتراوح ما بين القوة والضعف عند اتصاله بما يجاوره من الأصوات في بناء الكلمة، فهو يتأثر بما يجاوره ويؤثر فيه، فعندما نقول: (اِصْطَبر) نجد أن الصاد أكسبت التاء صفة التفخيم، فأبدلت طاء، وكذا تؤثر التاء في غيرها، فتجدنا نقول في (اوْتَصَل) اتَّصل، وهكذا مما يطول فيه التشعيب الذي لسنا بصدده.

ولنا أن نستوحي معاني المشقَّة والعذاب من كون التاء صوت أجلد[(٢)]، وممَّا يراه العلايلي من كونه صوت يدل على الاضطراب[(٣)]، أما عن توظيف حسَّان لهذا الصوت، وصبغ الأبيات بما فيه من همس وترقيق وشدَّة؛ فإنا واجدون ذلك يتجلّى في قوله:

تاللَّهِ ما حملتْ أُنثى، ولا وَضَعتْ ... مِثْلَ الرَّسُول نبيِّ الأمَّةِ الهَادي

فقد برع في الإتيان بحرف التاء بأكثر من شكل وطريقة، فَسَاقه في نطاق القسم مع (تالله) مرة، وساقه في تاء التأنيث مع (حملت ووضعت) مرة ثانية، وساقه على شكل تاء مربوطة في (الأمَّة)، وقد منح هذا التنوع في الأداء بقصد من الشاعر أو دون قصد، تكثيفًا دلاليًا، لا يمكن له أن يتوفر إلا بتلك الأدوات الصوتيّة، التي تأتي مع غيرها من أدوات الشاعر الفنية، فهو هنا يعبّر عن نَفْسٍ شفوف أنهكته فجيعة الفراق، فجعل من التاء هنا دالًا على تلك المأساة التي ملأته شجنا، فصوت التاء عكس بتكراره ما أحس به الشاعر من اضطراب، ناتج من انحباس الهواء مدة من الزمن خلف طرف اللسان، ثم انفصاله فجأة[(٤)] ليَحدُث ذلك الانفجار الذي عبَّر به الشاعر عن مدى ألمه، وليس هناك تعارضٌ بين وجود التاء مرقَّقة وبين تكرار الميم التي سقناها آنفًا دالة على عظمة المرثيِّ.

لقد وظّف شعراؤنا القدامى الصوت توظيفًا فنيًا رائعًا نابعًا من فطرتهم وقدرتهم اللغوية وذوقهم الفني؛ فالشاعر لا يعمد إلى هذا التَّكرار بصوت معين بقصد، أو يحسب للأمر حسابه؛ إنما تأتي هذه

---

(١) الكتاب، ج: ٤، ص: ٤٣٣.

(٢) المنصف، ج:١، ص:٢٢٣.

(٣) مقدمة لدرس لغة العرب، عبد الله العلايلي، ص:٢١٠.

(٤) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص: ٦١.

الإبداعات بطريقة عفوية من طبيعته الشعرية وإحساسه بالدلالة.

ومن الأصوات المرقَّقة صوت الفاء، الصوت الأسناني الشفوي الاحتكاكي المهموس، الذي ينطق بملامسة الشفة السفلى للثنايا العليا ملامسة تسمح للهواء بالنفاذ من خلالها ومن خلال الثنايا[1] ، مما يعطي السامع إحساسا بمدى ضيق أحباب النبي ﷺ والشاعر منهم، من حياة ستخلو ممن كان نبراسًا لهم، ويتنزَّى هذا الضيق من خلال الفاء المنثورة في الأبيات، ومنها بيته القائل:

أمْسَى نسَاؤُكَ عَطَّلنَ البُيُوتَ، فما ... يَـضْـرِبْنَ فَوْقَ قَـفَا سِـتْـرٍ بـأوْتَـادِ

وكذا بيته القائل:

يا أفضَلَ النَّاس، إنِّي كنتُ في نَهَرٍ ... أصـبَحْتُ منـهُ كمثلِ المفردِ الصَّـادِي[2]

ولا يمكننا أن نغفل صوت السين المهموس الذي منح تجربة حسَّان الشعرية بعدًا دلاليًا في المرثيَّات يفوح منه الأسى، فالهمس لا شك نوع من البوح يبثّ به الشعراء أحزانهم، ويعبرون به عن فجيعتهم، ألا ترى أن صوت السين غالبًا ما يأتي في كلمات يغلب على معجمها النشيج والحزن والضّنى والمباثثة، وتأمّل استعمال الناس كلمات، نَحْوَ: (سَحَر، هَمْس، إحسَاس، مَسَاء، نُعَاس ، رَمس، سيرة، التماس، مناسك، سلوى)، ومن الكلمات التي وردت في مرثيته: (رسم، تطمس، نفسي، تيسير، أمست، سابغ، يسوّد، محبوس، سم الأسود، بؤس، نساؤك...) فمن الملاحظ في هذه الألفاظ أن صوت السين يشي بشدَّة الأسى والحزن، وهذا يتناسب وحزن الصّحابي الجليل حسَّان بن ثابت رضي الله عنه، ولعل صفير صوت السين له رصيد في تكثيف دلالاته.

إضافة إلى أن هذا الصوت يعبر "عن معنى الحركة أو الطلب"[3]، فالحركة في الأبيات تتجلى في الفعل المضارع: (يلبسن المسوح)، ويتضح الطلب في القسم: (والله أسمع)، والنداء: (يا أفضل الناس). ولا يَنِدُّ عن ملاحظة المتأمّل تساوي نسب ورود أصوات الهمس الثلاثة (الفاء والسين والتاء)، ورغم أن الشاعر لا يعمد إلى ذلك عمدًا إلا أنّ لهذا التوافق العجيب قيمته الدّلالية، فكأنّ الشاعر المبدع يتحرّى هذا بلا وعي، ولا يفارق عادته وقرواه في التعبير عن تجربته؛ فتأتي طواعية دون قصد.

صوت الراء:

وهو من الحروف التي كان لها نصيب غير قليل من الورود في المرثيَّات؛ فقد ورد (١٤١) مرة، وخصّه

---

(١) فصول في علم الأصوات، محمد جواد النوري، وعلي خليل حمد، ط١، نابلس، مطبعة النصر التجارية، ١٩٩١م ص: ٢٣٩، ٢٤٠

(٢) أبيات حسّان بن ثابت، الديوان، ص:٩٧.

(٣) العبقرية العربية في لسانها، زكى الأرسوزى، ص: ٥٤.

بأن يكون حرف روي لمرثيتين، ثانيهما من بيتين، وتبلغ أبيات المرثية الأولى سبعة، ومطلعها:

نَبِّ المَساكينَ أَنَّ الخَيــرَ فارَقَهُم ... مَعَ النَّبِـي تَـوَلَّى عَنهُـمُ سَحـرَا

وقد جاء روي (الراء) مفتوحًا هنا متبوعًا بألف الوصل، على حين أنه جاء في النتفة (المرثية السادسة) مضمومًا. وصوت الراء يخرج من طرف اللسان مع ما يحاذيه من غار الحنك الأعلى، ويتقعّر اللسان عند النطق به[1]، وهو حرف مجهور يهتزّ معه الوتران الصوتيان، ويقع بين الشدَّة والرخاوة، فلا ينحبس معه الصوت انحباسًا كاملًا، وهو صوت مستفل لا يفخم إلا في حالات؛ أن يأتي مرفوعًا أو منصوبا أو ساكنا بعد فتح أو ضم وهو من حروف الانفتاح[2]، وهو حرف منحرف يحدث معه ميلان عند النطق به، بسبب اعتراض اللسان طريقه.

وصفوة القول، أن الراء مجهورة مستفلة منفتحة بين الشدَّة والرخاوة منحرفة، وفيها تكرير[3]. وبتأمل مرثيَّات حسَّان نجده قد جعل من الراء دالا له مدلولاته النابعة من صفاته التي سقناها آنفًا، ومن أمثلة ذلك:(تذكّرُ، راحوا، برا، ظهورٌ، بوركْت).

فهو حينًا يأتي بحرف الراء المجهور مفتوحا أو مضموما؛ ليعضد معاني الفخر في التركيب؛ إذ الراء تفخم عند ضمها أو فتحها، وفي هذه الفخامة تزكية لهيبة مقام النبيّ ﷺ، ألا تراه يقول:

ولا بـَرَا اللَّـهُ خَـلْقًـا منْ بريَّتِهِ ... أَوْفـى بِذِمَّـةِ جَـارٍ، أو بِمِيعَـادِ
وَاللَـهُ أَكرَمَنـا بِـهِ وَهَـدى بِـهِ ... أَنـصارَهُ في كُـلِّ سـاعَـةِ مَشهَـدِ
يا بِكـرَ آمِنَةَ المُبـارَكِ بكْرُهـا ... وَلَدَتـه مُحصَنَةً بِسَعـدِ الأَسعُـدِ
تذكـرُ آلاءَ الرسـولِ، ومـا أرى ... لهَـا مُحصِياً نَفْسي، فنَفسي تبلَّدُ

وبتأمل الكلمات التي ورد فيها صوت الراء، وهي: (برَا، بريَّته، جارٍ، أكرَمنا، أنصاره، بكرَ، المبارك، بكرُها، تذكَّرُ، الرَّسول، أرى)، نجد أن صوت الرَّاء جاء في سياق فخره بالنبي ﷺ، في قوله (ولا برا الله) وأيضًا (والله أكرمنا)، وكذا (يا بكر آمنة المبارك)، على حين أن الشاعر يسوقها مكسورة أحيانًا؛ لما في الكسر من دلالة الحزن الشفيق النَّابع من ترقيق الرَّاء، وانظر قوله:

أَلَا دَفَنْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ فِي سَفَطٍ ... مِنَ الْأُلُوَّةِ وَالْكَافُورِ مَنْضُودِ

فقد جاءت كلمة (الكافور) مكسورة؛ لتضاعف من هول الفجيعة ساعة مواراة النبيِّ ﷺ التراب. أما عن ورود صوت الراء المكسور كحرف روي؛ فجاء في مرثيَّة من بيتين، هما :

---

(١) الأصوات اللغوية، ص:٦٦.

(٢) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج:١، ص:٢٠٠

(٣) السابق، ص:٢٠٤

كُنْتَ السَّوَادَ لِنَاظِرِي ... فَعَمِي عَلَيْكَ النَّاظِرُ

مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ ... فَعَلَيْكَ كُنْتُ أُحَاذِرُ[1]

في هذين البيتين يتبدى الإبداع في توظيف حرف الراء؛ ليتآزر مع ما تلونت به الأبيات من حزن ممرور، وعاطفة جياشة، فجعها رحيل النبي ﷺ ولقد تحرَّى الشاعر مجيء الراء في حرف الروي، وهي هنا مضمومة؛ فبان بالضم أيضا أن المصاب جلل، كما أن استخدام الراء في الروي وقع كثيرا عند الشعراء؛ لأن به صفاتِ ضعف وصفات قوة؛ فالشاعر الجيِّد هو الذي ينجح في استخدام إمكانات صفات الحرف، ويوظفها ليمنح صوتها المعنى تكثيفًا ، وإنّنا لواجدون شاعرًا حديثًا مثل محمود غنيم قد أتى بتسع وأربعين قصيدة، كلها تنتهي بحرف الراء[2]، وقد احتلت الراء في شعره المرتبة الثانية بعد حرف الميم؛ لأن في الراء قدرةً على تفجر أكثر من دلالة، حسبما يقتضيه السياق ويحبذه المعنى.

وليس أدلّ على ذلك من أن أكثر من سورة في القرآن تنتهي الفاصلة فيها بحرف الراء في آياتها كلها أو في معظمها، ولا يخفى على عقلٍ لبيبٍ فاصلة سورة القمر برائها الساكنة، وكذا سورة العصر، ومعظم آيات سورة نوح التي تنتهي بالراء المطلقة بالألف: {ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا، فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا} [3]، ولئن كانت طبيعة اختيار الفاصلة في القرآن الكريم إنما تأتي بحسب حاجة المعنى في السياق، لا بحسب مطلب شكلي مفروض؛ فإن حسَّان نجح في توظيف صوت الراء في القافية؛ لتخدم المعنى.

وليس من نافلة القول أن نشير إلى أن القرآن الكريم يعدل من فاصلة إلى أخرى في مقام واحد تبعًا للوحدة الموضوعية التي تتبدى في النص القرآني، وأراك توافق ما ذهبت إليه إذا طالعت قوله تعالى في سورة الضحى: {وَالضُّحَى، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى، وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى، أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى، وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى، وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى، فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ، وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [4] والمتأمِّل لهذه الآيات يجد أنَّ الخطاب القرآني لمّا كان في مقام تطمين النبي ﷺ بعد انقطاع الوحي اختار الألف فاصلة وهي بطبيعتها تشي بالهدوء والرقة(الضحى سجى قلى)، ثمّ لما انتقل المعنى إلى الأمر والإلزام وعدلت معه الفاصلة من الألف إلى الراء المسبوقة بالهاء (تقهر وتنهر)، فكان من تكرار صوت الراء الذي يشبه بصوته الإلزام والتأكيد متناسبا

---

(١) أبيات المرثيَّات، يراجع الديوان، ص:٩٧، ٩٦، ٩٢، ٩٨، ١٣٥،بترتيبها.

(٢) ينظر: الأعمال الكاملة محمود غنيم، ٩٤١- ٩٤٣

(٣) سورة: نوح، آية:٩- ١١.

(٤) سورة: الضُّحى، آية:١١.

والمعنى خصوصًا مع (الهاء)، وهو صوت حلقي، ومن هنا فإن لصوت الراء أكثر من دلالة يعيّنها السياق والمقام.

إنّ من غير المنطقي في التشريع النقدي أن يدخل الناقد إلى القصيدة وفي ذهنه دلالة معينة للصوت كلّما وجد الصوت ألبسه إياها قسرًا، بل ينبغي أن يكون للحرف دلالته حسب السياق الذي يختلف من مكان إلى آخر، ومن الأصوات المنتشرة في المرثيَّات صوت القاف، وهو من أصوات القلقلة، الشديدة الجرس؛ مستعلٍ، له وقعٌ في الآذان، وهو أكثر الأصوات المفخمة ورودًا، لذلك فإن هذا الصوت يمنح المرثية جوًا موسيقيًا صاخبًا، وشديدا يُجسِّد حالة الشاعر الوجدانية، وتجربته الشعورية. ويعتبر من أنسب الأصوات للتعبير عن معاني القوة، ويرجع ذلك لطبيعة نطقه، فعند النطق به "يندفع الهواء من الرئتين مارًا بالحنجرة فلا يُحَرِّك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق حتى يصل إلى أدنى الحلق من الفم، وهناك ينحبس الهواء باتصال أدنى الحلق (بما في ذلك اللهاة) بأقصى اللسان ثم ينفصل العضوان انفصالًا مفاجئًا، فيُحدِث الهواء صوتًا انفجاريا شديدًا"[1]

هذا، والإكثار من استخدام الأصوات المرّققة ذات السلاسة النطقية، والسهولة الإنتاجية، في غرض الرثاء، ليس عاريًا من الدلالة أو خاليًا منها، وإنما كان مناسبًا لموقف الشاعر وهو يرثي سيد الأنام، ففي الرقة احترام لمن يتوجب علينا احترامه، فالأصوات المرققة تمثل حالة الشاعر بعد وفاة النبي ﷺ وما يعانيه بعد رحيله من التذلل والانكسار.

(١) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص:٨٤.

المطلب الثاني

الصوائت ودلالاتها

آثر ذي أثير، فقد رسخ لدى علماء اللغة قديمًا ومن جاء من بعدهم حديثًا، دور الصوت وأثره الدلالي، إفرادًا وتركيبًا، ولعل مما شاع وذاع في هذا قول ابن جني: "إن كثيرًا من هذه اللغة وجدته مضاهيًا بأجراس حروفه أصوات الأفعال، التي عُبِّر عنها: ألا تراهم قالوا (قِضْمٌ) في اليابس، و(خِضْمٌ) في الرَّطْب، وذلك لقوة القاف وضَعْف الخاء فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى والصوت الأضعف للفعل الأضعف..."[١]

بل إننا نجده في التنزيل يتحرى ملاءمة اللفظ معناه، وتصوير الحركة فيه، وإنك لواجد ذلك في تضعيف (الثاء) في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ}[٢]، وإنَّه ليصعب عليك الفِكَاك من تصوّر هذا المشهد الذي رسم فيه هذا التثاقل، حتى طريقة النطق تدل على حركة المتثاقلين، ويتجلّى هذا الأمر أيضًا بتوظيف الشعراء المجيدين صوت الحرف صامتًا أو صائتا في تراكيب شعرهم، وتأمل قول أبي العلاء المعري في مطلع قصيدته:

علّلاني فإنّ بِيضَ الأماني ... فَنِيَتْ والظّلامُ ليسَ بِفاني[٣]

فانظر كيف صرّف القول عند حديثه عن الأماني، على حين خلت (فَنِيَت) من حروف المد؛ لتناسب سرعة انقضاء الأماني، بينما كثرت حروف المد في الظلام وفاني؛ ليوحي طولها وامتدادها بأن هذا الظلامَ مستطيلٌ لا ينتهي، ولا ينقضي.

وتأتي الصوائت ضمن الدراسة الصوتية في دلالتها على المعنى الملصوقة فيه، سواء أكانت طويلة أم قصيرة بوصفها فونيمات، (phoneme) وهذا اللفظ فرنسي الأصل.[٤]

تعريف الصوائت:

الصوائت مصطلح لغوي، اقترحه بعض اللغويين العرب[٥] ترجمة لمصطلح، (vowel)[٦] ، وكانت

---

(١) الخصائص ج: ١، ص: ٦٥

(٢) سورة: التوبة آية:٣٨.

(٣) البيت على الخفيف، سقط الزند، أبو العلاء المعري، ص:٩٤ فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي، ج: ٢، ص: ٣٤٦.

(٤) دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص: ١٦٩.

(٥) علم اللغة العام كمال بشر، ص: ٧٣، ودراسة الصوت اللغوي ج: ١، ص: ١١٤.

(٦) ينظر: الأصوات ووظائفها محمد منصف القناطي، منشورات جامعة الفاتح ليبيا ، ١٩٨٦، ٦٩.

تسمية العلماء المحدثين لها تدور في الفلك ذاته، ولا تختلف كثيرًا عن تسمية علماء الغرب لها، ومن ذلك مثلًا إطلاق الدكتور رمضان عبد التواب مصطلح (الأصوات المتحرّكة) عليها[١]، وسمَّاها الدكتور تمام حسَّان حروف العلة، وأشار إلى أنها ثلاثة، وتنقسم إلى كمّيتين: إحداهما قصيرة أو حركة وثانيهما طويلة أو لين[٢] وسمّاها محمد الأنطاكي الأصوات الطليقة[٣]، ولعلّ في هذه التسمية إبهاما وضبابيّة، وهو على كلٍ، مصطلح غير متداول لا يدلّ بدقّة على هذه الصوائت، وقد عرّفها دانيال جونز (نقلًا عن السعران) بأنّها "أصوات مجهورة يخرج الهواء عند النطق بها، على شكل مستمر من البلعوم والفمِ، دون أن يتعرض لتدخل الأعضاء الصوتية، تدخلًا يمنع خروجه، أو يسبب فيه احتكاكًا مسموعًا"[٤].

إذن فالصوائت هي أصوات أُخْلِي سبيل الهواء عند النطق بها، من دون حوائل تعترضه أو حابس يمنعه من المرور، الأمر الذي جعلها مجهورةً دائمًا وتامة الوضوح، كما أن جميع اللغات لا تخلو منها.

وقد أُطْلِق على الصوائت اسم الحركات، والحركة لغة: ضد السكون. ورُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: آمنت بمحرِّف القلوب، ورواه بعضهم[٥]: آمنت بمحرِّك القلوب، قال الفراء: المحرف: المزيل، والمحرك المقلب[٦].

وفي اصطلاح القرّاء: عَرَضٌ يحل الحرف لإمكان اللفظ والتركيب[٧].

أقسام الصوائت:

تنقسم الصوائت إلى قسمين: الأول الصوائت القصيرة وهي ما سمَّاه نحاة العربية بالحركات (الفتحة والضمة والكسرة)، والثاني الصوائت الطويلة، وهي ما يعرف بحروف المدّ مقصودًا بها الألف في مثل (عَدَا)، والواو في مثل (قالُوا)، والياء في مثل (القاضِي)[٨]، ويُقصَدُ بذلك؛ أن هذه الأصوات تكون صائتة إذا سكِّنت وجانست الحركة التي قبلها، وما كان خلافَ ذلك فلا يعتبر صائتًا، كالياء في (بيت ويدخل) والواو في (ولد ويوم)، وقد أشار ابن جني إلى هذه الصوائت في قوله: "اعلم أن الحركاتِ أبعاضٌ

---

(١) ينظر: المدخل إلى علم اللغة رمضان عبدالتوّاب، ص:٤٢.

(٢) ينظر: مناهج البحث في اللغة ، تمام حسَّان، ص:٩٠.

(٣) ينظر: الوجيز في فقه اللغة ص:٢٢٩.

(٤) علم اللغة، مقدمة القارئ العربي، السعران، ص: ١٤٨، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، ص:٩١.

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، ج:٢٩، ص:٢٠٢.

(٦) ينظر: لسان العرب، ابن منظور،ج:١، ص:٤١٠، وتاج العروس، ج: ٧ ، ص: ١٩، مادة (ح ر ك).

(٧) ينظر: نهاية القول المفيد في علم التجويد ص ٢٨، للشيخ محمد مكي نعيم.

(٨) ينظر: علم اللغة، مقدمة القارئ العربي، السعران، ص:١٤٩.

لحروف المدِّ واللين، وهي الألف والواو والياء فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة، والكسرة، والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، "[1].

ولعلنا نذكر بهذا الصدد ما اعتمده الصوتيّون من تقسيمات للحركات المعيارية، متكئين في ذلك على ما قرّره الأستاذ دانيال جونز من أقيسة لأصوات اللين، والتي مفادها أن الأساس في تحديد نوع الصائت المنطوق هو وضع اللسان داخل الفم أثناء النطق به، ولأوضاع اللسان التي يأخذها أثناء النطق بهذه الصوائت تقسيمان، هما كما يلي:

الأول: وضع اللسان مع الحنك ومدى اقترابه منه أو ابتعاده عنه، وتُقَسَّم الصوائت على هذا الأساس إلى قسمين:

١- صوائت ضيّقة، وهي الضمة والواو، والكسرة والياء، وما قرب منها، ومعها يبلغ اللسان في الصعود إلى الحنك أقصى ما يمكن، وبالتالي يضيق الفراغ بين اللسان والحنك عند النطق بها.

٢- صوائت متَّسعة، وهي الفتحة والألف، وما قرب منهما، ومعها يبلغ اللسان في الهبوط إلى قاع الفمِ أقصى ما يمكن، وبالتالي يكون الفراغ بين اللسان والحنك عند النطق بهما أوسعَ ما يكون[2].

الثاني؛ يأخذ في الاعتبار الجزء الذي يصعد أو يهبط من اللسان، هل هو الجزء الأمامي أم الجزء الخلفي؟، وأقسام الصوائت على هذا الأساس هي:

١- صوائت أمامية، وهي الكسرة والياء، والفتحة والألف، وما بينها، فمعها أوّل اللسان يصعد نحو الحنك الأعلى أو يهبط نحو القاع.

٢- صوائت خلفية، وهي الضمة والواو، وما بينهما، ومعهما أقصى اللسان هو الذي يصعد ويهبط.

وضع الشفتين ومن المأنوس أن نشير هنا إلى وضع الشفتين وتأثّرها عند النطق بهذه الصوائت؛ فمع الفتحة والألف والكسرة والياء تكون منفرجتين، وليس فيهما استدارة أو بروز؛ أما مع الضمة والواو فتكون مستديرة[3].

دلالة الصوائت:

أما عن دلالتها؛ فلا يخفى على الباحثين أثر الصوائت القصيرة أو الحركات في دلالة المشتقات والمصادر، فإنك لا تستطيع أن تفرق بين (سرَقَ) المبني للمعلوم و(سُرِق) المبني للمجهول إلا بالصوائت؛

---

(١) سر صناعة الإعراب، ج:١، ص:٣٣.

(٢) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص: ٣٧، وعلم الأصوات، كمال بشر، ص:٢٢٦، ودراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص: ١٥٤.

(٣) ينظر: السابق نفسه.

فضمة السين التي هي أقوى الحركات في النطق، وكسرة الراء دلت على اختلاف المعنى بين الكلمتين، من هنا بدا أثرها في التفريق بين الفعلين وكذا (منتَقِمٌ ومُنتَقَمٌ) و (معذِب ومعذَب)، وتأتي الضمة وهي أقوى من الفتحة والكسرة[١] للدلالة الأقوى، كما ذكر ابن جني (الذِّل) في الدابة ضد الصعوبة و(الذُّل) في الإنسان ضد العزِّ، فكأنهم اختاروا للفصل بينهما الضَّمة للإنسان؛ لأن ما يلحق الْإنسان أكبر قدرًا مما يلحق الدابة، فالضَّمة أقوى والكسرة لضعفها جعلوها للدَّابة فذلت الدَّابة أي انقادت وسهلت[٢]"، ويطول بنا المقام ويتَسَرَّح الكلام إن تتبّعنا الأمثلة في ذلك، وهي كثيرة.

ومن أكثر المباحث تجلية لدور الصوائت المثلَّثات اللغوية، وهي مثلَّثات تحوي وحدات معجمية مختلفة المعنى متّفِقة في ترتيب حروفها، لكنها تتعاقب حركاتها وتختلف، ويُعَدُّ (قطرب)[٣] أوّل من وضع المثلثات في اللغة العربية ثم (البطليوسي)[٤] وتبعهم بإحسَّان – رحمهم الله جميعًا – ابن مالك، وقد وضع الأخير كتابا في تلك المثلَّثات اللغوية، أسماه إكمال الإعلام بتثليث الكلام، وهو لا شك فنٌ تميل عقول المبدعين إليه، ويُعذَرُ من شدَّة حرصه عليه، أورد ابن مالك فيه (٢١٢٩) مثلثة لغوية اسمية وفعلية[٥]، منها ما جاء على أوزان فَعْلَة وفِعْلَة فُعْلة ، فَعَال، فُعَال، أما قطرب فقد انحصرت مثلثاته في الأسماء، ومن أمثلتها: دَعْوَة ودِعْوة ودُعوَة، ومعانيها ...[٦]

الصوائت في المرثيَّات:

وبنظرة المتبصّر مرثيَّات حسَّان، وبعد إحصاء الصوائت فيها؛ نجد أن الصوائتَ – سواء أكانت قصيرة أم طويلة – قد وُظِّفت بما يناسب المقام، فقد تنوَّعت أغراض المرثيَّات رغم أنها تنضوي تحت موضوع واحد إلا أن لها تشعيبات؛ فنجد أحيانًا الفخر بصفات النبيﷺ التي كان عليها في حياته، والوقوف على الأطلال، وتمني فداء النبي ﷺ بالروح، ووصف لحظة فراقه، ووضعه في اللحد ووصف حال الصحابة بعده. فالصوائت توظَّف للتعبير عن مكنوناته ومشاعره الدفينة، ويجد فيها ملاذًا صادقًا لاستخراج آهاته الحزينة النابعة من قلب مليء بالمآسي والأحزان، وانتشار الألف الصائتة دليل على

(١) الضمة أقوى الحركات نطقًا، والكسرة أقواها في التحرير العربي.

(٢) المحتسب لابن جني، ج: ٢ ص: ١٨ ، ١٩.

(٣) أبو على محمد بن المستنير بن أحمد، الشهير بقطرب، (ت: ٢٠٦هـ) نحوى، عالم بالأدب واللغة، من أهل البصرة. وهو اول من وضع (المثلث) في اللغة. الأعلام للزركلي، ج:٧ ، ص: ٩٥.

(٤) أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد، من العلماء باللغة والأدب، توفِّي سنة ٥٢١ هـ، (الأعلام للزركلي ج:٤ ، ص:١٢٣)

(٥) يُنظر: إكمال الإعلام بتثليث الكلام، تحقيق: سعد بن حمدان الغامدي.

(٦) ينظر: منظومة الموروث لمشكل المثلَّث، محمد تبركان، ص: ١١٥.

مِساحة الحزن والألم التي شغلت حيزًا كبيرًا من قلب الشاعر، وتلك – لا شك – محاكاة صوتية للمعنى وطاقة خاصة للغة قد لا تصور الشيء الموصوف تمامًا، وإنما تحاكي نشاطه وفعاليته محاكاة كلية،(١) وهذا بطبعه يتناسب وسعة مخرج الألف الصائتة أسهل الأصوات نطقا، وأقربها إلى الجوف، حيث تخرج من الرئتين بمساعدة الزفير دون جهد كبير(٢).

ولا يغيب عن الباحثين أن لكلّ صائت في التركيب – سواء أكان هذا الصائت قصيرًا أم طويلًا – رصيدًا من الدلالة، يسهم في رسم الحدث، وبيان ما يريغ إليه الشاعر، وإنك لواجد ذلك عنده حين يكون في نفسه ثورة تؤج أو مرجلٌ يتلهَّب، أو أثارة من حنين، أو تنائي الديار، فإن استعماله الصوائت يختلف في حال ما إذا كان الشاعر يتملكه الفرح، ويملؤه الحبور، فلكل موقف وسائله وأدواته التي يتكئ عليها، وما إخال أحدًا من النقَّاد بقليل من التأمل يغيب عنه هذا، وبالنظر إلى إحصائياتِ الصوائتِ في شعر حسَّان نجدها كالتالي:

الصوائت القصيرة:

وهي الفتحة والضمة والكسرة، وقد اهتم اللغويون بها؛ لما تحمله من دلالات لها الأثر الكبير في لغتنا العربية، وقد بلغ عدد الحركات القصيرة جميعها (٢١٠٠) صائت، وإليك أزجيها مشفوعة بدلالاتها:

الفتحة القصيرة:

وهي صائت أمامي، طغت على كثير من حروف المرثيَّات ولوّنتها، فوصل عدد ورود هذه الحركة القصيرة إلى (١٢١٨) بما يعادل (٥٨%)، والفتح ينبئ عن الكثرة، ويشار به إلى السَّعة، يدلُّك على ذلك أن الأخرس إذا أخبر عن شيء كثير فتح شفتيه، وباعد بين يديه، وفي الفتح دلالة التأثير في العالم الخارجي، وهو عمل صادر عن الإرادة مثل: (ضَرَبَ – فَعَلَ – أَكَلَ – خَرَجَ)، وكلُّها أفعال مفتوحة العين؛ لأنّ الفتحة تدل على العمل الصادر عن الفاعل بإرادة منه حقيقة أو مجازًا(٣)، وساهمت بذلك في إيصال مكنونات الشاعر الداخلية إلى المتلقي.

الضمة القصيرة:

---

(١) النحو الدلالي، دراسة منهجية تطبيقية شعر محمود غنيم نموذجًا، د. حمادة عبدالإله حامد، ص:٢٤٨.

(٢) ينظر: علم اللغة، محمود السعران، ص:١٤٩.

(٣) ينظر: مقال بعنوان: الحركات والسكون في لغتنا العربية: المعاني والدلالات، تاريخ: ٧/ ٧/ ١٤٤٠هـ، الرابط: https://www.manhal.net/article-module-articles-action-show-id-8565.htm

وهي ضد الفتح، حيث تنبئ عن الضيق والقلة، يدلّ على ذلك أنك تجد المقلّل للشيء يشير إليه بضمّ يدٍ أو فمٍ ، كما فعل رسول الله ﷺحين "ذكر يوم الجمعة، فقال: فيه ساعة، لا يوافقها عبدٌ مسلم، وهو قائم يصلّي، يسأل الله شيئًا، إلا أعطاه إياه، **وأشار بيده يقللها**"[(١)]، فإنه جمع أصابعه وضمها ولم يفتحها. وبالرجوع للمرثيَّات فقد جاءت الضمّة (٣٧٢) مرة، بما يعادل (٣٠.٥%)، كما يدلّ هذا الصائت بطبيعته على الجمع والقوة واللزوم والثبوت والتمكّن والدوام كما يظهر من صيغة (فعُل) في لزوم الفعل لموصوفه وثبوته وتمكنه؛ لأنها تدل على الغرائز والسجايا والصفات الثابتة اللازمة لموصوفها. وكذلك نجدهم ضمُّوا مصدر (حُبّ) واستغنوا به عن مصدر (أحب) وكان بالضم دون الفتح، وفي هذا دلالة على قوّة المعنى "وتمكّنه من نفس المحبّ وقهره وإذلاله إياه، حتى إنه ليذلّ الشجاع الذي لا يُذَلُّ لأحد فينقهرُ لمحبوبه ويُستَأسَرُ له ،كما هو معروف في أشعارهم ونثرهم، وكما يدلُّ عليه الوجود، فلمّا كان بهذه المثابة؛ أعطوه أقوى الحركات وهي الضمّة فإنّ حركة المحبّ أقوى الحركات فأعطوا أقوى حركات المتحرِّك أقوى الحركات اللفظيّة؛ ليتشاكل اللفظ والمعنى؛ فلهذا عدلوا عن قياس مصدره وهو الحبُّ إلى ضمه"[(٢)].

ومن هنا جعلت العرب الضمَّة علامة العُمَد؛ لقلتها؛ كما في: (حسُن، خشُن، كبُر، صغُر، قرُب) حيث لا يكون الفاعل إلا واحدًا، وجعلت الفتحة علامة الفضلات؛ لكثرتها. [(٣)].

الكسرة القصيرة:

بلغ عدد ورودها في المرثيَّات (٥١٠) مرَّات، وهي وسط بين الفتحة والضمة مخرجًا ومعنًى، وبين الاتساع والضيق، وهي تدل على التواضع واللين والرقة وإظهار الضعف، يدل على ذلك "أنها حركة المؤنث قصيرة كانت كما في: (أنتِ و رأيتِ الأمهاتِ)، وطويلة نحو : (أنت تقومين وتركعين وتسجدين)"[(٤)]

والصوائت بشكلٍ عامٍّ هي أصوات مجهورة يندفع فيها الهواء من الرئة إلى الفمِ خلال الحلق، دون أن يعيقها عائق كلي[(٥)] كما ذُكِر آنفا.

ولا شكَّ أنَّ استخدام الفتحة وهو صائت أماميّ متّسع محايد قصير، يتّسم بالوضوح عند النطق، خلافًا للأصوات الصامتة، وتتحرك معها الوتران الصوتيَّان[(٦)] ، وقد يوظّفه الشاعر؛ ليشي بسرعة وقوع

---

(١) صحيح مسلم، باب يوم الجمعة، رواه أبو هريرة، رقم الحديث:٨٥٢.

(٢) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية، ج:٢، ص:٨٧.

(٣) مقال: الحركات والسكون في لغتنا العربية، الرابط في الصفحة السابقة.

(٤) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري، ص ٥٣٦.

(٥) علم الأصوات، كمال بشر، ص: ٢١٧، المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبدالتواب، ص:٩١ .

(٦) يُنظر: الأصوات اللغوية، ص: ٣٩.

الحدث أو تمني حدوث هذا الأمر بأسرع ما يمكن على عكس الحركة الطويلة ، كالألف مثلا التي تتناسب دلالتها وامتدادها مع امتداد الحزن والأسى والفقد والندب والشوق والتحسر والموت والفراق، وانظر إليه كيف صرف القول في بيته القائل:

فَبَيْنَا هُمُ فِي ذَلِكَ النُّورِ، إِذْ غَدَا ... إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقصِدُ

مستخدمًا الفتحات بكثرة حيث تكررت (١١) مرة، ليتناسب ذلك مع سرعة الحدث والبغتة التي جاء فيها الموت. ولعلك آنست ذلك في الشطر الثاني، حين تعبيره عن مباغتة سهم الموت بعد أن كانوا في نعمة، فقد ندر المدُّ في الشطر الثاني مع تصوير سرعة الموت، فلم يأت إلا مدَّان واحد بالألف وآخر بالواو، وتجنب تماما المد بالألف؛ فبان أن الحدث سريع مباغت، في حين أنّه في الشطر الأوّل ينتابك إحساس بالامتداد الصوتي علاوة على توليد الإيقاع، ولا يستطيع ذهن القارئ المتبصر الفكاك من تصور الذهن للموقف المتَّضح في مدِّ (فبينا) ثم (همُ) ثم (في) ثم (غدا)، بينما لم نجد ذلك في الشطر الثاني الدال على السرعة، وإنّ ذلك لشبيه بتصرّف الشعراء في هذه المواطن، وطالع معي قول النابغة في بائيته، لحظات خوفه واغترابه تجده يقول:

كليني لهمٍّ يا أميمة ناصبِ ... وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكب[1]

فإحساس الشاعر بالألم ألجأه إلى استعمال الحركات الطويلة التي نقلت إلينا ما يشعر به من طول الوقت، فجعلنا نتصور ما يعاني وما يعايش.

وإنك لواجد ذلك أيضًا في إحساس أبو القاسم الشابي الذي يقطر حزنا ممرورا، كأنما ينوح في بدء القصيدة ومستهلها، حيث قال:

يَـا صَـمِيمَ الْحَيَـاةِ إِنِّـي وَحِيـدٌ ... مُـدْلِجٌ تَائـهٌ فَـأَيْن شُـرُوقُك ؟
يَـا صَـمِيمَ الْحَيَـاةِ إِنِّـي فُـؤَادٌ ... طَـامِعٌ ظَـامِئٌ فَـأَيْنَ رَحِيقُـك ؟
يَـا صَـمِيمَ الحيَـاةِ قَـدْ وَجَـمَ النَّـا ... يُ وَ غَـامَ الفَضَـاءُ فَـأَيْنَ بُرُوقُـك ؟
يَـا صَـمِيمَ الحَيَـاةِ أَيْـنَ أَغَانِيـ ... ـكَ فَتَحْتَ النجومِ يُصْغِي مَشُوقُك[2]

وبأدنى تأمُّلٍ تلحَظ كتلةً مشحونة من الحزن تَتَبَدَّى في اختياره الكلمات الغنية بالمدود، كأنما ينوح في بدء كلِّ بيت ومستهلِّه: يا صميم الحياة...

فالمُدودُ صبغتِ الكلامَ بالحزن؛ لتجبرَك على أن تقف عندها، فتَمُدّ صوتك وتعيش معه حالته تلك مشاركًا ومتألمًا، فهو هنا يصف الوحدة الموحشة التي يعانيها، فهو وحيد تائه، كما أن أصوات القوافي في

(١) البيت على بحر الطويل، من ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم عباس عبد الساتر، ص:٢٩.

(٢) الأبيات على بحر الخفيف، من ديوان أبو القاسم الشابي، دراسة ومختارات، رجاء النقاش، ص: ٩٤.

هذ القصيدة يوحي بعمق المعاناة [(١)].

الصوائت الطويلة:

ولئن كان عدد الفتحات حاز على أكبر النسب في الحركات القصيرة، فقد حازت الفتحة الطويلة النسبة الكبرى بين الصوائت الطويلة، فبلغ عددها (٢٤٨) فتحة طويلة، وتقدمت على الكسرة الطويلة التي وردت (١٠٤) مرّات، والضمة الطويلة التي بلغ عددها (٧٧) مرّة، وإنك لتلمس إيقاعًا نغميًا شجيًا، نابعًا من صوت الألف اللينة المبثوثة في تضاعيف تراكيب الأبيات، والمنسجمة مع حالة الحزن والضنى، والفقد والندب الذي يعاني منه الشاعر، الذي أصيب بكوائن بعد بوائق، فطوى قلبه على أحرَّ من جمر الغضى ، وطوى كشحه على أحدَّ من السيف، وتجرع غصصًا أمرَّ من الحنظل، فإذا به يطيل بالمدود تراكيبه وخصوصًا المد بالألف.

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا ... كُحِلَتْ مَآقِيهَا بِكُحْلِ الأَرْمَدِ

فانظر إليه وقلبه يتنزى بالألم، يخاطب نفسه متسائلا تساؤل الحسرة والألم، ما بال عينك لا تنام، ولا سبيل البتة إلى تغافل دور المدود التي جاء بها حسَّان موضونةً في البيت، حتى بلغت سبعة مدود بالألف في عشر كلمات، وإنها لنسبة عالية. نشعر فيها بالشاعر وهو يتنهَّد وينوح، ولقد أَشْبَعت تلك المدود رغبة الشاعر في تفريغ أحاسيسه وتجربة الفقد، حتى إننا لمسنا طول ليله وجفاء النوم عيونه، ومفارقته الوسن، وكأنه يزفر زَفَرَات الألم ويُنَفِّس عن أشجانه، ذلك لأن هذه الأصواتَ ليست صفةً معزولةً وإنما هي إمكانات مستمرة تدخل فيها اعتبارات أخرى وتتشابك فيها على الدوام زوايا كثيرة، وأنها تستوعب مكونات أخرى تُدرَس في عدة تشكيلات في البنية الإيقاعية للشعر وتُدرَس أحيانا أخرى في التشكيل الصرفي، وتدرس كذلك في النظام النحوي، وفي أبحاث خاصة من التركيب البلاغي أو الاستعاري"[(٢)].

ويتجلّى دور المد بالألف أكثر حين يندب الشاعر وينوح موظفًا أعلى نسبة من المدود مع الاستفهام، ويزاوج الشاعر في مرثيَّاته بين الصوائت فيكثر منها حينا ويتحاشاها في أحايين أخرى حسبما يستدعي السياق والموقف، ومن أدلة ذلك قولُه في الأبيات:

نَبِّ الْمَسَاكِينَ أَنَّ الْخَيْرَ فَارَقَهُم ... مَعَ النَّبِي تَوَلَّى عَنْهُمُ سَحَرَا

مَنْ ذَا الَّذِي عِنْدَهُ رَحْلِي وَرَاحِلَتِي ... وَرِزْقُ أَهْلِي إِذَا لَمْ يُؤنِسُوا الْمَطَرَا

---

(١)ينظر: دلالة الألفاظ في سياقها البياني ، مقال على موقع منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العنكبوتية، لأستاذي الدكتور: حمادة عبدالإله، رابط الموقع:

http://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=16178

(٢) نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ص: ٤٦.

أَمْ مَنْ نُعَاتِبُ لَا نَخْشَى جَنَادِعَه ... إِذَا اللِّسَانُ عَتَا فِي الْقَوْلِ أَوْ عَثَرَا

كَانَ الضِّيَاءَ وَكَانَ النُّورَ نَتْبَعُهُ ... بَعْدَ الْإِلَهِ وَكَانَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَا

فَلَيْتَنَا يَوْمَ وَارَوْهُ بِمَلْحَدِهِ ... وَغَيَّبُوهُ وَأَلْقَوْا فَوْقَهُ الْمَدَرَا

لَمْ يَتْرُكِ اللَهُ مِنَّا بَعْدَهُ أَحَدًا ... وَلَمْ يُعِشْ بَعْدَهُ أُنْثَى وَلَا ذَكَرَا

إن حالة الشاعر لتذكرنا بالنائحة التي تعدد مناقبَ الفقيد، المفقودةَ بفقده، فإنه يجعلنا نتصور هذا المشهد جليًا وهي تقول (من غيرك لنا، من يداوي جراحنا بعدك)، إن هذا الشعورَ المسيطرَ على الشاعر دفعه لاستغلال الأدوات النصية ومنها الصوائت التي أزجاها هنا لتتعانق مع هذا أحاسيسه؛ لتنتج صورة حية للمسكين الذي ينوح لفراق من يعوله ومن بيده زمام أمره، فتأمّل كلماتِه (المساكين، فارقهم، راحلتي، نعاتب، اللسان عتا أو عثرا...)؛ لتجد نفسك مجبرًا على تمثل الحدث ومعايشة المشاعر، وكأنك معه الآن تشاطره أحزانه، وتطوي الزمان القهقرى، آمادا طويلة لتعيش اللحظة في وقتها رأي العين، على حين نجد تحاشيَه المدود في البيت الأخير:

لَمْ يَتْرُكِ اللَهُ مِنَّا بَعْدَهُ أَحَدًا ... وَلَمْ يُعِشْ بَعْدَهُ أُنْثَى وَلَا ذَكَرَا

لأنه يتمنى أن يحدث ذلك بسرعة فلا مجال هنا للإطالة؛ ففي حديثه عن صفات سيد الأنام ﷺ أطال صورة وجود النبيِّ بينهم بالمدود، وعندما انتهى من وصف محاسنِه ﷺ، رأى وكأن الحياة لا معنى لها بدونه فتمنى لو أن الحياة انتهت برحيله ﷺ، ولم يُبقِ الله بعد وفاته ﷺ أحدا، وعندما أتى بهذا الموقف في البيت الأخير؛ نراه تخلى عن المدود التي وظفها في الأبيات السابقة؛ لأنه طلب لا يستدعي الإطالة فلا مجال هنا لتوظيف المدود، ومن ثم لا نطالع المد في هذا البيت إلا نادرًا مقارنة بما كان في الأبيات السابقة ، فإن هذه الصوائتَ بجانب ما تتمتع به من وظيفة موسيقيّة، تترك للشاعر مجالا لأن ينوع مرة بالمد ومرة بالحركة القصيرة، وهذا يشي بسعة إمكاناتها الصوتية ومرونتها في الاستعمال اللغوي، وتلك ميزة تنماز بها اللغة العربية بشكل أكبر عن غيرها من اللغات، كما أن اتساع الصوائت عامل أساس في اتساع الدلالة.

يلاحظَ أيضا أنَّ هناك من الأبيات التي اقتضت فيها طبيعة الموقف السرعة وعدم الوقوف طويلًا، وكأن الموقف يمر في لمح البصر، ومن ذلك:

تُهِيلُ عَلَيْهِ التُّرْبَ أَيْدٍ وَأَعْيُنٌ ... عَلَيْهِ، وَقَدْ غَارَتْ بِذَلِكَ أَسْعُدُ[1]

وفي هذا البيت كأنما يتمنى الشاعر أن ينتهي الموقف سريعا، موقف الدفن والمواراة؛ لأنه لا يتخيل أن يُوَسَّد جسد النبيِّ ﷺ بالتراب من قِبَل أحب الناس إليه، ومن ثمّ آثر الاعتمادَ على الحركات دون المد، فلم

(١) ديوان حسّان بن ثابت، ص:١٣٥، ٩٢.

يأت المد إلا مرتين في مستهل البيت وقافيته ، إن ثمّة شعورا بكَفْكَفة النفس عن تصوُّر هذا المشهد وتخيل هذا الموقف، وكأنه يتمنى أن لم يكن بعدما كان.

أما عن الواو والياء الصائتتين؛ فقد أورد الخليل في كتاب الحروف معنيين في الواو بشكل عام، أحدهما البعير ذو السنام العظيم.

وتحدثت المعاجم عن أقسام الواو والياء واستعمالاتهما، وقد ذكر الخليل أن الياء بمعنى الناحية بدليل قول الشاعر:

تَيَمَّمْتُ يَاءَ الحَيِّ حِينَ رَأَيْتُها ... تُضِيءُ كَبَدرٍ طَالِعٍ لَيْلَةَ البَدْرِ(١)

وليس من وكد البحث هنا الاستطراد في هذا، وما يعنينا هنا هذان الصائتان ودلالتهما، وحين نطالع توظيف حسَّان للواو والياء؛ فسنجد أنّه جعل منها معادلا صوتيًا ينسجم في حال الواو مع المعاناة، ومع الياء في الحزن العميق، ومن أمثلة ذلك :

وَرَاحُوا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ نَبِيهُمْ ... وَقَدْ وَهَنَتْ مِنْهُمْ ظُهُورٌ، وَأَعْضُدُ

يُبَكُّونَ مَن تَبْكِي السَّمَاوَاتُ يَوْمَهُ ... وَمَنْ قَدْ بَكَتْهُ الْأَرْضُ فَالنَّاسُ أَكْمَدُ

وَهَلْ عَدَلَتْ يَوْمًا رَزِيئَةُ هَالِكٍ ... رَزِيئَةَ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدُ

تَقَطَّعَ فِيهِ مَنْزِلُ الوَحْيِ عَنهُمُ ... وَقَدْ كَانَ ذَا نُورٍ، يَغُورُ وَيُنْجِدُ

رغم أن مجيء حركة الضمة الطويلة في الأبيات قليل إلا أننا نجده وظفها في حالة توصيف معانة الصحابة بعد وفاته ﷺ، فبتأملنا لهذه الكلمات (راحوا، ظهور، يبَّكون، نور، يغور)؛ نجد هذه الألفاظ موشّاة بالضعف، موسومة بالثقل، والصعوبة، مغمسة بالشقاء، التي تناسبها الواو والضمة، والتي تساهم في إظهارها.

ولم يفت حسَّان توظيف الضمّة لحرف الروي، وهو ما يسمى عند العرب (المجرى) في مرثيته الأولى التي قال في مستهلها:

بِطَيْبَةَ رَسْمٌ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدُ ... مُنِيرٌ، وَقَدْ تَعْفُو الرُّسُومُ وَتَهْمُدُ(٢)

ليمنحنا إحساسا بحجم المعاناة التي تغلف الأبيات.

وقد جاءت الياء والكسرة لتمثل معادلًا صوتيًا، ليمنح الحزن شحنة مكتنزة من الدلالة، ويتضافر مع صنوه من الحركات والمدود، في رسم الصورة والمعنى الذي إليه يريغ الشاعر، ومن ذلك قوله:

---

(١) البيت على بحر الطويل، ذكر في كتاب الحروف للخليل، ص:٤٧.

(٢) ينظر الديوان، جميع أبيات حسّان، ص:٩١،٩٣. على التوالي.

وَجْهِي يَقِيكَ التُّرْبَ لَهْفِي لَيْتَنِي ... غُيِّبْتُ قَبْلَكَ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ

بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ شَهِدْتُ وَفَاتَهُ ... فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ النَّبِي الْمُهْتَدِي(١)

فقد تعانق الكسر والياء من جهة والظواهر الصوتية من جهة أخرى، في إيصال هذا الكمِّ من الشجن والحزن، ولا يَندُّ عن ملاحظة المتأمل استعمال الشاعر ياء متكلمه في الكلمات (وجهي، أبي، أمي) مضافة إلى أغلى ما يملك، يفتدي بها حبيبه النبي ﷺ.

وصفوة القول، إن للصوائت تأثيرًا في الدلالة متنوعًا، يوظفها الشاعر بوعي أو دون وعي؛ لتسهم في نقل الصورة وتكثيف الدلالة، وهذا شأن القرآن قبل ذلك ، والأمثلة في ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِين}(٢)، فنلاحظ كثرة المدود في بداية الآية حيث لم تخل كلمة منها، حيث استدعى الموقف ذلك، على حين كادت ان تخلو نهاية الآية من هذه المدود، عندما قُضِيَ الأمر، فسبحان من هذا كلامه. وقد ذكرنا ما ذكرناه ثمة واجتزأناه؛ ليقاس ما لم يُذكَر على ما ذُكِرَ، وسبحان من وهب اللغة العربية كل هذه القدرات الكامنة والبحر الزاخر، ولله در حافظ حين قال:

أَنَا البَحْرُ في أَحْشَائه الدُّرُ كَامِنٌ ... فَهَلْ سَاءَلُوا الْغَوَّاصَ عَنْ صَدَفَاتِي(٣)

(١) الديوان، ص: ٩٦.

(٢) سورة: هود، آية:٤٤.

(٣) البيت على الطويل، ديوان حافظ إبراهيم، ضبط وتصحيح وشرح أحمد أمين وآخرين، ص: ٢٥٤.

المبحث الثاني

المقاطع والنبر ودلالاتهما

- **المطلب الأول: المقاطع ودلالاتها.**
- **المطلب الثاني: النبر ودلالاته.**

المطلب الأول

المقاطع الصوتيَّة ودلالاتها

يجدر بنا – بعد أن تقصينا الوحدات الصوتيةَ صائتَها وصامتَها وتنوعاتِها ودلالاتِها – أن نترقى إلى اللبنة التي تكونها هذه الأصوات قبل تكوينها للكلمة، وندلف إلى دراستها في سياقها دراسة صوتية دلالية، وهي (الوحدة المقطعية) مع بيان كيفية تآلف الوحدات الدنيا (الأصوات) مع بعضها لتكوين الوحدات العليا (المقاطع).

ويمكننا القول بشيء من التجاوز إن المقطع وحدة أكبر من الصوت وأصغر من الكلمة، وإن كانت هناك كلمات أحاديّة المقطع، مثل (من) فهي تتكون من مقطع واحد[١].

ولقد ورد مصطلح المقطع في تراثنا العربي عند الفارابي[٢] (ت:٣٣٩هـ) في كتابه الموسيقى الكبير، والمقطع عنده حصيلة اقتران حرف غير مصوّت (صامت) بحرف مصوت (حركة)، فنلفيه في ذلك يقول: "وكل حرف غير مصوّت أتبع بمصوت قصير، قرن به، فإنه يسمى المقطع القصير، والعرب يسمونه الحرفَ المتحرّك، من قِبَل أنهم يسمون المصوّتاتَ القصيرةَ حركاتِ، وكل حرف لم يتبع بصوت أصلًا وهو يمكن أن يقرن له، فإنهم يسمونه الحرف الساكن، وكل حرف غير مصوّت قرن به مصوّت طويل فإنا نسميه المقطع الطويل"[٣]، وهذا التفصيل يشبه تمامًا تصوّر المحدثين للمقاطع، ويضارع رأيهم فيها.

وقد اختلفت آراء الباحثين في تعريف المقطع، ولم يكن تعريفهم إيَّاه ضربة لازب، "ومن اللافت للنظر أنه ليس هناك حتى الآن تعريف واحد متفق عليه، يمكن أخذه منطلقًا لدراسة المقطع وأنماطه وكيفيات تركيبه في كل اللغات. ذلك أن هذه اللغات تختلف فيما بينها اختلافًا واضحًا في هذا الشأن على الرغم من وجود شيء من التشابه في بعض الأمثلة الجزئية، الأمر الذي لا يُسَوِّغ الحكم بالتماثل أو التوافق الكامل في النظام المقطعي لهذه اللغات"[٤]، هذا، ولم تقع يدي – بعد بحث مستفيض مني – على تعريف دقيق للمقطع، غير أني آنست بعض الباحثين قد اجتهدوا في تعريفه، فأفادوا بأنه "

---

(١) علم الأصوات كمال بشر، ص:٥٠٣.

(٢) أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي، ولد في فاراب عام (٢٦٠هـ)، فيلسوف مسلم ويعرف بالمعلم الثاني، أكبر فلاسفة المسلمين، تركي الأصل، مستعرب، الأعلام للزركلي ج:٧، ص:٢٠.

(٣) الموسيقى الكبير، ت: غطاس عبد الملك خشبة، ص: ١٠٧٥.

(٤) علم الأصوات كمال بشر، ص: ٥٠٤.

مجموعة من الأصوات اللغوية تشتمل على حركة واحدة"[١] وهناك من قال إنه "أقل كميّة لصوت ملفوظ يصدر خلال حدوث نبضة صدرية"[٢].

ومن المعهود والمأنوس لغويًّا أن هناك أواصرَ قويةً وعلاقةً رابطةً بين الوحدات المقطعية والتفعيلات العروضية ، وعلى كلٍّ، فإن قراءة الشعر العربي ، وحدوَه وترتيله بلسان أصحابه ، أقرب إلى وحدات الخليل الوزنية منه إلى المقاطعِ الحديثة ، ربما يعود ذلك للممارسة والتعود على ذلك آمادًا طويلة بشكل متوارث، ، ثم إن المقاطع تؤدي إلى وحدات الخليل؛ فالسبب الخفيف يساوي مقطعًا مغلقًا (س ع س) ومثاله (هل)، والسبب الثقيل يساوي مقطعين قصيرين (س ع / س ع) كما في كلمة (لَكَ)، والوتد المجموع يساوي مقطعًا قصيرًا وآخر طويلًا (س ع / س ع ع) كما في كلمة (على)، والوتد المفروق هو (س ع ع/ س ع) نحو: (قامَ) ، والفاصلة الصغرى (س ع / س ع / س ع س) كما في (فَرِحَتْ)، والفاصلة الكبرى (س ع / س ع– س ع /س ع ع) نحو: (غمرنا)، والمقطع الطويل في كل ما سبق قد يجيء مغلقًا.

وفي التفعيلات، تفعيلة: فعولن تصبح س ع/ س ع ع/ س ع س ، وتفعيلة: مفاعلتن تقطع س ع / س ع ع / س ع / س ع / س ع س ، وهكذا دواليك.. تعوض أجزاء التفاعيلِ بما يساويها من المقاطع[٣].

وبهذا يُقَسَّم البيت إلى وحدات صوتيّة معيّنة، أو إلى مقاطعَ صوتيةٍ – تُعرَف بالتفاعيل – بغض النظر عن بداية الكلمات ونهايتها؛ فقد ينتهي المقطع الصوتي أو التفعيلة في آخر كلمة، وقد ينتهي في وسطها، وقد يبدأ من نهاية كلمة، وينتهي ببدء الكلمة التي تليها.[٤]

أما عن أنواع المقاطع الصوتية؛ فهي – من حيث طبيعة الصوت الأخير في المقطع – نوعان: مفتوح ومغلق، والمقطع المفتوح هو الذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل، أما المقطع المغلق؛ فهو الذي ينتهي بصوت ساكن،[٥] وقُسِّمت المقاطع – أيضًا – من حيث مدى الطول إلى قسمين: قصير وطويل؛

---

(١) علم الصوتيات، عبد العزيز أحمد علام، عبدالله ربيع محمود، ص: ٢٧٩.

(٢) ينظر: مقال: الشعر، نظامه المقطعي وعروضه الرقمي ، وقصيدة نثره ،وسرعته أ. كريم مرزة الأسدي، من الشبكة العنكبوتية، بتاريخ٢٧/ ٣/ ٢٠١٩م الرابط:
http://www.arabiclanguageic.org/print_page.php?id=6082

(٣) السابق، نفسه.

(٤) علم العروض والقافية، عبد العزيز عتيق، ص:٩.

(٥) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص:١٥٠.

فالقصير هو ما بدأ بصوت صامت، وجاءت بعده حركة قصيرة[١]، والطويل هو ما زاد على ذلك.

وينبغي أن نشير هنا إلى أن اللغة العربيّة تشتمل على خمسة أنواع من المقاطع، ولتمثيلها أرمز لجميع السواكن بالحرف /س/ وللحركات القصيرة بالحرف /ع/، وللحركات الطويلة بالحرفين /ع ع/، وأحوصلها فيما يلي[٢]:

١- المقطع القصير المفتوح، ويتألف من صوتين: صامت وحركة قصيرة (س ع)، ومثال ذلك: مقاطع كلمة (كَتب) الثلاثة: كَ / تَ / بَ، فالكاف مقطعٌ قصيرٌ، ومثله التاء والباء.

٢- المقطع المتوسط المفتوح، وهو مكون من صوتين: صامت وحركة طويلة (س ع ع)، ومثاله حرف النفي (مَا).

٣- المقطع المتوسط المغلق، ويتألف هذا المقطع من صامتين تتوسطهما حركة قصيرة (س ع س)، ومن أمثلته: المقطعان المكونان للبنية : (كنتم) كُ نْ/ تُ مْ، عند الوقف عليها.

٤- المقطع الطويل المغلق، ويتألف من صامتين تتوسطهما حركة طويلة (س ع ع س)، ومثال هذا المقطع كلمة (باغْ) عند النطق بها ساكنة، في حالة الوقف.

٥- المقطع الطويل المزدوج الإغلاق، وهو مكون من صامت وحركة قصيرة ثمّ صامتين (س ع س س)، ومثال هذا النوع: (فضْلْ) عند النطق بها ساكنة.

"والأنواع الثلاثة الأولى من المقاطع العربية هي الذائعة وهي التي تكون الكثرةَ الغالبةَ من الكلام العربي، أما الرابع والخامس فقليلة الشيوع، ولا تكون إلا في أواخر الكلمات وحين الوقف[٣].

وفي اللغة العربية كلمات أحاديةُ المقطع ، مثل (منْ) بكسر الميم أو فتحها، وثنائيةٌ مثل (لـمَّا) وثلاثيته، مثل (يقاتل)، ورباعيته مثل (يتعلَّم) وخماسيته مثل (متخاصمين) وسداسيته مثل (يتجاهلون) وسباعيته مثل (مُتَحَدِّثَيْهِمَا)[٤].

ولتطبيق هذه المقاطع ومعرفة دلالاتها، سوف أنتخب من كل قصيدة ما يمكنني الحكمُ به، والتبيّنُ من خلاله أنواع المقاطع المسيطرةِ على أبياتِ حسَّان، والمهيمنةِ على تراكيبه.

وهذه أبيات من دالية حسَّان على بحر الطويل القائلِ فيها:

ظَلِلْتُ بهَا أَبْكِي الرَّسُولَ، فَأَسْعَدَتْ ... عُيونٌ، وَمِثْلَاها مِنَ الجَفْنِ تُسْعِدُ[٥]

---

(١) المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التوّاب، ص:١٠١.

(٢) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص: ٣٠١

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص:١٥٤.

(٤) مناهج البحث في اللغة، تمام حسَّان، ص:١٤٢.

(٥) الديوان، ص:٩١.

تَذَكَّـــرُ آلَاءَ الرَّسُـــولِ، وَمَـــا أَرَى ... لهَـــا مُحصِـياً نَفْـسِي، فنَفسِـي تَبلَّـدُ

مُفَجَّعَـةٌ قَـدْ شَـفَّهَـا فَقْـدُ أَحْمَـــدِ ... فَظَلّـــتْ لآلَاءِ الرّسُـــولِ تُعَـــدِّدُ

وَمَـا بَلَغَـتْ مـنْ كُـلِّ أمْـرٍ عَشِـيرَهُ ... وَلكِـنَّ نَفسِي بَعْـضَ مَا فِيهِ تَحْمَدُ[1]

نجد المقاطع موزعةً كالتالي:

ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت: س ع/س ع س / س ع / س ع / س ع ع / س ع س / س ع س / س ع ع / س ع / س ع / س ع س / س ع / س ع س .

عيـون ومثلاهـا مـن الجفـن تسـعد: س ع / س ع ع / س ع س / س ع / س ع / س ع ع / /س ع ع / س ع / س ع س / س ع س / س ع / س ع س/ س ع / س ع .

تذكّر آلاء الرسول وما أرى: س ع / س ع س / س ع / س ع / س ع ع / س ع ع / س ع س / س ع ع / س ع / س ع / س ع ع/ س ع / س ع .

لها محصيا نفسي فنفسي تبلد: س ع / س ع ع / س ع س / س ع / س ع س / س ع س/ س ع ع / س ع / س ع س/ س ع ع / س ع / س ع س / س ع / س ع .

مفجعـة قـد شـفها فقـد أحمـد: س ع / س ع س / س ع / س ع / س ع س / س ع س / س ع س / س ع / س ع ع / س ع س / س ع / س ع س/ س ع / س ع .

فظلّـت لآلاء الرسـول تعـدّد : س ع / س ع س/ س ع س / س ع / س ع ع / س ع ع / س ع / س ع ع / س ع / س ع / س ع / س ع س / س ع / س ع .

وما بلغت من كلّ أمر عشيره : س ع / س ع ع / س ع / س ع / س ع س / س ع س / س ع / س ع / س ع س / س ع س / س ع / س ع / .

ولكن نفسي بعـض ما فيه تحمد : س ع / س ع / س ع س / س ع / س ع س / س ع ع / س ع / س ع ع / س ع / س ع / س ع ع / س ع / س ع س / س ع / س ع .

يتكـون هـذا النمـوذج مـن (١١٢) مقطعًـا، منهـا (٥٨) مقطعًـا متوسـطًا، وتنقسـم هـذه المقـاطع المتوسطة إلى (٣٦) مقطعًا مغلقًا، و(٢٢)مقطعًا مفتوحًا، أما عدد المقاطع القصيرة؛ فقد كان زَهاءَ (٥٤) مقطعًا .

وبنظرة المتأمل، نلاحظ أن البيت الواحد تكوّن من ثمانية وعشرين مقطعًا، أربعة عشر مقطعًا في الشطر الأول، ومثلها في الثاني، كما أننا نلاحظ أن المقاطعَ القصيرةَ (س ع)، تكررت من ثلاث عشرة

(١) الديوان، ص:٩٨.

إلى خمس عشرة مرة في البيت الواحد، والمقطع المتوسط المغلق (س ع س)، تكرر من سبع مرات إلى عشر مرات في كل بيت من أبيات المرثية، في حين تكرر المقطع المتوسط المفتوح (س ع ع) من ثلاث إلى خمس مرات في البيت الواحد، ولم يشذَّ عن ذلك النمط سوى أبيات قليلة في تلك المرثية، تكررت فيها المقاطع المفتوحة ثماني مرات؛ لينفتل الشاعر فيها عن دأَبه ويخرج عن هجِّيراه وديدنه، ولعلَّ إلحاحه بوعي أو بدون وعي على تلك المقاطع؛ كانت متنفسًا ليطلق فيه آهاة الحزن الذي استنفد جلده وملك خلده، وكاد أن يكون لزاما وعُدَّ غراما، ويخفف عن آلامه وأحزانه إلى أقصى مدى ممكن لها؛ وذلك بتكرار الصوائت، كما رأينا.

وعلى نفس البحر والقافية والروي من ذلك – أيضا – قول ابن الرومي[١] (ت:٢٨٣هـ) في مرثيته لابنه الأوسط[٢]:

تَوَخَّى حِمَامُ المَوْتِ أَوْسَطَ صِبْيَتِي ... فَلِلَّـهِ كَيْـفَ اخْتَـارَ وَاسِـطَةَ العِقْـدِ
لَقَـدْ أَنْجَـزَتْ فِيـهِ المَنَايَـا وَعِيـدَهَا ... وَأَخْلَفَـتْ الآمَـالُ مَـا كَـانَ مِـنْ وَعْـدِ
مُحَمَّــدُ مَــا شَــيْءٌ تُــوُهِّم سَــلْوَةً ... لِقَلْبِــيَ إلَّا زَادَ قَلْبِــي مِــن الوَجْــدِ
أَرَى أَخَوَيْــكَ البَــاقِيَيْنِ فَإِنَّمَــا ... يَكُونَـانِ للْأحْـزَانِ أَوْرَى مِـنَ الزَّنْـدِ

ولو وقع اختيارنا على بيت من هذه الأبيات؛ لآنسنا التشابه بينه وبين أبيات مرثيَّة حسَّان، وإليك التحليل الصوتي للبيت الأول:

تَوَخَّى حِمَامُ المَوْتِ أَوْسَطَ صِبْيَتِي: س ع/ س ع س/ س ع ع/ س ع/ س ع ع/ س ع س/ س ع س/ س ع/ س ع س/ س ع/ س ع/ س ع س/ س ع س/ س ع / س ع ع.

فَلِلَّهِ كَيْفَ اخْتَارَ وَاسِطَةَ العِقْدِ: س ع/ س ع س/ س ع/ س ع/ س ع س/ س ع س/ س ع ع/ س ع/ س ع ع/ س ع/ س ع/ س ع/ س ع س/ س ع س/ س ع.

فقد اتفقت القصيدتان وزنًا ورويًا، وكذلك في عدد المقاطع رغم اختلافهما في حركة الروي (الـمَجْرَى)، إلا أنهما ترافقتا غاية واتخذتا من المقاطع الصوتيَّة دالًا؛ ليعبر عن دلالة واحدة هي دلالة الأسى الذي يغلف الأبيات بأطمار من آلام فقد الحبيب. إنْ في قلبيهما إلا شجنٌ ممرور، لا يعرفان له حدًّا، ولا يطيقان له تحمّلًا ، تتبدل الحالات وهو مقيم.

(١) علي بن عباس بن جريج، أو جورجيس، الرومي، أبو الحسن: شاعر كبير، من طبقة بشار والمتنبي، روميّ الأصل، كان جده من موالي بني العباس، ولد ونشأ ببغداد، ومات فيها مسموما. الأعلام للزركلي ،ج:٤ ، ص: ٢٩٧.

(٢) الأبيات على بحر الطويل، من ديوان ابن الرُّومي، شرح: أحمد حسن بسج، ج:١، ص:٤٠١.

ولو أعدنا النظر في باقي مرثيَّات حسَّان لوجدنا النتيجة نفسها؛ وهذا لأنها تصب في غرض واحد، ففي جميع المرثيَّات نلاحظ ندرة المقاطع المفتوحة على خلاف المقاطع القصيرة والمغلقة التي تنتشر في الأبيات لتنقل إلينا صورة الشاعر الحزين المكبوت.

وإليك أسوق بيتين من كل مرثية؛ حتى أبرهن لك على ذلك، ولا شك أن البيتين يمكن القياس عليهما؛ لأنّه من المتعارف عليه والمُسلَّم به أنَّ التقطيع الصوتيّ في القصيدة كلها شبيه بأن يكون على وتيرة واحدة، وصحيح أن بعض الأبيات قد تجنح قليلًا عن هذه الوتيرة؛ لدلالات تغذي الغرض الذي تدور فيه، لكن ما نتوق إليه هنا هو الكَثرة الكاثرة لا القلة النادرة، وما يقاس عليه.

وإليك أزجي هذين البيتين كمثال من المرثية الثانية التي جاءت على بحر الكامل:

يَـا وَيْـحَ أَنْصَـارِ النَّبِـيِّ وَرَهْطِـهِ ... بَعْدَ الْمُغَـيَّبِ فِي سَـواءِ الْمَلْحَدِ

ضَاقَتْ بِالَانْصَارِ الْبِلَادُ فَأَصْبَحَتْ ... سُـودًا وُجُـوهُهُمُ كَلَـوْنِ الإِثْـمِدِ[1]

ويكون تقطيعهما كالتالي:

يَا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ: س ع ع/ س ع س/ س ع/ س ع س/ س ع ع/ س ع س/ س ع/ س ع س/ س ع/ س ع/ س ع س/ س ع/ س ع.

بَعْدَ الْمُغَيَّبِ فِي سَوَاءِ الْمَلْحَدِ: س ع س/ س ع س/ س ع/ س ع س/ س ع/ س ع ع/ س ع ع/ س ع ع/ س ع س/ س ع س/ س ع/ س ع.

ضَاقَتْ بِالَانْصَارِ الْبِلَادُ فَأَصْبَحَتْ: س ع ع/ س ع س/ س ع/ س ع س/ س ع ع/ س ع س/ س ع/ س ع س/ س ع/ س ع ع/ س ع/ س ع/ س ع س/ س ع/ س ع/ س ع س/ س ع/ س ع.

سُودًا وُجُوهُهُمُ كَلَوْنِ الإِثْمِدِ: س ع ع/ س ع س/ س ع/ س ع ع/ س ع/ س ع/ س ع/ س ع/ س ع/ س ع س/ س ع س/ س ع س/ س ع/ س ع.

ونخلص من هذا التقطيع إلى أن كل بيت من أبيات هذه المرثية تضَمَّن ستة وعشرين مقطعًا، منها اثنا عشر مقطعًا قصيرًا، ومن عشرة إلى تسعة مقاطع متوسطة من النوع المغلق، ومن أربعة إلى خمسة من المقاطع المتوسطة المفتوحة، ومن هذا المثال يتبين لنا أن ورود المقاطع المغلقة بهذا الكم شبيه بالمرثيّة الأولى، وقد أشرنا سابقًا إلى دلالة هذا، وسأَزيد شيئًا من التفصيل بعد أن أَسرُد أمثلة المقاطع في باقي المرثيَّات.

وهذا مثال من المرثية الثالثة التي من بحر البسيط :

مِنَ الَّذِي كَانَ فِينَا يُسْتَضَاءُ بِهِ ... مُبَـارَكَ الْأَمْـرِ ذَا عَـدْلٍ وَإِرْشَـادِ

---

(١) الديوان، ص: ٩٦.

مُصَـدِّقًا لِلنَّبِيِّـيْنَ الْأُلَـى سَلَـفُوا ... وَأَبْـذَلَ النَّـاسِ لِلْمَعْرُوفِ لِلْجَـادِي[1]

وتقطيع البيتين كالتالي:

مِـنَ الَّـذِي كَـانَ فِينَـا يُسْتَضَـاءُ بِـه: س ع/ س ع س/ س ع/ س ع ع/ س ع ع/ س ع/ س ع ع/ س ع ع/ س ع س/ س ع/ س ع ع/ س ع/ س ع/ س ع.

مُبَارَكَ الْأَمْرِ ذَا عَدْلٍ وَإِرْشَادِ: س ع/ س ع ع/ س ع/ س ع س/ س ع س/ س ع/ س ع ع/ س ع س/ س ع س/ س ع/ س ع س/ س ع ع/ س ع.

مُصَـدِّقًا لِلنَّبِيِّـيْنَ الْأُلَـى سَلَـفُوا: س ع/ س ع س/ س ع/ س ع س/ س ع س/ س ع س/ س ع/ س ع س/ س ع ع/ س ع س/ س ع/ س ع ع/ س ع/ س ع.

وَأَبْـذَلَ النَّـاسِ لِلْمَعْرُوفِ لِلْجَـادِي: س ع/ س ع س/ س ع/ س ع س/ س ع س/ س ع ع/ س ع/ س ع س/ س ع ع/ س ع/ س ع/ س ع س/ س ع/ س ع.

ولا يمكننا أن نتجاوز بيته اليتيم، الذي يزاهي بعمقه مرثية كاملة، ويعادل بيانها، وقد جاء من بحر البسيط، وسبق تسميته بالمرثية الرابعة:

أَلَا دَفَنْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ فِي سَفَطٍ ... مِـنَ الْأُلُـوَّةِ وَالْكَـافُور مَنْضُـودِ[2]

وتقطيعه كما يلي:

أَلَا دَفَنْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ فِي سَفَطٍ: س ع/ س ع ع/ س ع/ س ع س/ س ع س/ س ع/ س ع ع/ س ع س/ س ع/ س ع ع/ س ع/ س ع/ س ع.

مِـنَ الْأُلُـوَّةِ وَالْكَـافُورِ مَنْضُـودِ: س ع/ س ع س/ س ع/ س ع س/ س ع س/ س ع / س ع/ س ع س/ س ع ع/ س ع ع/ س ع/ س ع س/ س ع ع/ س ع.

واستئناسًا بقول ابن دريد في جمهرته "أخْبرني أبو حاتمٍ عن الأصمعيّ أحْسبهُ عن يونس، وأخبرَني يزيدُ ابن عمرو الغَنَوي عن رجاله قال: مر أعرابي بالنبي – صلّى الله عليه وسلّم – وهو يُدْفَن، فقال:

ألاّ جعلتم رسولَ اللّه في سَفَطٍ ... مِن الألُوَّة أَصْدَى مُلْبَساً ذهبا[3]

ويبدو بالبحث بعد النظر في تشابه متن هذا البيت وبيت حسَّان أنَّ الأخير – أيضًا – قد قاله وقت دفن النبي ﷺ ومواراة جسده الشريف.

وأَسرُدُ لك من المرثية الخامسة – التي جاءت على البسيط كذلك– مطلعها:

---

(١) الديوان، ص:٩٧.

(٢) الديوان،ص:٩٨

(٣) البيت على البسيط، نقلًا عن صاحب الجمهرة، ج:٢، ص: ٨٣٥

نَبِّ الْمَسَاكِينَ أَنَّ الْخَيْرَ فَارَقَهُم ... مَعَ النَّبِيِّ تَوَلَّى عَنْهُمُ سَحَرَا

مَنْ ذَا الَّذِي عِنْدَهُ رَحْلِي وَرَاحِلَتِي ... وَرِزْقُ أَهْلِي إِذَا لَمْ يُؤنِسُوا الْمَطَرَا[1]

والتقطيع الصوتي لهذين البيتين على النحو التالي:

نَبِّ الْمَسَاكِينَ أَنَّ الْخَيْرَ فَارَقَهُم: س ع س/ س ع س/ س ع/ س ع ع/ س ع ع/ س ع/ س ع س/ س ع س/ س ع/ س ع ع/ س ع/ س ع.

مَعَ النَّبِيِّ تَوَلَّى عَنْهُمُ سَحَرَا: س ع/ س ع س/ س ع/ س ع س/ س ع/ س ع/ س ع س/ س ع ع/ س ع س/ س ع/ س ع/ س ع/ س ع ع.

مَنْ ذَا الَّذِي عِنْدَهُ رَحْلِي وَرَاحِلَتِي: س ع س/ س ع س/ س ع/ س ع ع/ س ع س/ س ع/ س ع س/ س ع ع/ س ع/ س ع ع/ س ع/ س ع ع/ س ع/ س ع.

وَرِزْقُ أَهْلِي إِذَا لَمْ يُؤنِسُوا الْمَطَرَا: س ع/ س ع س/ س ع/ س ع س/ س ع ع/ س ع/ س ع ع/ س ع س/ س ع س/ س ع/ س ع س/ س ع/ س ع.

ولعلِّي أُفَصِّلُ دلالة مقاطع المرثيَّات السابقة بمعزل عن مرثية حسَّان الأخيرة التي سأذكرها لاحقًا مشفوعة بمناسبتها؛ فبالنظر إلى مواقع تلك المقاطع ودلالاتها ومناسبتها للمعنى؛ نجدها قد جاءت مغلقة؛ لتدل على الضيق والشدَّة التي كان يعانيها الشاعر، كما أن ذلك يساعد على إثارة جو من الشجن الشفيق في النفس لدى القارئ، بينما تخللت المقاطعُ المفتوحةُ الأبياتَ؛ ليجد فيها متنفَّسا له من الضيق الذي يعانيه، وهو ألمُه لفقد الحبيبﷺ.

فإن الشاعر في حالة يأسه وجزعه يتخير وزنًا طويلًا كثير المقاطع؛ ليعبر به عما يجيشُ في نفسه، ويُجرِّعُه غُصَص الألم، ويقُضُّ في المصاب مضجعه، من حزن وجزع يكسوهما عمق وانكسار بالغين، وانظر قوله :

ظللتُ بها أبكي الرسولَ، فأسعدتْ ... عُيونٌ، وَمِثْلاها مِنَ الجَفْنِ تُسعدُ[2]

والحقيقة أنَّ القرآن الكريم قد سبق الشاعر إلى ذلك، ومنه قوله تعالى: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيه، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيه، يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَة، مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيه}[3]، فانظر

(١) الديوان، ص:١٣٥.

(٢) الديوان، ص:٩١

(٣) سورة: الحاقة، آية:٢٥- ٢٨.

إلى تراكيب الكلام وعدد المقاطع التي تدل على أن هناك أحدًا يندب وينوح من شدَّة الألم والندم، فهو مستوحش آبد، بنفسه مرجلٌ يتلهب، وحسرة مستعرة، وما كان ليصلنا هذا الشعور ولا سبيل إليه البتة إلا بوجود هذه المقاطعِ متضافرةٍ مع غيرِها من وسائل التعبير الصوتية الأخرى.

وصفوة المقال، إن الشعراء ينظمون أشعارهم على البحور الطويلة، كثيرة المقاطع ليصبّوا فيها من أشجانهم، بما يُنَفِّس عن حزنهم وجزعهم.(١) وبناء على هذا، فإنّا نستطيع أن نقرر أن حسَّانَ اختار من البحور الشعرية والمقاطع ما يناسب حالة حزنه المستقرة بعد هدوء ثورة الفزع لديه، واستكانة نفسه لليأس والهم المستمرين، ومن هذا المنطلق يتبدى للباحثة أن أغلب مرثيَّات حسَّان قيلت بعد أن هدأت نَفْسُه ورست، وطفر إبداعه وطال نَفَسُه؛ فتلك القصائد طويلة النفس كتبت على مراحل متطاولة وآمادٍ متباعدة بعد وفاة النبي ﷺ، ولعل هذا هو السرّ، في إيثار حسَّان البحور الطويلة على البحور المجزوءة، وليس هو في ذلك بدعًا من الشعراء، فقد جاءت معظم المعلقات من الطويل والبسيط، اللذين يتسعان لصب خواطر الشاعر وخلجاته في قوالبهما، على عكس البحور المجزوءة التي تناسب صدمة الحدث أول وقوعه، والناظر مرثيَّات حسَّان يتبين أن قصائده على البسيط زهاء ثلاث قصائد، وأكبرُ قصائده البالغة ستةً وأربعين بيتًا اختار لها بحر الطويل، ولم يتبق إلا قصيدتان، إحداهما على الكامل والأخرى على مجزوئه.

والمقاطع المفتوحة تتوافق وهذه الآهات الحبيسة التي يخرجها الشاعر في شكل دفقات هوائية شعورية صوتيّة، تتجسّد في الصيغة اللغوية للمقطع، وتتراقص مع المقاطع الصوتية الأخرى(٢).

كما يتبين لنا من التقطيع الصوتي لهذه المرثيَّات، أن البنية المقطعية لتلك الأبيات تمركزت في المقطعين المتوسطين بنوعيهما، المفتوح (س ع ع)، والمغلق (س ع س)، والمقطع القصير(س ع)، ولا وجود للمقاطع الطويلة بأنواعها الثلاثة ،الطويل المغلق(س ع ع س)، والطويل المزدوج الإغلاق (ص ح ص ص)، والبالغ الطول المزدوج الإغلاق (س ع ع س س). التي يندُر وجودها في الشعر(٣)؛ ذلك لأن طول المقطع وقصره يرتبطان بالحالة النفسية، والعواطف، والمضامين التي تجسدها القصيدة.

ونختم دلالات المقاطع بالتطبيق على المرثية الأخيرة، التي جاءت على مجزوء الكامل:

كُنْتَ السَّوَادَ لِنَاظِرِي ... فَعَمِي عَلَيْكَ النَّاظِرُ

---

(١) ينظر: موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ص: ١٧٥.

(٢) ينظر: من الصوت إلى النص، نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري، مراد عبد الرحمن مبروك، ١٩٩٣م، ص:٥٣.

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص:١٥٤.

مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ ... فَعَلَيْكَ كُنْتُ أُحَاذِرُ[1]

وتقطيعها كالتالي:

كُنْتَ السَّوَادَ لِنَاظِرِي: س ع س/ س ع س/ س ع/ س ع ع/ س ع/ س ع/ س ع ع/ س ع/ س ع ع.

فَعَمِي عَلَيْكَ النَّاظِرُ: س ع/ س ع/ س ع ع/ س ع/ س ع س/ س ع س/ س ع ع/ س ع/ س ع.

مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ: س ع س/ س ع ع/ س ع/ س ع س/ س ع/ س ع/ س ع س/ س ع/ س ع س.

فَعَلَيْكَ كُنْتُ أُحَاذِرُ: س ع/ س ع/ س ع س/ س ع/ س ع س/ س ع/ س ع/ س ع ع/ س ع/ س ع.

ومن هذا التقطيع الصوتي لهذه المرثية يتبين أن البيت الأول منها حوى ثمانية عشر مقطعًا، تسعة منها من المقطع القصير، وخمسة من المتوسط المفتوح، وأربعة من المتوسط المغلق، أما البيت الثاني؛ فقد حوى تسعة عشر مقطعًا، منها أحد عشر مقطعًا قصيرًا، وستة مقاطع متوسطة مغلقة، ومقطعان متوسطان مفتوحان.

وعلى كلٍّ، فهذه المرثية لم تنفتل عن منوال سابقاتها، ولم تخرج مقاطعها عن ديدنهم من حيث أنواع المقاطع المستعملة فيها، وهيمنة المقاطع القصيرة والمتوسِّطة المغلقة عليها، ولكنّ الفارق الجوهري الوحيد بينها وبين باقي المرثيَّات هو نوع البحر العروضي الذي جاءت عليه، فقد جاءت على بحر مجزوء خلاف الأوليات، ولعلّ هذا يذكرنا بقول إبراهيم أنيس: إن نظم الشعر وقت المصيبة والهلع يتطلب مقاطع قصيرة تلائم سرعة التنفس وازدياد النبضات القلبية، وبالتالي لا يكون الشعر في هذه الحالة إلا في مقطوعة قصيرة لا تتعدى عشرة الأبيات[2]. وكل هذا ينطبق على تلك النتفة، إضافة إلى أن الإنسان بطبعه تقل كلماته لحظة وقوع الحدث؛ لأن له ساعتها عقل من الوقف يختلف عن عقله الطبيعي، ويمكننا أن نقول باطمئنان بعد ما ذكر آنفًا إن هذه المرثية ربما قيلت وقت وقوع المصيبة فناسبها هذا البحر بتفعيلاته القليلة، وهذا ما يتغياه الشاعر ويريغ إليه ولا شك أنه أبلغ في التأتي إلى المراد.

(١) الديوان، ص:١٣٥.

(٢) إبراهيم أنيس،ص: ١٧٥.

المطلب الثاني

النبر ودلالاته

بعد أن عرَّجنا آنفًا على المقاطع الصوتية للمرثيَّات، ووقفنا على دلالاتها المنوطة بالسياق، حريّ بنا أن نفرد مطلبًا للنبر وأنواعه ومواقعه؛ لنقف على دلالاته المتنوعة من خلال التحليل.

هذا، ويُعَدُّ صفةٌ للمقطع ويُنسَب إليه، ويقع عادة في قمّته، أي الحركةِ أو الصائتِ[١]، فدراستنا للمقاطع هي نصف الطريق لمعرفة موطن النبر في الأبيات؛ لأن المقطع والنبر متلازمان في الدرس والتحليل؛ فالمقطع حاملٌ للنبر والنبر أمارة من أمارات تعرِّف المقطع[٢].

وجميع الكلمات تركيبات من أنساق صوتية متتابعة مترابطة، يقود أحدها إلى الآخر، ولها نظامها النبري الخاص المستقل عن نظام النبر في الأنساق الكبرى (الجمل والمجموعات الكلامية)[٣]؛ فعند سماعنا لأيّ كلام في أي لغة من اللغات نلاحظ علوًا في بعض المقاطع وانخفاضًا في بعضها الآخر، وهذا العلو والانخفاض يكونان تبعًا للمعنى، فبهما تنماز – مثلًا – الأساليب الطلبية من استفهام وأمر ونهي وما إلى ذلك، فالعلاقة وطيدة بين درجات الصوت والمعنى.

ويُعرَف هذا العلوُّ في الصوت – في مقطعٍ خاصٍ من الكلمة زيادةً عن غيره من المقاطع – بالنبر، وعُرِّف بأنه أحد الفونيمات فوقَ التركيبية لا يدخل مباشرة في تركيب البنى اللغوية، لكنه يضفي إلى أغراض المتكلمين النطقية، قوةً وضعفًا وشدَّة وليونة، ويقتضي طاقة وجهدًا عضليًا[٤]، ويأتي هذا العلوُّ في المقطع من الكلمة نتيجة الضغط عليه؛ لجعله أبرز وأوضح في السمع مما عداه من مقاطع هذه الكلمة.[٥] فيُصدِر المتكلّم الصوت أو المقطع المنبور، بصورة أقوى من الأصوات، أو المقاطع التي تجاوره. [٦]

ووسمه الطيب البكُّوش بالنبرة، وعرفه بأنه "إشباع مقطع من المقاطع؛ وذلك بزيادة ارتفاعه الموسيقيّ أو مداه أو شدّته"[٧].

---

(١) ينظر: علم الصوتيات، عبد العزيز أحمد علّام، عبدالله ربيع محمود، ص: ٣٣٢.

(٢) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر، ص: ٥٠٤ .

(٣) مناهج البحث في اللغة، تمام حسَّان، ص: ١٦٠.

(٤) ينظر: علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، ص:١١٣.

(٥) المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبدالتواب، ص: ١٠٣.

(٦) ينظر: الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، ص:٣٧٨.

(٧) التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص:٨٠.

وللنبر أنواع، هي[١]:

النبر المقطعي: ويرتبط بالمقطع باعتباره أقل الوحدات الصوتية التي يمكن للنبر أن يتحقق فيها.

نبر الكلمة: فلكل كلمة قالب نبري يشتمل عادة على جزء مُبْرَزٍ عن بقية الأجزاء، ويسمى هذا الجزء بالمقطع الحامل للنبر، أو (المقطعِ المنبورِ) في الكلمة، ونقول حينئذ إن النبر قد وقع عليه.

نبر الجملة: وهو توزيع درجات النبر على أجزاء الجملة تبعًا لأهميَّتها عند المتكلّم ولطبيعة الجملة ونوعها، بحيث يكون لكل جملة قالبها النبري الخاص بها.

فالجملة العربية لها حالات مختلفة، إما تقرير، أو نفي، أو استفهام، أو تعجب، أو توكيد، أو إنكار... إلخ. ويأخذ النبر موقعه على حسب السياق، ويكون بضغط نسبي على الكلمة التي هي مرتكز الجملة، والتي أُرِيد توكيدها أو الاستفهام عنها أو التعجب منها أو الإنكار لها، لتكون أبرز من غيرها من أجزاء الجملة، ونواة مقاطعها تأخذ النبر الرئيس، وسمي هذا النوع من النبر – أيضًا– نبر السياق.

وهذا – لا شك – يلجأ إليه المتحدّث في حديثه اليومي؛ ليمنح الجملة دلالتها التي يريغ إليها حسب موطن النبر، ألا ترانا نقول: محمد سافر؟ ونمنح الكلمة الأخيرة في الجملة (سافر) كثافة صوتية وضغطًا، ليغدو الكلام سؤالًا عن السفر، يسوقه القائل ويفهمه المستمع، على حين لو كان النبر على الكلمة الأولى (محمد)؛ فإن ذلك يعني السؤال عن المسافر لا عن السفر، وحين يريدها إخبارًا بسفر محمد فإنه لا يمنح إحدى الكلمتين تمييزًا صوتيًا عن الأخرى، ويأتي هذا الكلام مفهومًا بين المرسل والمستقبلين وكأنما هو اتفاق درجوا عليه لا يعوزه شرح ولا يحتاج إلى تبيين.

وعرَّف إبراهيم أنيس نبر الجملة بأنْ "يعمد المتكلّم إلى كلمة في جملته فيزيد من نبرها ويميّزها على غيرها من كلمات الجملة؛ رغبة في تأكيدها أو الإشارة إلى غرض خاص"[٢]، فنبر الجملة متعلق بغرض المتكلِّم ومقصِده.

والنبر بأنواعه "ليس إلا شدَّة في الصوت أو ارتفاعًا فيه. وتلك الشدَّة أو الارتفاع تتوقف على نسبة ضغط الهواء المندفع من الرئتين، ولا علاقة له بدرجة الصوت أو نغمته الموسيقية."[٣]

وبما أن للمقاطع علاقة وطيدة وأواصر قوية بالعروض وتفعيلاته وبحوره؛ فإن للنبر – أيضا – (بكونه صفةً للمقطع وجزءًا منه) – جديلةً محكمةً بتفعيلات العروض. ولا تَنِدُّ عن ملاحظتنا في هذا الموطن مقولة العروضيّين: إن العروض العربي يقوم على كل من الأساسين، الكمِّي والنبري.[٤]

---

(١) ينظر: علم الصوتيات، ص: ٣٣٢.

(٢) الأصوات اللغوية، ص:١٦٢.

(٣) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص:١٦٢.

(٤) في الميزان الجديد، محمد مندور، ص: ١٩٣

نظام النبر:

لتحديد مواضع النبر هناك نظام متَّبع عند علماء الأصوات، وفيه يُعتَمد اعتمادًا تامًا على المقاطع الصوتية، التي ذكرناها في المطلب السابق، وهي باختصار:

١- المقطع القصير، (س ع).

٢- المقطع المتوسط المفتوح، (س ع ع).

٣- المقطع المتوسط المغلق، (س ع س).

٤- المقطع الطويل المغلق، (س ع ع س).

٥- المقطع الطويل المزدوج الإغلاق، ويرمز له (س ع س س)

وحالات النبر على هذه المقاطع كالتالي[١]:

أولًا: إذا كان في الكلمة مقطع طويل من النوع الرابع (س ع ع س) أو الخامس (س ع س س)؛ فإنه يحمل النبر أينما كان، ومثال ذلك (نستعين) في حال الوقف، فالنبر يكون على المقطع الأخير في الكلمة (عين)؛ حيث جاءت نهاية الكلمة مقطعًا طويلًا مغلقًا، وبهذا يكون النبر عليه، ولا يصادفنا هذا النوع من النبر في المرثيَّات بعد تقصِّي أبياتها.

ثانيًا: إذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل كان النظام على الوجه التالي:

١- يقع النبر على المقطع الأول: إذا توالت في الكلمة الواحدة ثلاثة مقاطع من النوع الأول، أي المقطع القصير وهو (س ع)، مثل: سَلِمَ (س ع / س ع / س ع)، ففي هذه الحالة ينبر المقطع الأول من الكلمة، فالمنبور هو صوت (س) من سلم، وإذا كانت الكلمة تتكون من أكثر من ثلاثة مقاطع متوالية من النوع الأول- أيضًا- ينبر المقطع الأول فيها، مثل: رَقَبَةُ، في حالة الوصل (س ع / س ع / س ع / س ع) فالنبر فيها يكون على صوت (ر)، وإذا كانت الكلمة كلها مقطعًا واحدًا؛ فالنبر يقع عليها كاملة، فكلمة: بَأْسْ، عند الوقف عليها تمثل مقطعًا واحدًا، وهو المقطع الطويل المزدوج الإغلاق (س ع س س)، وبهذا يكون النبر عليها كاملة، وكذا الكلمات التي تتكون من مقطع واحد.

٢- يقع النبر على المقطع قبل الأخير: إذا لم يكن المقطع الأخير طويلًا (س ع ع س) أو (س ع س س)، ولم تتوال في الكلمة ثلاثة مقاطع قصيرة (س ع)، وكان المقطع الذي قبل الأخير متوسطًا في هذه الحالة يكثر نبر المقطع الذي يقع قبل الأخير، ومثال ذلك: استفهم، فالنبر هنا على

(١) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص: ١٦٠، ودراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص: ٣٥٨- ٣٦٠، ومناهج البحث في اللغة، تمام حسَّان، ص: ١٦١-١٦٢، وعلم الأصوات العربية محمد جواد النوري، ص: ٢٧٠.

(تف) الذي قبل الأخير، وإذا لم يكنه، وكان المقطع الذي قبله متوسطًا يكون هو المنبور.

وهذا النوع من النبر يسمى نبرًا أوليًّا، وهناك -أيضًا- ما يعرف بالنبر الثانوي، الذي لا يمكننا بأي حالٍ من الأحوال إغفاله، لأنه يصادفنا في الأبيات كثيرًا، وإليك بيانه:

النبر الثانوي:

لا يقتصر تأثُّرُ الكلمة في العربية، على النبر الأولي، أو الرئيس فقط، الذي مر بنا، وإنما قد تتعرض بعض المقاطع، علاوة على النبر الأولي القوي، إلى نوع آخر من أنواع النبر، هو النبر الثانوي الضعيف، ومن الأمثلة على ذلك: (فَسَيَكْفِيكَهُم)، فالمقطع: (يَكْ)، ذو نبر قوي، والمقطع: (كَ)، ذو نبر ضعيف، وفي الكلمة (مُتَعَلِّمَتَان)؛ فالمقطع: (تان)، ذو نبر قويّ، والمقطع (عَلْ)، ذو نبر ضعيف.[(١)]

فعندما تحتوي الكلمة مقطعين طويلين أو أكثر؛ فإن المقطع الطويل الأقرب إلى آخر الكلمة (دون مقطعها الأخير) يستقبل النبر الأوَّلي، وفي أغلب الحالات يستقبل المقطعُ الأقربُ إلى بدايتها نبرًا ثانويًا[(٢)].

وللتمييز بين أنواع النبر هذه وضعت فوق المقطع الذي وقع عليه النبر الأوّلي حركة الفتحة (ـَ)، وفوق المقطع الذي وقع عليه النبر الثانوي فتحتين (ـً).

ومثال ذلك: كلمة رَئِيسُهُنَّ: س ع/ س عً ع/ س ع/ س عَ س/ س ع، فيكون النبر الأولي على (هُنْ) والثانوي على (ئي).

مُسْتَوْدَعَاتُهُمْ: س ع س/ س عً س/ س ع/ س عَ ع/ س ع/ س ع س، وكذا يكون النبر الأولي على المقطع (عَا)، والثانوي على المقطع (تَوْ).

وأي مقطع في المجموعة الكلامية، سواء كان في وسطها أو في آخرها، صالح لِأنْ يقع عليه هذا النوع من النبر. والمسافة بين أيّ حالتي نبر في المجموعة الكلامية، سواء كان كلاهما أوليًا أو ثانويًا أو مختلفًا، لا تتعدى أربعة مقاطع[(٣)].

كما ينبغي أن أُلمِع هنا إلى "أنَّ الحروف وكثيرًا من الأدوات والضمائر الشخصيّة وأسماء الموصول إلخ، كلها من الأجناس التي لا يصاحبها نبر واضح في الحالات الحيادية في الكلام المتّصل"[(٤)].

وقبل أن أَدلِف بكم إلى المرثيَّات تطبيقًا لا يفوتُني أن أُشِير هنا إلى أنَّ "نبر الشعر يخضع لنفس القواعد التي يخضع لها النثر، غير أنه حين تُلقِي الشعر تزيد من الضغط على المقاطع المنبورة، وبذلك

---

(١) ينظر: علم الأصوات العربية محمد جواد النوري، ص: ٢٧١

(٢) التشكيل الصوتي في اللغة العربية، سلمان حسن العاني، ص: ١٣٥

(٣) مناهج البحث في اللغة، تمام حسَّان، ص:١٦٣

(٤) علم الأصوات، كمال بشر، ص: ٥١٩.

يطول زمن النطق بالبيت من الشعر؛ فالمرء عادة يستغرق في إنشاد بيت على البحر الطويل ما يقرب من عشر ثوان، في حين أنه إذا قرأه كما يقرأ النثر ينقص هذا الزمن إلى ما يقرب من ثلثِه أو نصفِه، ويظهر طول المقطع المنبور في الشعر عنه في النثر بصورة أوضح إذا اشتمل على حرف مد"[1].

ومن المأنوس أنه عندما تصادفنا كلمتان تتصل إحداهما بالأخرى في النطق – أي أن الكلمة الثانية مبدوءة بألف وصل مثلًا – فإننا نجمع بين مقاطعهما وتأخذان حكم الكلمة الواحدة في التقطيع، وبالتالي استخراجُ المقطع المنبور، وقد يكون هذا الامتداد في أكثرَ من كلمتين بمقاطع كثيرة تضم مقطعين طويلين أو أكثر، وفي هذه الحالة قد نلجأ إلى تحديد نوعي النبر – السابقي الذكر (الأوّليّ والثانويّ) – عليهما إن احتاج الأمر إلى ذلك. ومن أمثلة اتصال الكلمتين: (كريمُ الخلق) فعند النطق بهما تكون بهذا الشكل (كريمولخلق)، ونُلفِي النبر واقعًا على المقطع الثالث، ويوضّحه التحليل التالي: س ع / س ع ع / س ع س / س ع / س ع س، فالمقطع الذي تحته خطٌّ هو الموضع المنبور ويمثله الصوتان (مُلْ)[2].

وأزجي إليك بعد هذا المدخل نماذج تطبيقيّة للنبر على بعض أبيات حسَّان، وقد انتخبت من كل مرثية بيتًا ينوب عن أترابه، مُفرِدة إياه بالتمثيل، ويقاس ما لم يقل على ما قيل، والمِثْلُ إلى مِثلِه يَميل، وقد اتبعت في ذلك الطريقة التي انتهجتها في المثال الآنف ذكرُه (كريم الخلق)؛ ليكون ذلك مهيعًا أسير عليه وطريقة أتَّبعها، وصوًى أترسَّمها في التحليل، مُطبِّقة النبر على بعض الأبيات التي تناولتها بالتقطيع في المطلب السابق، وإليك بيانها:

ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت : س ع/ س ع س / س ع ـ س ع / س ع ع ـ س ع س / س ع س / س ع / س ع ع / س ع ـ س ع / س ع س / س ع / س ع س .

عيون ومثلاها من الجفن تسعد : س ع / س ع ع / س ع س ـ س ع / س ع / س ع ع / س ع ع ـ س ع / س ع س / س ع س / س ع ـ س ع س/ س ع / س ع .

وبتظليل مواضع النبر على هذين البيتين تكون كالتالي:

ظَلِلْتُ بهَا أَبْكِي الرَّسُولَ، فَأَسْعَدَتْ ... عُيونٌ، وَمِثْلَاها مِنَ الجَفْنِ تُسْعِدُ[3]

فتراه قد جاء بالنبر في المواضع المشار إليها وهي (لِلْ، بِـ، كِرْ، سُو، أَسْ) إنَّ التركيز بالنبر على تلك الحروف – الواردة في الكلمات التي يغلب عليها صفة الترقيق – أكسبت جوّ البيت دلالة تتناسب مع جو البكاء المتنزَّى والمستمر، كما أنك تلاحظ تكثيف النبر على جملة (أبكي الرسول) أكثرَ من غيرها؛

(١) فن الإلقاء ، طه عبدالفتاح مقلد، ص:٢٠٧.

(٢) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص: ٣٦١.

(٣) الديوان، ص:٩١.

ففيها الفعل المراد إيصالُه للمتلقّي والفاعل والمفعول، وبذلك تمركز المعنى فيها وتكثّف، لأن هذا ما يشغل الشاعر ويملأ عليه كيانه، وهو بكاء الرسول الذي جعله مستوحشًا آبدًا، كأنَّ المصيبة عادت جَذَعَة، وساهم ذلك في إضفاء جوٍ من الشجن المهيمن على البيت.

وبتطبيق النبر على مثال آخر، نلاحظ ما يلي:

يَا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ: س ع ع ــ س ع س/ س ع ــ س عً س/ س ع ع/ س عَ س/ س ع س/ س ع ــ س ع/ س ع س/ س ع/ س ع.

بَعْدَ الْمُغَيَّبِ فِي سَوَاءِ الْمَلْحَدِ: س ع س/ س عً س/ س ع/ س عَ س/ س ع/ س ع ــ س ع ع ــ س ع/ س عً ع/ س ع س/ س عَ س/ س ع/ س ع.

يَا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ ... بَعْدَ الْمُغَيَّبِ فِي سَوَاءِ الْمَلْحَدِ(١)

وفي بيت المرثية الثانية نجد النَّبر قد ورد ستَّ مرات على كلمات كانت هي المُرتكزَ الضوئيَّ للمعنى الذي يطمِر البيت بجوّ الغربة والوحدة بعد تغييب النبي ﷺ، وإنك لتلاحظ الصوت المكثّف على (الويح) الذي سينزل به وعلى رهط النبيّ ﷺ، فكأنما هم المعنيّون بهذا الويح لا غيرُهم، وقد أُبرِز لفظ (المغيّب) بالنبر فيه، ولفظ (الملحَد)؛ لتكتمل أركان الصورة وتوابع المشهد في ذهن القارئ الكريم، بما تحمل هذه الدوالُّ من مدلولات، وبما تحمل أصواتُ حروفها من دلالات.

والنبر في المرثية الثالثة:

مِنَ الَّذِي كَانَ فِينَا يُسْتَضَاءُ بِهِ: س ع/ س ع س/ س ع/ س ع ع ــ س ع ع/ س ع ــ س ع ع/ س ع ع ــ س عً س/ س ع/ س عَ ع/ س ع ــ س ع/ س ع.

مُبَارَكَ الْأَمْرِ ذَا عَدْلٍ وَإِرْشَادِ: س ع/ س عً ع/ س ع/ س ع س/ س عَ س/ س ع ــ س ع ع ــ س ع س/ س ع س ــ س ع/ س ع س/ س ع ع/ س ع.

وبتضليل مواضع النبر نلفيه كالآتي:

مِنَ الْلَذِي كَانَ فِينَا يُسْتَضَاءُ بِهِ ... مُبَارَكَ الْأَمْرِ ذَا عَدْلٍ وَإِرْشَادِ

إن ثمّة شعورًا بالفخر بصفات النبي ﷺ التي كان عليها في حياته، والتي ستبقى نبراسًا متبلِّجًا، ومن هنا كان النبر واضحًا في الشطر الأول الذي ورد فيه خمس مرات؛ فالتركيز هنا انصب على أنه كان فينا نورا مستضاء، ومن هنا ألفينا كلَّ كلمةٍ ممنوحةً شحنةً صوتيةً أعلى في الشطر الأول؛ إذ لم تفته كلمة دون

(١) الديوان، ص: ٩٦.

نبر أو تركيز ولا يغيب عنك أن صفات هذه الحروف تتآزر مع النبر المسبوق؛ لتقوية الدلالة والشعور بالمعنى.

وهذه مواضع النبر لبيت من المرثية الرابعة:

أَلَا دَفَنْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ فِي سَفَطٍ: س ع/ س ع ع ــ س ع/ س ع س/ س ع س ــ س ع/ س عً ع/ س ع س/ س ع/ س ع ــ س ع ع ــ س ع/ س ع/ س ع س.

مِنَ الْأُلُوَّةِ وَالْكَافُورِ مَنْضُودِ: س ع/ س عً س/ س ع/ س عَ س/ س ع / س ع ــ س ع س/ س ع ع/ س ع ع/ س ع ــ س ع س/ س ع ع/ س ع.

أَلَا دَفَنْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ فِي سَفَطٍ ... مِنَ الْأُلُوَّةِ وَالْكَافُور مَنْضُودِ(١)

ولو تبصَّرنا هذا البيت لألفينا المقاطع المنبورة توزعت على أجزائه، وتكثّفت في بعض الكلمات بشكل أكبر، ففي كلمة (دفنتم) وقع النبر على (فَنْ)، وبها ارتفع نبر الكلمة؛ ليبرز لنا فعل الدفن الذي كان قاسيًا على الصحابة، حين دفنهم الرسول ﷺ، وفي نهاية الشطر الأول وبالتحديد في لام (رسول) ولفظ الجلالة (الله)؛ لتنطق بنبرة أعلى من غيرها، ولتتكثف الدلالة فيها، وكأنما نحن إزاء كلمة واحدة، يرتفع فيها الصوت لتعظيم ذلك الجليل ﷺ، ولا تَنِدُّ عن ملاحظتك صفاتُ هذه الأصوات التي كونت هذا المقطع؛ فلام لفظ الجلالة المفخّمة أكسبت المقاطع التي حولها دلالة الهيبة والتبجيل، وتراك تؤانس هذا عندما تنطق (رَسُولَ الله)، وتلفي أيضًا شيئًا من علو الصوت في (الألوة) لتناسب ذلك الجسد الطاهر المبارك صلوات ربي وسلامه عليه. ومن ناحية أخرى، فقد انماز هذا البيت عن غيره بالنبر التوبيخي الإنكاري، وهذا لا يخفى على القارئ اللوذعي الأريب.

وإليك أسوق مثالًا آخر؛ لأبين فيه نوعًا من أنواع نبر الجملة:

نَبِّ الْمَسَاكِينَ أَنَّ الْخَيْرَ فَارَقَهُم: س ع س/ س عً س/ س ع/ س ع ع/ س عَ ع/ س ع ــ س ع س/ س ع س/ س ع س/ س ع ــ س ع ع/ س ع/ س ع س.

مَعَ النَّبِيِّ تَوَلَّى عَنْهُمُ سَحَرَا: س ع/ س عً س/ س ع/ س عَ س/ س ع ــ س ع/ س ع س/ س ع ع ــ س ع س/ س ع/ س ع ــ س ع/ س ع/ س ع ع.

نَبِّ الْمَسَاكِينَ أَنَّ الْخَيْرَ فَارَقَهُم ... مَعَ النَّبِيِّ تَوَلَّى عَنْهُمُ سَحَرَا

(١) الديوان، ص: ٩٨.

إنّنا بإزاء شحنة موفورة من النبر تواجهنا في الشطر الأول، تحمل موجة عظيمة من الهم والحزن، قاطنةٌ في قلبَ الشاعر، فالسكنات والمدود في (نبِّ المساكين) نقلت إلينا حجم المعاناة والألم الذي أطبق على الشاعر وألجمه، فإنّك عند نطقك صدر البيت لَتشعرُ بكميَّة الوجع التي عاناها والأسى الذي تكبده وتجرّع غصصه. والملاحظ أن في صوت الباء المجهور الشديد المقلقل المضعّف صعوبة تحمل دلالات رهيبةً قاسيةً، وبعدها مباشرة يفرّغ الشاعر جميع أحزانه من خلال كلمة (المساكين)، ومن ثَمّ يُوزِّع النبر على ما تبقَّى من الأصوات، ومما لا ريب فيه أنّك لاحظت نوع النبر الذي ظلّل الأبيات بشكل عام، نعم إنه نبر طلبي مفاده الأمر.

ومن أنواع النبر كما مرّ آنفًا النبر التقريري، وإني لأُلفِي هذا النوع في كثير من أبيات المرثيَّات ومنها هذا البيت:

كُنْتَ السَّوَادَ لِنَاظِرِي: س ع س/ س عً س/ س ع/ س عَ ع/ س ع ــ س ع/ س ع ع/ س ع/ س ع ع.

فَعَمِي عَلَيْكَ النَّاظِرُ: س ع/ س ع/ س ع ع ــ س ع/ س ع س/ س ع س/ س ع ع/ س ع/ س ع.

وبتطبيق النبر عليه:

كُنْتَ السْسَوَادَ لِنَاظِرِي ... فَعَمِي عَلَيْكَ النْنَاظِرُ[1]

وقع النبر في هذا البيت على المقاطع المحددة، وبإعادة النظر إلى مواقعها نلاحظ تمركز النبر على (ت السواد)، وكأني أرى تاء المخاطب تلتصق بالسواد، لتغدوا كلمة واحدة، لازمت فيها تاء المتكلم السواد، وليس هذا التقارب – بالطبع – في النطق وفي المخارج فارغًا من الدلالة؛ فوقوع النّبر على التاء والسين يحقق شدَّة الالتحام، ويشي بعمق الحب الذي يحمله قلب حسَّان للنبيّ ﷺ، فهو يقول: (أنت سواد ناظري يا رسول الله وبذهابك عنا ذهب نظري)، والنبر الذي كسا البيت هو النبر التقريري، فتراك تلحظ آثار حبه للنبي ﷺ جليًّا واضحا في تراكيبه المحكمة ومعانيه الثرة.

(١) الديوان، ص:١٣٥.

الفصل الثاني

الظواهر الصرفية ودلالاتها في المرثيَّات

❖ **المبحث الأول: الظواهر الصرفية في الأفعال ودلالاتها.**

- **المطلب الأول: الأفعال المجردة: أبنيتها ودلالاتها.**
- **المطلب الثاني: الأفعال المزيدة: أبنيتها ودلالاتها.**

❖ **المبحث الثاني: الظواهر الصرفية في الأسماء ودلالاتها.**

- **المطلب الأول: أبنية الأسماء الجامدة، ودلالاتها.**
- **المطلب الثاني: أبنية المشتقات ودلالاتها.**
- **المطلب الثالث: أبنية الجموع، ودلالاتها.**

المبحث الأول

أبنية الأفعال ودلالاتها

- **المطلب الأول: أبنية الأفعال المجرّدة ودلالاتها.**
- **المطلب الثاني: أبنية الأفعال المزيدة ودلالاتها.**

المطلب الأول

أبنية الأفعال المجرّدة ودلالاتها

آثر ذي أثير، فمن المعروف أنّ الفعل ينقسم إلى مجرّد ومزيد، والمجرّد هو ما كانت جميع حروفه أصليةً، لا زيادة فيها، و"الأصل: الفاء والعين واللاّم، والزَّائد: ما لم يكن فاءً ولا عينًا ولا لامًا، مثال ذلك قولُك: ضَرَب، فالضّاد من ضَرَب فاء الفعل، والرّاء عينه، والباء لامه؛ فصار مثال ضَرَب: فَعَلَ، فالفاء الأصل الأوّل، والعين الأصل الثّاني، واللاّم الأصل الثّالث، فإذا ثبت ذلك، فكلّ ما زاد على الضّاد والرّاء والباء، من أوّل الكلمة أو وسطها أو آخرها فهو زائد"[(١)].

هذا، وللفعل المجرّد في الماضي والمضارع ستة أوجه على النحو الآتي: للفعل الماضي ثلاثة أبنية: أولها (فَعَلَ)، ومضارعه مضموم العين (يَفعُلُ)، أو مكسورها (يَفْعِلُ)، أو مفتوحها (يَفْعَل)، وثانيها (فَعِلَ) ومضارعه مكسور العين (يَفْعِلُ)، أو مفتوحها (يَفْعَلُ)، وثالثها (فَعُلَ) ومضارعه مضموم العين – أيضًا – (يَفْعُلُ)[(٢)]، "فهذه ستة أوجه وردت مستعملة بكثرة في مضارع الفعل الثلاثي، وبعضها أكثر استعمالًا من بعض"[(٣)].

أولًا: باب (فَعَلَ)

أفاد الصرفيون أن بناء (فَعَلَ) له من المعاني مالا يُحصى، وذلك لخفته، ومن ثَمَّ يندرج تحته دلالاتٌ متنوّعة مستظلة بصيغته التي تتسع فتشمل أطيافًا متصرّفة المدلول، تراهم يقولون: " بابُ فَعَلَ لخفته لم يختصُّ بمعنى من المعاني، بل استعمل في جميعها؛ لأنّ اللّفظ إذا خفَّ كثر استعماله واتّسع التَّصرف فيه"[(٤)].

و"أعدل الأصول تتميز به خفّة الكّلام"[(٥)] "فالبنية المورفولوجية التي تطغى على ما عداها في الدَّلالة على الأحداث الحّركية هي بنية (فَعَلَ)؛ وذلك لتناسبها مع طبيعة الحّركة لكونها أخفّ البنى تلفّظًا"[(٦)].
وإليك أزجي تفصيلًا لهذا البناء في صورته الماضوية والمضارعيَّة:

---

(١) المنصف، ابن جني، ج:١، ص:١١.

(٢) ينظر: المقتضب للمبرد، ج:٢، ص:١١٠، ١١١، شرح شافية ابن الحاجب، الرضيّ الاستراباذي، ، ج:١، ص:٦٧، شرح ابن عقيل، (الذّيل)، ص:٦٣٩، ٦٤٠، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، ص: ٣٣٦.

(٣) شرح ابن عقيل، (الذّيل)، ص: ٦٣٩.

(٤) شرح شافية ابن الحاجب، الرضيّ الاستراباذي، ج:١، ص:٧٠.

(٥) الخصائص، ابن جني، ج:١، ص:٥٥.

(٦) المكوّن الدّلالي للفعل في اللّسان العربي، أحمد حسَّاني، ص:٩٥.

فَعَلَ – يَفْعُلُ: وقد اختصّ هذا البناء بكثير من الأفعال، يمكننا حصر مجالاتها الدّلاليّة على النحو الآتي:

الدلالة على بِلَى الآثار وقِدَمها بعد رحيله ﷺ:

وقد جاء على هذه الدلالة الفعلان (تعفو وتهمُد)، في قوله:

بطيبةَ رسمٌ للرسولِ ومعهــدُ ... منيرٌ، وقد تعفـو الرسـومُ وتهمُدُ[1]

الفعل (تعفو) فعل ناقص، من (عفا، يعفو) والعين والفاء والواو أصل، ويدل هنا على زوال الآثار، وهو لازم، مبني لفاعله، وجاء على صيغة المضارع المسند للاسم الظاهر (الرسوم).

والفعل (تهمُد) لازم مبني لفاعله، مضارع مجرّد مسند إلى ضمير الغائب (هي) العائد على الرسوم. وهو من (هَمَدَ يهْمُد) ؛ و"الهاء والميم والدال: أصلٌ يدلُّ على خمودِ شيء"[2]، وهمد الثوب بلِيَ، والهامد البالي[3]، وقال ابن السكّيت: همِد الثَّوْبُ يَهمَدُ: إذا بَلِي[4]. بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع.

الدلالة على الوصول إلى مقدار معيّن:

وَمَا بَلَغَتْ منْ كلِّ أمْرٍ عَشِيرَهُ ... وَلكِنَّ نَفسي بَعْضَ ما فيهِ تحمَدُ[5]

فـ(بلغت) فعل ثلاثيّ مجرَّد، أصله الصحيح (الباء واللام والغين)، الذي يحمل دلالة الوصول إلى قدر معيّن، ومنه قوله تعالى: {كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِي}[6]، أي وصلت الروح لأعلى الصدر.

وهو ماضٍ متعدٍ لمفعوله، مسند لضمير الغائب (هي)، العائد على النفس، مبنيّ لفاعله، ودلالته الزمنية الوصول إلى زمن يقرب من الحال؛ لأنه سُبِقَ بـ(ما) النافية[7].

الدّلالة على عمل عضويّ:

ومثال ذلك من المرثيَّات: (جودي) وذلك في قولهرضي الله عنه:

فجودي عليه بالدموع وأعولي ... لفقد الذي لا مثله الدهر يوجدُ[8]

الفعل (جودي) فعل ثلاثي أجوف مجرد من (جاد يجود)، وأصله (الجيم والواو والدال)، يدلّ على

---

(١) الديوان، ص:٩١.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (هـ، م، د)، ج:٦ ، ص: ٦٥.

(٣) لسان العرب، ج: ٣، ص:٤٣٦.

(٤) إصلاح المنطق، ج:١، ص:١٩٠.

(٥) الديوان، ص:٩٢.

(٦) سورة: القيامة، آية:٢٦

(٧) أورد عباس حسن في كتابه النحو الوافي: أن الفعل الماضي إذا سُبِق بـ(ما) النافية يصرف زمنه إلى زمن يقرب من زمن الحال، ينظر: كتابه، ج:١، ص:٥٣.

(٨) الديوان، ص:٩٤.

البذل والسخاء، وهو فعل لازم اكتفى بفاعله، مسند للضمير المتّصل (ياء المخاطبة)، وجاء على صيغة الأمر، ودلالته الزمنية الحاضر والاستقبال.

الدلالة على التحليق حول الشيء والإحاطة به:

والفعل(حفّ) يحمل هذه الدلالة في قوله:

صَلّـى الإِلَهُ وَمَـن يَحُفُّ بِعَرشِهِ ... وَالطَّيِّبُـونَ عَلى المبـارَكِ أَحمَـدِ(١)

ومثله قوله ﷺ: "حُفَّت الجنّة بالمكارِهِ"(٢)، وحفَّ الناس بالولد التائه؛ أي تحلّقوا حوله وأحاطوا به(٣)، ومن ذلك قول عبدالله بن سلمة:

درأْتُ على أوابدَ ناجياتٍ ... يَحُفُّ رِياضَها قَضْفٌ ولوبُ(٤)

و(يحفُّ) فعل مضارع، مسند لضمير الغائب، ثلاثيّ مضعّف، لازمٌ، دلالته الزمنية الاستمرار؛ فالملائكة حافّة حول العرش إلى قيام الساعة بشكل مستمر لا ينقطع.

الدّلالة على الشفقة والعطف:

عـطوفٌ عليـهمْ، لا يثنِّي جناحهُ ... إلى كَنَفٍ يَحْنـو علـيهم وَيَمْهِدُ(٥)

ومن ذلك قول النبي ﷺ لأزواجه: "لا يحنو عليكن بعدي إلا الصابرون"(٦)، فـ(يحنو) فعل مضارع، ناقص واوي، يدل في البيت على العطف والشفقة، من (حنا على فلانٍ: عطف وأشفق عليه)، وحنَت الأمُّ على ولدها: عطفت وأشفقت عليه فلم تتزوّج بعد وفاة أبيه(٧)، وهو بهذا المعنى لازمٌ، مكتفٍ بفاعله المسندِ إليه، الضميرِ المستتر (هو) العائدِ على النبيِّ ﷺ، وبقيت دلالة الفعل المضارع الزمنيّة كما هي، لعدم وجود قرينة تصرفه عن زمنه.

الدلالة على حُسْن النشأة:

رَبَاهُ وَلِيداً، فَاسْتَتَمَّ تَمامَهُ ... على أكْرَمِ الخيرَاتِ، رَبٌّ مُمجَّدُ(٨)

---

(١) الديوان، ص:٩٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رواه أنس بن مالك، ٢٨٢٢.

(٣) يُنظَر: تاج العروس ج:٤، ص:٢٢١،

(٤) البيت على بحر الوافر، القضف: الحِجارَةُ الرِّقاقُ، اللوب: العَطَشُ، ورد في المفضليّات، ص:٩٢، وفي منتهى الطلب من أشعار العرب، البغدادي، ص:٢٦٢.

(٥) الديوان، ص:٩٣.

(٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل، روته: عائشة أم المؤمنين، رقم الحديث: ٢٤٧٢٤.

(٧) لسان العرب، ج:١٤، ص:٢٠٢

(٨) السابق، ص:٩٥.

(رباه) فعل ماضٍ، متعدٍّ لمفعوله، مسندٌ لضمير الغائب المستتر (هو)، ناقصٌ واويٌّ، من نما وزاد، وفي التنزيل العزيز: {وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيج}[1]، أي: زادت وانتفخت لما مازجها من الماء والنَّبات.

الدّلالة على حركة رأسيّة:

تَقَطَّعَ فيهِ منزِلُ الوَحْيِ عَنهُمُ ... وَقَد كان ذا نور، يَغورُ ويُنْجِدُ[2]

فالفعل(يغُور) يمثل حركة رأسية من أعلى إلى أسفل، ويخالفه الفعل (يُنْجِد).

و(يغُور) فعل مضارع، أجوف واوي، مسند لضمير الغائب، وهو لازم، دلالته الزمنية المضي[3]؛ لأنّه تصدّر نعت الجملة الفعليّة الدائرة في فلك نعت المضاف إلى (نور)، خبر الفعل الناسخ الماضوي (كان). ويغور ويغير: يبلغ الغور، وهو المنخفض من الأرض، ويُنجِدُ: يبلغ النجد، وهو المرتفع من الأرض، والمراد يعم جميع الأمكنة، والحقيقة أنّ هذين المتضادّين (يغور ويُنجِد)، وردا كثيرًا في أشعار العرب، ومنها قَوْلُ الأَعْشَى:

نَبيّ يَرَى مَا لَا تَرَون، وذِكْرُه ... أَغارَ، لَعَمْري، فِي الْبِلَادِ وأَنْجدا[4]

وَقَولُ جَمِيلِ بُثَيْنة:

وأَنتَ امرؤٌ مِنْ أَهل نَجْدٍ، وأَهْلُنا ... تِهامٌ، وَمَا النَّجْدِيّ والمتَغَوّرُ؟"[5]

وفي السنّة ما رواه عمرو بن عوف: "أَن النّبي ﷺ أَقطعَ بلالَ بن الْحَارْثِ المُزَنِيّ مَعادِنَ القَبَلِيَّة جَلْسِيَّها وغَوْرِيَّها"[6] "قَالَ ابْنُ الأَثير: الغَورُ مَا انْخَفَضَ مِنَ الأَرض، والجَلْسُ مَا ارْتَفَعَ مِنْهَا. يُقَالُ: غارَ إِذَا أَتى الغَوْرَ، وأَغارَ أَيضاً، وَهِيَ لُغَةٌ قَلِيلَةٌ"[7].

فَعَلَ – يَفعِلُ:

بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع، كضرب يضرِب وجلس يجلِس، "وإن كان الفعل معتلّ الفاء بالواو؛ فإنّ مضارعه أبدًا على (يَفْعِلُ) بكسر العين، نحو: (وعد يعِد) و(وزن يزِن)، وتحذف الواو؛

---

(١) سورة: الحج، آية:٥.

(٢) الديوان، ص:٩٣.

(٣) ذُكر في النحو الوافي، أنّ المضارع تصرف دلالته إلى المضيّ إذا وقع تحت تأثير (كان) الناسخة ج:١، ص:٦١.

(٤) البيت على بحر الطويل، من ديوان الأعشى ص: ٦١، وورد في الأغاني، ج:٥ ص:١٤٧.

(٥) البيت على بحر الطويل، ديوان جميل بُثينه، ص:٣٨.

(٦) سنن أبي داوود، باب في إقطاع الأرضين، رواه عمر بن عوف المزنيّ، رقم الحديث: ٣٠٦٢.

(٧) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج:٥، ص: ٣٤.

لوقوعها بين ياء وكسرة في (يَعِد)، ثم تحمل في (أَعِد و نَعِد وتَعِد) عليه؛ لما يُبَيَّن في التّصريف"[1] ، ولزموا الكسرة في الأجوف والمنقوص بالياء، نحو: بَاع يبيع، ورَمى يرمي[2]. وإليك طائفة من هذه الأفعال، التي جاءت على هذا الوزن في المرثيَّات، مشفوعة بدلالاتها:

الدلالة على آثار الحزن والفجيعة:

ويتّضح ذلك في أكثر أفعال هذا البناء ومنه الفعل (بكى- يبكي)، الذي تكرّر خمس مرات في المرثيَّات، وفي هذا دلالة على الحزن المرير الذي عاناه الشاعر، ومنها قوله:

يُبكُّونَ من تبكي السَّمواتُ يومهُ ... ومن قدْ بكتهُ الأرضُ فالناس أكمدُ[3]

فهذه الأفعال ماضويّة كانت أو مُشْرَبة بالاستمرار عن طريق المضارع، سُقِيت جميعها بماء اللوعة والحزن الممرورين؛ جرّاء فجيعةِ الفقد، كما أن تكرارها منح الدّلالة شحنة مكتنِزة من آلام الفراق، الذي يقضّ المضجع، ويجافي الكرى، ويستدرّ الدمع. إنّ ثمَّة ألمًا مضنيًا، ولوعة جذعة، ودموعًا متحدِّرة وأعينًا مقروحة، ونارًا متأجِّجة، لا يمكن التنفيسُ عنها إلا بهذا التكثيف من الأفعال، الدائرة في فلك الأسى، ومن الأفعال التي أتت على هذا البناء، وأخذت دلالة الحزن، فعل (حلّ) في البيت:

أَو حَلَّ أَمرُ اللَهِ فينا عاجِلاً ... في رَوحَةٍ مِن يَوْمِنا أَوْ في غَدِ[4]

(حلّ) فعل ماضٍ، صحيح مضعّف، لازم، أُسنِد إلى الاسم الظاهر (أَمْر)، ودلالته الزمنية الاستقبال؛ لأنه معطوف على فعل قبله اقتضى طلباً؛ وذلك في قوله:

أَأُقيمُ بَعدَكَ بِالمَدينَةِ بَينَهُم ... يا ليتني صُبِّحْت سُمَّ الأَسْوَدِ[5]

فعندما جاء الفعل (حلّ) معطوفًا على الفعل (صُبِّحتُ) المسبوق ب(لَيْتَ)، أخذ آنذاك دلالة الاستقبال.

ومن الأفعال التي حملت دلالة الحزن الفعل (تَذرِف)، في قوله:

أطالتْ وقوفاً تذرفُ العينُ جُهْدَها ... على طللِ القبرِ الذي فيهِ أحمدُ[6]

و(تذرف) فعل مضارع، متعدٍ، مسند إلى الاسم الظاهر (العين)، ودلالته الزمنية وقوع الحدث في

---

(١) الممتع في التصريف ابن عصفور الإشبيلي، ج:١ ص: ١٧٧.

(٢) همع الهوا مع، السيوطي، ج:٣، ص:٣١٠.

(٣) الديوان، ص:٩٣.

(٤) الديوان، ص:٩٦.

(٥) الديوان،ص:٩٦.

(٦) السابق، ص:٩٢.

الزمن الماضي، واستمراره فترة من الزمن، وقرينة ذلك فعل (أطالت) الماضي؛ حيث وقع الفعل (تذرف) حالًا، عامِلُه فعل ماضٍ[١].

ومن الأفعال التي تدل على الحزن كذلك الفعل (شفّ)، في قوله:

مفجَّعةٌ قدْ شفَّها فقدُ أحمدٍ ... فظلَّتْ لآلاء الرسولِ تعدِّدُ[٢]

وشفّه الحزن والهَمُّ: لذع قلبه وأضمره وهزله حتى رَقّ، وهو من قولهم شفّ الثوب إذا رَقَّ، حتى يصف جلد لابسه"[٣]. وهو فعل ماضٍ، مضعّف، متعدٍّ، أسند إلى الاسم الظاهر (فَقْدُ)، ودلالته الزمنية وقوع الحدث في زمن يقرب زمن التكلّم؛ وأكسبه هذه الدلالة التقييد بـ(قد)[٤].

والفعل (ظلّت) ماضٍ، مضعّف، ودلالته الزمنية وقوع الفعل في الزمن الماضي القريب؛ لأنه عُطِف على الفعل (شفّها)، فأخذ دلالته.

والتضعيف في الأفعال السابقة، (شفّ، وظلّ) منح الأبيات قوّة في التعبير، وعمقًا في الدلالة؛ فهو -لا شكّ- يَشِي هنا بالذلّ الشديد، والانكسار المرير، اللذَين غشّيا الشاعر بأطمار كثيفة وسجوفٍ متتالية؛ لعظم الرُّزء، وهول المصاب.

وكثير من الأفعال - أيضًا - جاءت في سياقات محمّلة بالحزن، ومنها (يَضْرِبْنَ، وضَاقَت، وظَلِلْت)، ويكفينا ما فصَّلنا فيه، دون الخوض في دلالات هذه الأفعال؛ لأنها تصبّ في المعين نفسه.

الدلالة على حال آثاره ﷺ بعد وفاته:

معالمُ لم تطمسْ على العهدِ آيُهَا ... أتَاهَا البِلَى ، فالآيُ منها تَجَدَّدُ[٥]

(تُطْمَس) فعل مضارع، مبني للمجهول، متعدٍّ، أسند إلى الاسم الظاهر (آيُها). ودلالته الزمنية المضيّ؛ لأنه قُرِن بـ(لم)[٦]، وقيّد بها.

(أتاها) فعل ماضٍ، منقوص، متعدٍّ، مسند إلى الاسم الظاهر (البِلَى)، ودلالته الزمنيّة وقوع الحدث في زمن الماضي.

فَعَلَ – يَفعَلُ:

---

(١) ذكر السيوطيّ أن المضارع إذا وقع حالًا عامله فعل ماضٍ تُصْرَف دلالته للمضيّ، الهمع، ج:١ ص:٥٣

(٢) السابق، ص:٩٢.

(٣) شرح الديوان، ص٩٢.

(٤) ينظر: النحو الوافي، إذا قُرِن المضارع بـ(لم) تصرف دلالته للمضي، ج:١، ص:٥٣.

(٥) الديوان، ص:٩١.

(٦) ورد في الهمع أن المضارع إذا قُرِن بـ(لم) تصرف دلالته للمضي، ج:١، ص:٣٥.

بفتح العين فيهما، كفَتَحَ يَفْتَحَ، وذَهَبَ يَذهَبُ، ويغلِب في هذا الباب أن يكون عينه أو لامه من حروف الحلق، وفي ذلك يقول سيبويه: "وإنّما فتحوا هذه الحروف لأنّها سَفَلَت في الحلق، فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف، فجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيّزها وهو الألف وإنّما الحركات من الألف والياء والواو"(١).

وقد انضوى تحت هذا البناء مجموعة من الأفعال، حُدِّدَت مجالاتها الدّلالية كما يلي:

الدّلالة على عمل حسّي:

وممّا يمثّل هذه الدّلالة الفعل (رَأَى)؛ إذ المفهوم الذّهني المقترن بالصّورة السّمعية لهذا الفعل هو النّظر الحقيقي، بيد أنّ المعنى الدّلاليّ قد انداحت دائرته، واتّسعت لتشمل دلالة الرّؤية غير البصريّة، وربّما قلت العلميّة أو العقليّة، وذلك في قوله:

تَذَكَّرَ آلاءَ الرَّسُولِ وما أَرَى ... لها مُحْصِيًا نَفْسِي فنَفْسِي تَبَلَّدُ(٢)

والفعل (أرى) فعل مضارع، متعدٍّ، ناقص، مُسنَد إلى ضمير المتكلم، ويدلّ الفعل هنا على الحال، ويؤكد ذلك دخول (ما) النافية عليه(٣). ومما استظلّ بهذه الدلالة – أيضًا – من الأفعال الفعل (بَرَا) في قوله:

ولا بَرَا اللَّـهُ خَلْقًـا منْ بريَّتِهِ ... أَوْفَى بِـذِمَّـةِ جَـارٍ، أو بِمِـيـعَادِ(٤)

(برا): خَلَقَ، وخلق الله الخلق: أوجدهم من العدم(٥)، وهنا سُهِّلت الهمزة، وأصل الفعل (بَرَأَ – يبْرَأُ)، ولم يجنح الشاعر إلى التسهيل في المرثيَّات قاطبة إلا في مواضع ثلاثة في هذا الفعل، وفي الاسمين (الانصار والاثنين)، وربّما كان الدافع إلى هذا رغبتَه في التسهيل، وتَقَيُّدَه بالوزن.

وجاء الفعل (برا) المتعدي، بصيغة الماضي ودلالة الاستقبال؛ لأنّه قُيِّد بـ(لا) النافية، وعُطِف على القسم في البيت الذي سبقه (تالله ما حملت أنثى)، وتَضَافُرُ النفي والقسم؛ صَرَفَ دلالة الفعل إلى الاستقبال(٦)

الدّلالة على موقف إرادي :

وقد مثّل هذه الدّلالة الفعل(شَاءَ) المرتبط بإرادة الإنسان، في قوله ﷺ:

---

(١) الكتاب، سيبويه، ج:٤، ص:١٠١.

(٢) الديوان، ص:٩٢.

(٣) ينظر: دلالة الفعل الزمنية في النحو الوافي، ج:١، ص: ٥٧.

(٤) الديوان، ص:٩٧.

(٥) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص:٤٢.

(٦) ينظر: دلالة الفعل الزمنيّة في همع الهوامع، ج:١، ص: ٣٩.

مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَليمُت ... فَعَلَيْكَ كُنْتُ أُحَاذِرُ[١]

وقد رأى الأصفهاني أنّ الإرادة تعادل المشيئة على حدٍ سواء[٢]، و(شاء) فعل ماضٍ، متعدٍّ، أجوف، أُسنِد إلى ضمير الغائب، ودلالته الزمنيّة الاستقبال؛ لدخول أداة الشرط (مَن) عليه[٣]؛ لأنها تجعل زمن الماضي الواقع فعل شرط أو جواب شرط مستقبلًا خالصًا[٤].

الدّلالة على تكريم سيد البشريّة على سائر البريّة:

و قد مثّل هذه الدلالة الفعل (وضعت)، في قوله:

تالله ما حَمَلَت أنثى ولا وَضَعَت ... مثْل الرَّسولِ نبيِّ الأمَّة الهَادِي [٥]

(وَضَعَتْ) فعل ماض، مثال، متعدٍّ، مسند إلى ضمير الغائبة، وانصرفت دلالته الزمنية إلى الاستقبال[٦]؛ لأن الفعل نُفِي بـ(لا) بعد قسم، لكن المعنى الدلالي للبيت، أنّه لم تحمل أنثى ولن تحمل مثل الرسول ﷺ، مهما دار الفلك الدوّار، والكوكب السيّار، وتوالت السنون والأعمار، فالنبيُّ ﷺ هو أفضل مخلوق في البشريَّة جمعاء.

الدلالة على الإصابة بالأرق والوقوع في الشدَّة:

ما بَالُ عَينِكَ لا تَنَامُ كَأنَّمَا ... كُحِلَت مآقيها بكُحْلِ الأرْمدِ[٧]

(تنام) فعل مضارع، أجوف، لازم، مسند إلى ضمير الغائبة، ويدلّ هنا زمنيًّا على الحال؛ لتصدره بـ(لا) النافية، ويدلّ على الخلود للراحة معنويًّا، ولكنَّ الشاعر لا يمكنه أن يهنأ بنوم لِمَا به. ومجيء الفعل (كُحلت) في هذا السياق أكّد ما رام إليه الشاعر، من دلالة مجافاة النوم، وزاد الأمر تكثيفًا ودلالة مجيء شبه الجملة المضاف مجرورُها (بكحل الأرمد) و(الأرمد) هو المصاب بهذا الداء، ومن ذلك: (اكتحل السُّهَاد)؛ إذا أرق وذهب نومه من حزن أو غيره، ومنه قول علي بن أبي طالب ﷺ: "ما اكتحل رجل بمثل ملمول الحزن"[٨]. وفي هذا من المجاز، وكسر المعيار، والانزياح التركيبي، ما لا يخفى على المتأمّل،

---

(١) الديوان، ص:١٣٥.

(٢) يُنظر: المفردات في غريب القرآن، الرَّاغب الأصفهاني، ص:٢٧١.

(٣) همع الهوامع، الدلالة الزمنيّة للفعل الماضي، ج:١، ص: ٣٩.

(٤) معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، ج:٣، ص:٢٩٩.

(٥) السابق، ص:٩٧.

(٦) النحو الوافي، الدلالة الزمنية للماضي، ج:١، ص:٥٤.

(٧) الديوان، ص:٩٥.

(٨) الهم والحزن، الحافظ ابن أبي الدنيا، ص:٣١

وكأنّما صار الرَّمَد كحلًا، يُرَنِّق العين ولا يفارقها.

و(كُحِلَت) فعل ماض، مبني للمجهول، لازم، أسند إلى الاسم الظاهر (مآقيها)، ودلالته الزمنيّة المضي؛ لعدم وجود قرينةٍ تصرفه إلى زمن آخر.

والفعل (كُحِلَت) في هذا البيت أكّد المعنى الدلاليّ للفعل المنفي (تنام)، وذلك عندما ارتبط بـ(كُحْل)، ومعنى هذا الإصابةُ بالرَّمد، وهو داء يصيب العين.

والأفعال التي على بناء (فَعَلَ) كثيرة جدًا، ومتعددة الاستعمالات لمعانٍ ودلالات لا تُحصى ؛ وذلك بسبب خفة هذا البناء وكثرة دورانه على الألسنة، ونلحظ أن جميع الأفعال في بناء (فَعَل – يَفْعَل) كانت حلقية العين أو اللام.

ثانيًا: باب (فَعِلَ)

ممّا عُرِف عن هذا البناء اختصاصه بالأفعال الدّالة على العِلَل، والأحزان، والعيوب، والألوان، والحِلَى، وقد أكدّ هذا الأمر ابن الحاجب في قوله: "و(فَعِلَ) تكثر فيه العلل والأحزان وأضدادها، نحو: سقِم ومرِض وحزِن، وفَرِح، ويجيء الألوان والعيوب والحلى كلُّها عليه "[1].

وورد هذا البناء في المرثيَّات خمس عشرة مرة، وجميعها مفتوحة العين في المضارع.

فَعِل يَفعَل:

بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع، ومن دلالات هذا البناء:

الدّلالة على استمرار الحزن والألم:

وَاللَهِ أَسمعُ ما بقيتُ بِهالِكٍ ... إِلَّا بَكَيتُ عَلى النَبِيِّ مُحَمَّدِ[2]

(أسمع) فعل مضارع، متعدٍّ، مُسنَد إلى ضمير المتكلّم. وبتقصّي النظر في تركيب البيت نُلفِي وجود (لا) النافيةِ محذوفةً قبل الفعل (أسمع)، فالمعنى المتوخّى الذي رام إليه الشاعر هو: "يمين الله لا أسمع نَعْيَ ميت مدة حياتي، إلا بكيت على النبي محمدﷺ"[3]، وعندما اجتمع النفي والقسم وتضافرا؛ صُرِفَت دلالة الفعل الزمنية إلى الاستقبال[4].

الدّلالة على تعظيم وإجلال سيِّد الأخلاقﷺ:

ومن الأفعال التي حملت هذه الدلالة : الفعل (وطِئ) في قوله:

---

(١) شرح الشافية، الرضيّ الاستراباذي، ج:١، ص:٧١.

(٢) السابق، ص:٩٦.

(٣) شرح ديوان حسَّان بن ثابت الأنصاري، البرقوقي، ص:٩٦.

(٤) همع الهوامع، دلالة الفعل، ج:١، ص:٣٤.

جزَعاً عَلى المَهدِيِّ أَصبَحَ ثاوِياً ... يا خَيرَ مَن وَطِئَ الحصى لا تَبعُدِ[1]

(وَطِئَ) فعل ماض، متعدٍ، مِثال، مسند إلى ضمير الغائب.

والفعل (وطِئ) من "وَطِئَ الشيءَ يَطَؤُهُ وَطْأً: داسَه"[2]، و"وطِئته برجلي، أطؤه وطأ: علوته"[3]، فالفعل (وطئ) عندما سبق بصيغة التفضيل حمل لنا دلالة التعظيم للرسولﷺ، وهنا يدل على الماضي والحاضر والمستقبل، لأنه لم ولن يطأ الأرض أشرف من النبي ﷺ.

الدّلالة على الحضور ومشاركة الموقف:

بِأَبي وَأُمِّي مَن شَهِدْتُ وَفاتَهُ ... في يَومِ الإِثنَينِ النبيِّ المهْتَدِي[4]

(شَهِدْتُ) فعل ماض، متعدٍ، أسند إلى ضمير المتكلم، دلالته الزمنية المضيّ، فالفعل (شَهِد) أتى ليدلّ على حضوره رضي الله عنه وقت وفاة الرسولﷺ.

الدّلالة على انقطاع شيءٍ عظيمٍ كان معتادًا:

وأمستْ بِلادُ الحَرْمِ وَحشاً بقاعُها ... لِغَيْبَةِ ما كانَتْ مِنَ الوَحْيِ تعهَدُ[5]

(تَعْهَدُ) فعل مضارع، متعدٍ، أسند إلى ضمير الغائبة، ودلالته الزمنية المضيّ؛ لأنّه خبر لـ(كان)[6] التي تنسخ الزمن إلى المضيّ.

الدلالة على حركة انتقاليّة منتهية إلى راحة وثبات واستقرار:

وتكمن هذه الدلالة في الفعل (نَلْقَى) في قوله:

فَتَقومُ ساعَتُنا فَنَلقَى طَيِّباً ... مَحضاً ضَرائِبُهُ كَريمَ المَحْتِدِ[7]

(نلقى) فعل مضارع، متعدٍ، مسند إلى ضمير المتكلّم، دلالته الزمنية الاستقبال؛ وقرينة ذلك معنوية؛ فهو يتكلم عن لقائه بالرسولﷺ في الجنة.

ثالثًا: باب (فَعُلَ)

وهذا البناء لا يجيء إلا "للدلالة على غريزة أو طبيعة أو ما أشبه ذلك، نحو: جَدُرَ فلان بالأمر،

---

(١) السابق، ص:٩٦.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج:١، ص: ١٩٥.

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي المقري، ج:٢، ص:٦٦٤.

(٤) الديوان، ص:٩٦.

(٥) الديوان، ص:٩٤

(٦) النحو الوافي، دلالة الفعل الزمنية، ج:١، ص:٦١.

(٧) الديوان، ص:٩٦.

وخَطُرَ قدره"[١]. فهذا الباب "للأوصاف الخَلْقِية، وهي التي لها مُكْث"[٢]، وعلى كلٍّ، فهذا الباب أقلّ الأبنية ورودًا في المرثيَّات.

فعُل– يفعُل

بضمِّ العين فيهما، لم يَرِد هذا البناء إلا مرة واحدة فقط، في قوله:

جزَعاً عَلى المَهدِيِّ أَصبَحَ ثاوِياً ... يا خَيرَ مَن وَطِئَ الحصى لا تَبعُدِ[٣]

(تَبْعُد) فعل مضارع، لازم، مسند إلى ضمير المخاطب، وهنا دفعت (لا) الناهية الدلالة الزمنيّة للفعل المضارع إلى الاستقبال[٤]، ويتبدّى لي أنّ الفعل لا يَشِي بدلالة الطّبائع والغرائز، كما أفاد في ذلك الصرفيون[٥] في مثل هذا الوزن، بل دلّ على بُعْدِ الحركة، كما في الفعل(بعُدَ)، المرادفِ للفعل (ابتعد).

وهكذا تنوّعت الدلالات، واختلفت المشارب، وجاءت المعاني سهوًا ورهوًا؛ لأنّ الكلمة تتحرر من حدود (الأنا) الدلاليّة المحدودة الضئيلة البئيلة؛ لتنداح الدائرةُ، وتُضَاف دلالاتٌ أخرى، يمليها سابق الكلمة ولاحقُها، كما أن هذا التعدّد يَشِي بثراء معجم الشاعر وتقلّبه، وتمكنه من أدوات نصّه، ويضاف إلى ذلك أنّ هذه الأبنية جاءت متأثرةً ببيئة الشاعر، ومُشْرَبة بجوّ النص الرثائيّ الحزين، دائرة في فلكه، صابّة في معينه.

---

(١) شرح ابن عقيل، الذّيل، ص: ٦٣٧.

(٢) ينظر: شذا العرف في فن الصرف، الحملاوي، ص:٣٦.

(٣) الديوان، ص: ٩٦.

(٤) النحو الوافي، دلالة الفعل الزمنية، ج:١، ص:٥٨.

(٥) شذا العرف ، ص:٣٧.

المطلب الثاني

أبنية الأفعال المزيدة ودلالاتها

من المعلوم أن كل صيغة من الصيغ المزيدة لها دلالات، تضفيها أحرف الزيادة التي دخلت عليها، وتتنوع دلالاتها وَفْقًا للسياق الواردة فيه، وسأعرض نماذج تحليليّة لكل صيغة على حدة، مقتصرة على الدلالة الحيّة، وهي دلالات الصيغة في سياق ما وردت فيه.

ونظرًا لاختلاف المعنى باختلاف سياقه؛ فإنّي لاحظت أن هناك صيغًا مزيدة لم ينطبق معنى الزيادة فيها على أي من المعاني الموضوعة في كتب الصرف، وبناءً على هذا ترضّيت – بمشورة مشرفي الفاضل – لهذه الزيادة معانيَ تناسبها في سياقها الذي وردت فيه.

أوّلًا: الثلاثي المزيد بحرف واحد

وأبنيته ثلاثة: بناء (أَفْعَل – يُفْعِل)، وبناء (فَعَّل – يُفَعِّل) وبناء (فاعَل – يُفَاعِل).

أفْعَلَ – يُفْعِلُ

عبّر هذ الوزن عن معان صرفيّة مختلفة، نورد أهمّها كما يلي:

التّعدية:

وهي من أهمّ المعاني الصرفيّة التي وُضِعت لبناء (أَفْعَل) "وهي تصيير الفاعل بالهمزة مفعولًا"[(١)]؛ أي أن الهمزة تجعل من الفعل اللازم متعديًا لمفعولٍ، ومن الفعل المتعدي لمفعول واحدٍ متعديًا لمفعولين، ومن المتعدي لمفعولين متعديًا لثلاثة مفاعيل، وقد جاء هذا المعنى في قوله ﷺ:

أطالتْ وقوفاً تذرفُ العينُ جُهْدَها ...على طللِ القبرِ الذي فيهِ أحمدُ[(٢)]

فالفعل (أطالت) كان في صيغته المجردة لازمًا، وبزيادة الهمزة أصبح متعديًا لمفعول، وكذا بالنسبة للفعل (أحسن) في قوله ﷺ:

عَــفُوٌّ عن الزّلاّتِ، يَقــبلُ عُذْرَهمْ ... وإنْ يحسنوا، فاللهُ بالخيرِ أجود[(٣)]

فهو عكس مجرّده (حَسُن) الدَّالُّ على اللّزوم، وتقدير الجملة هنا: (إن يحسنوا أعمالهم).

كما ينتمي أيضًا الفعل (أعاش) إلى زمرة الأفعال المتعدّية، في صيغتها المزيدة، عكس صيغتها المجردة كما هو ممثّل في قوله ﷺ:

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب، الرضيّ الاستراباذي، ج:١، ص:٨٦.

(٢) الديوان، ص:٩٢.

(٣) السابق، ص:٩٣.

لَم يَترُكِ اللَهُ منا بعده أحدًا ... وَلَم يُعِش بَعدَهُ أُنثى وَلا ذَكَرا[1]

فالفعل (يُعِش) من الثلاثي المزيد بالهمزة للتعدية، ليس من(عاش) المجرّد؛ لأن حرف مضارعته مضموم، ويمكننا تقدير جملتها الماضويّة المُثْبَتة هكذا (أعاش الله أحدًا)، على حين أن المجرّدَ منه لازمٌ، لا مفعولَ له، وأوجب المفعولَ له همزةُ التعدية.

ويمكن الجزم بأن الهمزة في (أفعل) في هذه المواضع تدل على التعدية، وهذا المعنى قد عبّر عنه سيبويه في (باب افتراق فَعَلت وأَفْعَلتَ في الفعل للمعنى)؛ حيث قال: "تقول: دَخَل، وخَرَج، وجَلَس. فإذا أخبرتَ أن غيره صيَّره إلى شيء من هذا قلت: أَخْرَجه، وأَدْخَله، وأَجْلَسه.

وتقول: فَزِع، وأَفْزَعْتُه، وخَاف وأَخَفْتُه، وجَال وأَجَلْتُه، وجَاءَ وأَجَأتُه؛ فأكثر ما يكون على فَعل (مثلث العين) إذا أردت أن غيره أَدخَلَه في ذلك يُبنى الفعل منه على أَفْعَلْتُ."[2]

وقال ابن الحاجب: "أَفْعَل: للتعدية غالبا نحو: أَجْلَسْته" وقد شرح الرضيّ معنى التعدية بقوله: "هي أن يُجْعَل ما كان فاعلًا للازم، مفعولًا لمعنى الجعل، فاعلًا لأصل الحدث..."[3]

ولا يغيب عن المتوسّم وجود الحذف في مضارع جميع الأفعال المزيدة بالهمزة؛ فالفعل (يُعِش) أصله (يؤعْيِش)، وحذفت الهمزة فيه للتخفيف، ولعلّك تلاحظ معي الإعلال بالقلب والإبدال والحذف؛ فقد قُلِبت الألف ياء عند انتقال الفعل من الماضي (أعاش) إلى المضارع (يؤعيش)، وبعد حذف الهمزة تخفيفًا صارت (يُعْيِش)، وبالتالي قُلِبت حركة فاء الفعل كسرة لتجانس حركة الياء، وعندما دخل عليها الجازم وسُكِّن لام الفعل حُذِفت الياء؛ لالتقاء الساكنين.

الدخول في الشيء زمانًا:

وتَبَدَّى هذا المعنى في الفعل (أصبح وأمسى)، المكرور أربعَ مرات في المرثيَّات، ومنها قوله:

فأصبحَ محموداً إلى اللهِ راجعاً ... يبكّيهِ جفنُ المرسلاتِ ويَحمدُ[4]

(أصبح) فعل ماض، مزيد بالهمزة وصورته ثابتة بالزّيادة، ولو جرّد من الزيادة لخرج عن نطاق حقله الدلاليّ، ومثله (أمسى).

ومن المهموز ما جاء بمعنى أصله، نحو قوله:

مثلَ الرَّواهبِ يلْبسْنَ المُسُوحَ، وقَدْ ... أيقنَّ بالبؤْسِ بعدَ النِّعْمَةِ البَادِي[5]

---

(١) السابق، ص:١٣٥.

(٢) الكتاب، ج:٤، ص:٥٩.

(٣) شرح الشافية، ج:١،ص:٩١.

(٤) الديوان، ص:٩٤.

(٥) الديوان، ص:٩٧.

هو بمعنى أصله (يَقِن)، فكلاهما بمعنى العلمِ والتحقُّقِ من الشيء.

فهنا (أَفْعَلَ) بمعنى (فَعِلَ)؛ كما أشار إلى ذلك سيبويه؛ حيث قال: "وقد يجيء فَعَلْتَ وأَفْعَلْتَ: المعنى فيهما واحد؛ إلا أن اللغتين اختلفتا، زعم ذلك الخليل. فيجيء به قوم على فَعَلْتَ، ويُلْحِق قوم فيه الألف فيبنونه على أَفْعَلْتَ. كما أنه قد يجيء الشيء على أَفْعَلْتَ لا يُستعْمَل غيره، وذلك قِلتَه وأقلتَه، وشَغَله وأشْغَله، وصرَّ أُذُنيه، وأَصَرَّ أذنيه..."(١)

فَعَّلَ – يُفَعِّل

واستخدمت هذه الصيغة لمعان متعددة، منها:

التكثير في الفعل والمبالغة فيه:

وهذا المعنى من أشهر معاني هذا البناء، وكثيرًا ما يجيء عليه(٢)؛ بسبب تضعيف عين (فعَّل)؛ ليفيد تكثير الفعل والمبالغة فيه، كما أشار إليه ابن جني في قوله: "تكرير العين في البناء دليل على تكرير الفعل، ولمّا كانت الألفاظ دليلةً على المعاني؛ فأقوى اللّفظ ينبغي أن يقابلَ به قوّةُ الفعل، والعين أقوى من الفاء واللّام؛ لأنّها واسطة لهما، ومكنوفة بينهما، فصارا كأنّهما سياج لها أو مبذولان للعوارض دونها، فنجد الإعلال بالحذف فيهما دونها"(٣)، ومثال ذلك في المرثيَّات الفعل (بكَّى) في قوله:

يُبكُّونَ من تبكي السَّمواتُ يومهُ ... ومن قدْ بكتهُ الأرضُ فالناس أكمدُ(٤)

وبالنظر إلى هذا الفعل المضعّف الوسط، يتبدّى لنا أن تكثير الفعل وتضعيفَه متعدِّدُ الجوانب؛ لأنَّ التكثير في الفعل يشي بتكراره مرّات عديدة، وقد يكون التكثير في الفاعل بإسناد الفعل إلى مجموع الفاعلين، وتكثير من قام به، ولا مانع أن يقع التكثير على الأمرين معًا، مادام للكلام مرجوعٌ من السياق وآيبةٌ إليه، يمكننا الاتّكاء عليه دون أن نتحيّف المعنى، على ما آنسه البحث هنا في البيت؛ إذ التكثير واقع على الفعل والفاعل معًا؛ فالبكاء كثير لا ينقطع، والبكَّاؤون كُثُر لا يمكن حصرهم، وهكذا كان للفعل تلك الدلالة المزدوجة في آن واحد.

وقد ينحصر التكثير في الفعل فقط دون الفاعل؛ لأن الفاعل واحد لا يتعدد، ومن ذلك الفعل (صلّى) في قوله:

صَلَّى الإِلَهُ وَمَن يَحُفُّ بِعَرشِهِ ... وَالطَّيِّبُونَ عَلى المُبارَكِ أَحمَدِ(٥)

---

(١) الكتاب، ج:٤، ص:٦١.

(٢)المنصف في شرح التصريف، ابن جني، ج:١، ص: ٩١.

(٣) ينظر: المنصف في شرح التصريف، ابن جني، ص ١٥٥.

(٤) الديوان، ص:٩٣.

(٥) الديوان، ص:٩٧.

حيث حمل الفعل دلالة الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ، ودلالةَ التكثير في الفاعل؛ ويتّضح ذلك من تعدّد الفاعل لفعل واحد.

التكثير في المفعول: وذلك في قوله رضي الله عنه:

مفجَّعةٌ قدْ شفَّها فقدُ أحمـدٍ... فظلَّتْ لآلاء الرسولِ تعــدِّدُ[1]

ويتضح ذلك جليًا من التّعبير بالجمع في لفظة (آلاء)، ومن قوله أيضًا (وما أرى لها محصيا) في البيت السابق لهذا البيت[2]؛ فالشاعر يعدد آلاء الرسول ﷺ، ويحاول إحصاءها، دون جدوى، ويرى نفسه في حيرة. وفي البيت الذي نحن بصدده يبيّن الشاعر سبب هذه الحيرة، بقوله (مفجّعة قد شفّها...)، والفاجعة الرزيّة الموجعة، وشفّه الحزن، والهمّ لذع قلبه، وأضمره وهزله حتى رقّ.[3]

و(فعّل) في المواضع السابقة تفيد التكثير والمبالغة، وهو من أشهر معاني هذه الصيغة؛ بل إن سيبويه قد نصّ على هذا، حيث قال: "هذا باب دخول (فَعَّلْتَ) على (فَعَلتَ) لا يشركه في ذلك (أفعلتَ). تقول كسَرْتُه، وقطَعْتُه، فإذا أردت كثرة العمل قلت كسَّرتُه وقطَّعتُه..."[4]

الصيرورة:

وهي صيرورة شيء شبه شيء، كما تقول: حجّر الطين؛ أي صار كالحجر صلابةً، وفي هذا يقول سيبويه: "وقد يجيء الشيء على فَعَّلْتَ، فيشرك: أَفْعَلتَ كما أنهما يشتركان في غير هذا؛ وذلك قولُك: فَرِح، وفرَّحتُه، وإن شئت قلت: أفرحتُه؛ وغَرِمَ وغَرَّمتُه، وأغْرَمتُه إن شئت؛ كما تقول: فزَّعتُه وأفزعتُه"[5]. وقد دلّ على هذا المعنى ثلاثة أفعال في المرثيَّات، هي:(عطّلنَ، يُنكَّد، يُسوَّد)، وإليك تحليلَ نموذجٍ منها:

الفعل (عَطَّلْنَ) في البيت:

أمْسَى نسَاؤُكَ عَطَّلنَ البُيُوتَ، فما ... يَضْـرِبْنَ فوْقَ قَـفَا سِـتْـرٍ بـأوْتَادِ[6]

فإنّ الفعل هنا يدلّ على أن بيوت النبي ﷺ تبدّل حالها وصارت معطّلة، أي متروكة لموته ﷺ، لا يقصدها أحد. والحقيقة أنّ هذا الفعل بهذا المعنى ورد في التنزيل الحكيم، وذلك في قوله تعالى: {وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَت} [7]، أي أُهْمِلت، وتركها الناس، ومما يُحمل في هذا – أيضًا – لفظة (معطَّلة)، قوله

(١) السابق، ص:٩٢.

(٢) التمهيد، المرثية الأولى، ص:٣ .

(٣) شرح ديوان حسَّان بن ثابت، البرقوقي، ص:٩٢.

(٤) الكتاب، ج:٤، ص:٦٥.

(٥) الكتاب، ج:٤، ص:٦٦.

(٦) الديوان، ص:٩٧.

(٧) سورة: التكوير، آية:٤.

تعالى: {وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيد} [1].

ومن المضعّف ما حمل معنى أصلِه، وممّا جاء على هذا المعنى الفعل (تُشيّد)، في قوله:

وأمنعَ ذرواتٍ، وأثبتَ في العلى ... دعائـمَ عزٍّ شاهقاتٍ تُشَيَّـدُ[2]

فالفعل (تُشَيَّد) يحمل معنى أصله (شَادَ)، أي: ارتفع، ومنه قوله تعالى: {أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ}[3]، مُشيَّدة: مرتفعة.

القَبُول: ومما جاء على هذا المعنى الفعل (صُبِّحت) في قوله ﷺ:

أَأُقيمُ بَعدَكَ بِالمَدينَةِ بَينَهُـم ... يا ليتني صُبِّحْت سُمَّ الأسْـوَدِ[4]

فالفعل (صُبِّحت) يعني (سُقِيت)، وهو يحمل معنى قَبُول شرب السُّم، وشبيه به الفعل (ضُمّن)، الوارد في قوله:

وبوركَ لحدٌ منكَ ضمِّـنَ طيِّبًا ... عليـهِ بنـاءٌ من صفيحٍ، منضَّدُ[5]

فضمِّن طيّبًا، بمعنى قَبول هذا الجسد الطيِّب ﷺ.

فَاعَلَ – يُفَاعِلُ

دلَّت هذه الصِّيغة على معان صرفية مختلفة، منها:

التشارك بين اثنين:

وهو المعنى الأصليّ لهذا البناء، ويعدّ من أشهر معانيها، وقال سيبويه في هذا المعنى: "اعلم أنّك إذا قلت: فاعلتُه فقد كان من غيرك إليك، مثل ما كان منك إليه، حين قلتَ: فاعلتُه، ومثل ذلك: ضاربتُه، وفارقتُه، وكارمتُه، وعازتُه، وخاصمتُه"[6]، وسار على سَنَنِه ابن الحاجب، فأضاف قوله: "وفاعل: لنسبة أصله إلى أحد الأمرين متعلقًا بالآخر، للمشاركة صريحًا، فيجيء العكس ضمنا نحو: ضاربته وشاركته"[7]، ومن الأفعال التي عبّرت بوضوح عن هذا المعنى:

الفعل (نُعَاتِب) في قوله:

---

(١) سورة: الحج، آية:٤٥.

(٢) الديوان، ص:٩٥.

(٣) سورة: النساء، آية:٧٨.

(٤) السابق، ص:٩٦.

(٥) السابق، ص:٩٢.

(٦) الكتاب، ج:٤، ص:٦٨.

(٧) شرح الشافية، ج:١، ص:٩٩.

أم مَن نُعَاتِب لا نَخْشَى جَنَادِعَه ... إذا اللِّسَان عَتَـا في القَولِ أَو عَثَرا[1]

فالزيادة في هذا الفعل دالّة على المشاركة بين الطرفين، وإن كان أحدهما مجموعًا متمثلًا في الصحابة رضوان الله عليهم، والآخر مفردًا متمثّلًا في النبي ﷺ.

دلالة التكثير والزيادة:

ومن الأفعال التي جاءت على هذه الصيغة الفعل (بارك)، الذي تردّد ثلاثَ مرات في المرثيَّات، وذلك في قوله:

فَبُورِكتَ، يا قبرَ الرَّسولِ، وبورِكـتْ ... بِلاَدٌ ثَوَى فيهَا الرَّشِـيدُ المُسَـدَّدُ

ومجيء الفعل بورك هنا على شكل الماضي المبني للمجهول يحمل دعاء كلّ من كان لديه أثارة من حنين أو قرّ في نفسه حبّ النبيّ ﷺ، وكأن الكون كلَّه ارتضى هذه المباركة، ولعلّ هذا يذكّرنا بطريقة القرآن في توظيف الفعل المبني للمجهول الحامل هذا المعنى؛ وذلك في قوله: {وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين}[2]، فكأن الكون كله ارتضى هذا القضاء، وردّد كلمة (الحمد)، ومن ثَمَّ فقد تضافرت الصيغة (فاعل) مع البناء للمجهول، فاكتست الدلالة تكثيفًا، كان أبلغ في التأتّي للمراد.

ومن الأفعال التي جاءت بهذا المعنى أيضًا (أحاذر)، في قوله:

مَن شاءَ بَعدَكَ فَليَمُت ... فَعَلَيكَ كُنتُ أُحاذِرُ[3]

فهو يحمل معنى المحاذرة مرّة بعد مرّة، بشكل مستمر؛ للمبالغة فيه.

غير أن هذه الصيغة قد تأتي على معناها الأصليّ، لا تفارقه ولا تنفك عنه، ومن ذلك الفعل (يؤانس)، الذي حمل معنى (يبصر) في قوله:

مَن ذا الَّذي عِندَهُ رَحلي وَراحِلَتي ... وَرِزقُ أَهلي إِذا لَم يُؤنِسوا المَطَرا[4]

ثانيًا: الثلاثي المزيد بحرفين

وأبنيته خمسة: بناء (تَفَعَّلَ – يَتَفَعَّلُ)، وبناء (افتَعَلَ – يَفْتَعِلُ)، وبناء (تَفَاعَلَ – يَتَفَاعَلُ)، وبناء (انفَعَلَ – ينفَعِلُ)، وبناء (اِفْعَلَّ – يَفْعَلُّ)[5]، ولم يرد في المرثيَّات منها إلا الأبنية الثلاثة الأوُل، وهي

(١) الديوان، ص:١٣٥.

(٢) سورة: الزُّمَر، آية: ٧٥.

(٣) السابق، ص:١٣٥.

(٤) السابق، نفسه.

(٥) شرح ابن عقيل، الذّيل، ص:٦٣٥.

موضونة مع دلالاتها كما يلي:

بناء (تَفَعَّل – يتَفَعَّل)

ومن المعاني الصرفية التي جاءت على هذه الصيغة في المرثيَّات:

مطاوعة (فعّل):

كما في الفعلين (تذكّر وتَبَلَّد) في قوله:

تذكَّرُ آلاءَ الرسولِ، وما أرى ... لهَا مُحصِياً نَفْسي، فنَفسي تبلَّدُ[1]

زيادة التاء والتّضعيف فيهما جاءت لمطاوعة (فعّل)؛ فهو يذكِّر نفسه بآلاء الرسول ﷺ، فتتذكّرها نفسه، فيحاول إحصاءها، فيراها لا تحصى كثرةً، فبَلّدت بكثرتها نفسَه فتبلّدت.

الإعراض:

نَبِّ المَساكينَ أَنَّ الخَيرَ فارَقَهَم ... مَعَ النَّبِي تَوَلَّى عَنهُمُ سَحرَا[2]

لابد من التفريق هنا بين (ولَّى) المتعدي بنفسه والمتعدي بحرف الجر، وقد أشار إلى هذا الفرق الراغب الأصفهاني؛ إذ يقول: "وقولهم: تولّى؛ إذا عُدِّيَ بنفسه اقتضى معنى الولاية، وحصوله في أقرب المواضع منه... وإذا عدِّي بـ(عن) لفظًا أو تقديرًا؛ اقتضى معنى الإعراض وتَرْكِ قُرْبِهِ..." [3]. والموضع الوارد في المرثيَّات من النوع الثاني؛ فهو دالٌّ على معنى الإعراض؛ لأنّه عدّي بـ(عن).

المبالغة والتكثير:

ومن ذلك الفعل (تقطّع) في قوله:

تَقَطَّعَ فيهِ منزِلُ الوَحْيِ عَنهُمُ ... وَقَد كان ذا نورٍ، يَغورُ ويُنْجِدُ[4]

وإنك لتلمح في هذا الفعل توالي التقَطُّع، ربّما كان ذلك؛ لأنّ الوحي كان ينزل على النبيّ ﷺ بأكثر من طريقة، فلمّا أن أراد أن يوصل للمتلقّي أن كل هذه السبل قد تقطّعت، لجأ إلى الصّيغة التي قام فيها التاء والتضعيف بالإيحاء بصعوبة هذا الأمر، وشدّته وفداحته، وما يترتّب عليه، شبيه بهذا مع اختلاف المقام، قول الله تعالى: {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَاب}[5]، فتنوع الطرق والسبل استدعى هذا الفعل؛ ليتناسب وتلك الكثرة، وإنك لواجد ذلك – أيضًا – في الفعل (تَجَدَّدُ)، الوارد في قوله:

---

(١) الديوان، ص:٩٢.

(٢) السابق، ص: ١٣٥.

(٣) المفردات، الراغب الأصفهاني، مادة (و ل ى).

(٤) الديوان، ص:٩٣.

(٥) سورة: البقرة، آية:١٦٦.

معـالمُ لم تطـمسْ على العهدِ آيها ... أتَاهَا البِلَى ، فالآيُ مــنها تَجَــدَّدُ

بناء (افْتَعَل – يَفْتَعِل):

ومن المعاني التي جاء عليها في المرثيَّات:

الاجتهاد والطّلب:

وإنك لتلمح ذلك في الفعل (يَهْتَدِ)، في بيته القائل:

نوراً أَضاءَ عَلى البَرِيَّةِ كُلِّهـا ... مَن يُهـدَ لِلنــورِ المُبــارَكِ يَهتَدِ

ففيه كما ترى طلبُ الهدايةِ والجدُّ في نيلها، وصِنْوُ ذلك الفعلُ (اقتدى)، في بيته القائل:

يَـدُلُّ على الرَّحمـنِ مَنْ يقتَدي بِـهِ ... وَيُنْقِذُ مِنْ هَـوْلِ الخَزَايَــا ويُرْشِـدُ

وقد ينفتل المعنى لإظهار دلالة الفعل والدوران في فلكه، كما في الفعل (انتمى) الوارد في قوله:

وأكرمَ حيًّا في البيوتِ، إذا انتمى ... وأكْــرمَ جداً أبطـحيًّا يُسَــوَّدُ[1]

أي أظهر انتماءَه وتمثَّلَهُ، وقد جاء الفعل هنا مسبوقًا بـ(إذا) الشرطيّة، الدالَّةِ على تحقق جواب هذا الانتماء، فبمجرّد إظهارِه انتماءَه كان الأكرمَ حيًّا في البيوت ﷺ.

بناء (انْفَعَلَ – يَنْفَعِلُ)

وأبرز معاني هذا البناء **مطاوعة (فَعَلَ)**، ولا يكون إلا للأفعال العلاجيّة[2]، ومن أمثلة هذا المعنى قوله:

ولا تَنْمَحِي الآياتُ من دارِ حرمةٍ ... بها مِنْبَرُ الهادي الذي كانَ يَصْعَدُ[3]

الفعل (تَنْمَحِي) حمل معنى المطاوعة؛ فيجوز فيه قولنا: محيتها فانمحت، وهي تنمحي، ومن المعروف أن المطاوعة في الأفعال تعبّر عن وضع أو حالة، لا يمكن للأفعال الأخرى المبنيّة للمعلوم أو المجهول أن تعبّر عنها، وتلك – لعمري – ميزة قمينة بالالتفات إليها وبحثِها وتأمّلها، وإنك لتشعر بهذا حين تقارن بين (فَتح الباب) و(فُتح الباب) و(انفتح الباب)، فالأخير يشعرك أن الحدث ذاتيٌّ؛ وكأنّ الانفتاح كان رغبة لدى الباب، وإن كان قد تمّ بفعل فاعل خارجيّ، والمطاوعة تكون على (انفعل وافتعل)، كما قال عن هذا سيبويه[4]، ومن ثَمَّ فإن المطاوعة هي قبول الأثر، وإنك لتلمح ذلك في قوله تعالى: {فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا}[5] أي ردّه فارتدّ، وكأنّ البصر نفسه كان يتمنّى هذا،

---

(١) يُراجَع هذا البيت وما سبقه الديوان، ص:٩١ ،٩٦، ٩٦ ،٩٥. بترتيبها.

(٢) الممتع في التصريف، ج:١، ص:١٩١.

(٣) الديوان، ص:٩١.

(٤) الكتاب، ج:٤، ص: ٦٥.

(٥) سورة: يوسف، آية:٩٦

واستجاب للتوّ عندما سنحت له الفرصة، والمطاوعة باب جدير بالدراسة أريض بها.

وحسّان هنا أبدع في استعمال أدواته النصيَّة وامتلاك نواصِيَها، حين ساق الفعل تنمحي مقيَّدًا بـ(لا) النافية الاستمراريّة، فأشعرنا أن الآيات هنا مطاوعة وراغبة في بقائها شاهدةً على سيرته، ومذكرةً به ودالَّةً عليه، وكان هذا أدقّ في التعبير، وأبلغ في التأثير، وأكمل في المعنى؛ لأن هذا الفعلَ بهذا الوزنِ يلازم المطاوعة، ولا ينفكُّ عنها، إلا للدلالة على الحدث المجرّد أحيانًا.

بناء (تَفَاعَلَ – يَتَفَاعَلُ)

حصول الشيء تدريجًا:

تَنَاهَتْ وَصَاةُ المسْلِمِينَ بِكَفِّهِ ... فلا العلمُ محبوسٌ، ولا الرأيُ يُفْنَدُ[1]

يتّضح لنا من هذه الزيادة معنى الحصول على المعرفة والعلم تدريجيًّا، من معلِّمهم النبي ﷺ، حتّى وصولها الذروة وبلوغها الغاية، ويؤكِّد هذا المعنى الفاعل (الوَصَاة)، وهي الوَصِيَّة، والمراد بها هنا ما يتلقّاه المسلمون من الرسول ﷺ،[2] وشبه الجملة المكمّل (بكفّه) يَظهَر منه أنّ الأمر يؤول إليه. وغالبًا ما تستخدم اليد في التحكم بالأمر على أكمل وجه، أو العطاء، يدلّك على ذلك قوله تعالى: {وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} [3]، وكذا قوله ﷻ: {بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}[4]، ولعلّ حسّان تأثّر بما جاء في التنزيل.

ثالثًا: الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف

وله أربعة أبنية، وهي: بناء (اسْتَفْعَلَ – يَسْتَفْعِلُ) وبناء (افْعَوْلَلَ – يَفْعَوْلِلُ) وبناء (افْعَوَّل – يَفْعَوِّلُ) وبناء (افْعَالَّ – يَفْعَالُّ)، ولم يأت منها في المرثيَّات إلا البناءُ الأول.

بناء (استفْعَلَ – يَسْتَفْعِلُ)

الطلب: ورد لهذا المعنى الفعل (يَسْتَقِيمُوا)، في قوله:

عــزيزٌ عليْهِ أنْ يَحِيدُوا عن الهـدَى ... حَريصٌ على أن يَستقِيموا ويَهْتَدوا[5]

حيث دلّ الفعل (اسْتَقَام) هنا على الطلب، وهو أكثر ما يأتي من دلالة بهذه الصيغة؛ أي طلب الاستقامة، والجد في سبيلها، ومما دلّ على هذا المعنى في المرثيَّات الفعل (استضاء)، في قوله:

---

(١) الديوان، ص:٩٥.

(٢) شرح ديوان حسَّان بن ثابت، البرقوقي، ص: ٩٥.

(٣) سورة: الزُّمَر، آية:٦٧.

(٤) سورة: آل عمران، آية:٢٦

(٥) الديوان، ص:٩٣.

منَ الَّذي كان فينا يُسْتَـضاءُ بهِ ... مُـبَـارَكَ الأَمْرِ ذَا عَـدْلٍ وإِرْشـادِ[1]

وقد تحرّى حسّان هنا الإتيان بالفعل مبنيًّا لغير فاعله، فبان العموم في طلب الاستضاءة والهداية، وتسليط الضوء عليها؛ لينشغل الذهن بالاستضاءة، أكثر من انشغاله بمن المستضيء.

وتجنح الصيغة عن ديدنها ودأبها إلى معنى آخر، فقد تجيء بمعنى (أفعل)، وإنّك لتصادف هذا في الفعل (استتم) من قوله ﷺ:

رَبَاهُ وَلِيداً، فَاسْـتَتمَّ تَمامَهُ ... على أكْرَمِ الخيرَاتِ، رَبٌّ مُمجَّـدُ[2]

فـ(استتمَّ) هنا مُشْرَب بمعنى (أتمّ)، ولكنّ الشاعر آثر صيغة (استتم)؛ لقوّتها الدّلالية، فناسبت الزيادة فيها جوّ دلالة (التمام)؛ لتوحي بزيادة الصعوبة، ألا تلاحظ الفرق بين الفعلين (تسطع، وتستطع) رغم أنّ المعنى واحد، في قوله تعالى: {سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا}[3]، وقوله: {ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا}[4]، فلمّا كان هناك صعوبة في صبر سيدنا موسى عليه السلام، عبّر عن ذلك بالفعل (تستطع)، ثمّ لمّا عرف السرّ وخفّ عليه الأمرُ، خفّ الفعل (تسطع)، وقس على ذلك دلالة الفعلين (اسطاعوا واستطاعوا) بصيغتهما الماضوية في الآية الكريمة: {فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا}[5]. وحسبنا شرحًا وتحليلًا للوصول إلى أن حسّان امتلك أدوات نصّه، وحلّق في فضاءاته، ووظّف الصيغ الصرفية للوصول إلى نقل تجربته بشكل جعلنا نعيشه معًا، ونؤانسه وقلوبنا تَتَنَزّى بالشوق والحنين، والحزن والألم؛ لهذا الأمر البجيل العظيم.

وبالاستئناس بآيات القرآن الكريم فإنّا نُلفِيه زاخرًا بصور مختلفة لهذه الصيغة، فقد جاءت كثيرًا بصيغة الماضي، والمضارع، والأمر، واسم الفاعل، والمفعول. فمن صيغة الماضي على سبيل الاستقراء، قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}[6]، ومن الأمر، قوله تعالى:{قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا}[7]، ومن المضارع، قوله تعالى: {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء}[8]، ومن اسم الفاعل قوله تعالى:

---

(١) الديوان، ص:٩٧.

(٢) الديوان، ص:٧٥.

(٣) سورة: الكهف، آية:٧٨.

(٤) سورة: الكهف، آية:٨٢.

(٥) سورة: الكهف، آية:٩٧.

(٦) سورة: فُصِّلَت، آية:٣٠.

(٧) سورة: يونس، آية:٨٩.

(٨) سورة: النساء، آية:١٢٧

{كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَة}[1].

هذا، ونلاحظ من خلال هذه الدّراسة الصّرفية المتعلّقة بتحديد دلالات أبنية الأفعال المزيدة في المرثيَّات، ارتباطَ مُختَلف أبنية الأفعال المزيدة بدلالات متنوّعة، ولـمّا كان للمعاني التي وضعها الصرفيون دور كبير في أن تزم تلك الدلالات ما أمكن، بقي مقام السياق، السابق منه واللاحق لتنداح به الدائرة، فينثال المعنى مرتبطًا بالسياق، سواء أتَّفَقَ هذا مع المعاني التي وضعها الصرفيون، أم خالف؛ إذ إن للسياق معانيَ لا يمكن حدُّها بحدّ أو زمُّها بزمام؛ لذا كانت تلك المعاني تقديريّةً، خاضعةً لذوق الباحثة وإحاطتها بالدلالة المزجاة، منها ما وافق ما اشتهر من المعاني في كتب الصرف، ومنها ما كان باجتهادها، كما أن للمادّة المعجميّة لهذه الأبنية دورًا كبيرًا في إضفاء دلالات جديدة عليها، لم تكن موجودةً في صيغها المجرّدة؛ فكلّ زيادة في المبنى تؤدّي إلى زيادة في المعنى، وعلى هذا الأساس كان لهذه الأبنية – وهي داخل السّياق – دلالاتٌ عديدة، توافق دلالاتها وهي مفردة أو تخالفها.

(١) سورة: المدَّثر، آية: ٥٠.

المبحث الثاني

أبنية الأسماء ودلالاتها

- **المطلب الأول: أبنية الأسماء الجامدة، ودلالاتها.**
- **المطلب الثاني: أبنية المشتقات، ودلالاتها.**
- **المطلب الثالث: العدد، ودلالاته.**

المطلب الأوّل

الأسماء الجامدة ودلالاتها

الاسم الجامد عند النحاة والصرفيين يقابل المشتق، ويسبقه في الظهور، وهو كلُّ اسم لم يؤخذ من غيره؛ مصدرًا كان كالضرب، أو غير مصدر كالشجر، والأرض، وهو "ما دلّ على ذات أو مسمّى وليس الزمن جزءًا منه، ويفيد الثبوت، لا التجدد والحدوث، مثل: حَافِظ ويحفظ، وثَابِت ويثبت، وقَائم ويقوم، فالأوّل يفيد الثبوت، والثاني يفيد التجدد والحدوث"(١).

وينقسم إلى قسمين:

اسم ذات: وهو ما دلّ على شيء محسوس، مثل: قلم، بيت، إنسان.

اسم معنى: وهو ما دلّ على شيء غير محسوس، مثل: ضوء، ذكاء، نشاط(٢)، وهو المصدر.

وفي تناول الأسماء، المشتقِ منها والجامد، آثرت – بعد استشارة مشرفي الفاضل – استبعاد لفظ الجلالة وأسمائها من الحصر(٣)؛ ذلك لأن النحاة لم تكن آراؤهم فيها ضربة لازب، بل اختلفوا، ففريق قال: إن لفظ الجلالة (الله) أصله (الإله)، ثم حذفوا الهمزة استثقالا؛ لوجودها فيما يكثر استعماله في كلامهم؛ فإن للهمزة وسط الكلام ضغطةً شديدةً وثقلًا، وأرادوا تعريفه بالألف واللام تفخيمًا، وإلى ذلك ذهب سيبويه، فأفاد بأن أصلها (أَلَه)(٤) من أَلَه الرجل يَأْلَه إليه، أي: يَفزَع إليه، ويَطلب جواره وأمانه(٥).

وتابع في ذلك الرأي الكسائي والفراء، فساروا على سَنَنِه، واتّخذوا نهجته، فقالوا باشتقاقه من (أله)، وكذا الطبري وابن القيِّم(٦)، وفريق رأى أنه اسم جامد مرتجل، وإلى ذلك ذهب السُّهَيْلِي (ت:٥٨١هـ) والرازي (ت:٦٠٦هـ)، وكثرة من الأصوليين والفقهاء(٧)، فأفادوا أنه ليس مشتقا أبدا؛ لأن الاشتقاق

---

(١) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، ص:٦٣.

(٢) ينظر: شذا العرف، الحملاوي، ص:٦٩.

(٣) لم أتطرق لذكرها في الجداول الملحقة بالبحث. ص: ١٦٨.

(٤) وهذا الفعل مثنى الوسط فتحًا وكسرًا (أَلَه وأَلِه) ومصدرهما واحد (إلاهة وألوهة وألوهية)، ينظر: لسان العرب مادة (أله).

(٥) ينظر: الكتاب ، ج : ٢، ص: ١٩٥، وتفسير ابن كثير ، ج:١، ص:٢٩، والبحر المحيط ، ج:١، ص:٢.

(٦) ينظر: الأسماء والصفات للبيهقي، ت: عبدالله محمد الحاشدي، ج: ١، ص:١٣٩، ومعارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الوصول ، لحافظ بن أحمد حكمي، ج:١، ص:٦٧.

(٧) ينظر: معنى (لاإله إلا الله) للزركشي، ص:١٠٦.

يقتضي مشتقًّا منه، واسم الله- تعالى - قديم غير مسبوق. وليس المقام هنا مقام تشعيب وتسرّح، فإن الاختلاف هنا اختلاف ظاهر شكلي.

وعلى كلٍّ، فقد ورد لفظ الجلالة (الله) في مرثيَّات حسَّان ثلاث عشرة مرة، على حين ورد بلفظ (الإله) مرتين، وبلفظ (ربّ) مرتين أيضًا، مبثوثة في تراكيب الأبيات وتلافيفها، التي تنوعت دلالتها، وتشكّلت معارضُها بما يقتضيه السياق، ويلونه الجوّ النفسي المهيمن على النص.

وقد قسم الدكتور تمّام حسَّان الاسم إلى خمسة أقسام،[1] وهي:

الأول: الاسم المعيّن، وهو الذي يسمِّي طائفة من المسميّات الواقعة في نطاق التجربة؛ كالأعلام، والأجسام، والأعراض المختلفة.

الثاني: اسم الحدث، وهو يصدق على المصدر، واسم المصدر، واسم المرة، واسم الهيئة، ويزمّ ما سبق ما يسمّى اسم المعنى.

الثالث: اسم الجنس، ويدخل تحته أيضًا اسم الجنس الجمعي؛ كعَرَب وتُرك ونَبِق[2] وبَجَع، واسم الجمع، كإبل ونساء.

الرابع: الأسماء ذات الصيغ المشتقة، المبدوءة بالميم الزائدة، كاسم الزمان واسم المكان.

الخامس: الاسم المبْهَم، الذي لا يدل على معيّن؛ بل تنسحب دلالته على الجهات، والأوقات، والموازين ونحوها، وهذه الأسماء تحتاج تمييزًا بعدها؛ يبيّن مقصودها.

ولكشف مخبّآت الدلالة وكوامن المعنى؛ سنُلقِي الضوء على الأبنية التي استخدمها حسَّان بن ثابت رموزًا، والتي تعدّ مرتكزًا في الدلالة، ولا يمكن بحال إغفالها، ومن هذه الرموز ما وُضِع للمكان وللجماد ولأعضاء الإنسان وما إلى ذلك...

وأزجي إليك فيما يلي تفصيلًا لأسماء الذوات، وأسماء المصادر التي وردت في المرثيَّات، مشفوعة بدلالاتها.

أولًا: أسماء الذوات

وفي محاولة منّي لجمع كلّ اسم مع ما يشاكله آثرت أن أضع حقولًا دلاليّة متباينة، يزمّ كلُّ حقل تحته ما يمكن أن يحمل معناه ويتأطّر بإطاره، وسأتناول من ذلك أشائب وأخلاطًا من الدراسة، والتحليل، كلٌّ على بابه دالٌّ. وقبل أن أَدلِف بكم إلى تقسيم ما انتخبته، أذكر على وجه الإجمال أسماء تلك الحقول،

(١) اللغة العربية معناها ومبناها، ص: ٩٠.

(٢) النَّبِق ثمر السِّدْر، لسان العرب، ج:١٠، ص: ٣٥٠.

وهي: (حقل أسماء الأمكنة، حقل أسماء الجوامد، حقل أسماء أعضاء الإنسان ومتعلقاتها، حقل أسماء الأعلام، حقل أسماء الأزمنة، حقل القرابات والعلاقات الإنسانية، حقل مظاهر الطبيعة).

والحقيقة أن جميع الأسماء بجميع حقولها تلعب دورًا كبيرًا في الدلالة؛ لأن لها رمزًا تدلّ عليه فبينها وبين السياق إلٌّ وآصرة، فحينًا تجد للكلمة معنى يختلف عن معناها في سياق آخر؛ إذ إنّ الكلمة في السياق تتحرر من محدوديّتها الدلالية، وربما قلت (الأنا) اللغويّة إلى دلالات أخرى. وإليك أسوق الحقول الدلاليّة للأسماء في المرثيَّات مع ذكر بعض أفراد عائلتها، وتحليل نماذج منها:

حقل أسماء الأمكنة:

في استحضار حسَّان بن ثابت لأسماء أماكنَ وجود الحبيب، وترديده لها بصور مختلفة، شاهدٌ لتعلّقه بأرضه ﷺ، ومواطئ قدميه، تعلّقًا ممزوجًا بمشاعر الحزن العميق، الذي ما برحت تغذّيه وَخَزَات الألم. والأسماء التي تنضوي تحت هذا الحقل كثيرة، وإليك أغلبها: (طيبة، بلاد الحرم، رَبْع، ديار، عَرْصَات، لَحْد، جنّة، طَلَل، قبر، البيوت، سَواء الملحَد، المدينة، بقِيع الغَرقَد، بلاط، الجمرة، بقاع، الحرم، حجرات، وَسْطَها العُلى[1]).

وأتناول بالتحليل منها:

طَيْبة: اسم ثلاثي جامد، مؤنّث بتاء التأنيث، وهو اسم للمدينة المنوّرة أطلقه الرسول ﷺ عليها، وسمّاها به، وذكرها حسَّان في مطلع مرثيته قائلًا:

بطيبةَ رسمٌ للرسولِ ومَعْهَدُ ... منيرٌ، وقد تعفو الرسومُ وتهمُدُ[2]

ففي طيبة أثر ومنزل ورسم ومعالم للرسول ﷺ، واستفتاح المرثيّة بهذا المطلع فيه إيحاء بأنّ الشاعر يُقدّم ما يشغل حيِّزًا في نفسه وما يملأ خاطره، كما أنّه بدأ بشبه الجملة؛ ليملأها تخصيصًا، وحصرًا؛ فطيبة وحدها هي التي تختص بتلك الرسوم، والمعاهد، دون سواها.

رَبْعٌ: اسم ثلاثيّ جامد، على وزن (فَعْل)، ورد مرتين في المرثيَّات، منها قوله:

وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى لَهُ ثَمّ أَوْحَشَتْ ... دِيَارٌ، وَعَرْصَاتٌ، وَرَبْعٌ، وَمَوْلِدُ[3]

---

(١) اسم بلدٍ بناحية وادي القرى، وموضع بديار غَطَفَان، وركيَّات بديار كِلاب، وموضعٌ بالمدينة، القاموس المحيط، مادة (على)، ص:١٦٩٥.

(٢) الديوان، ص:٩١.

(٣) الديوان، ص:٩٤.

ففي البيت (دِيارٌ، وعَرْصَاتٌ، وَرَبْعٌ)، كلّها أسماء جامدة، أوحشها غياب الرسول الكريم ﷺ، والاسم الجامد (ديار) الآنف الذكر، جمع (دار)، وهو اسم ثلاثيّ عامّ، مؤنّث معنويّ، قصد به مكّة المكرّمة في هذا الموضع، وقصد به المدينة المنورة في موضع آخر.

ونلاحظ أن كثيرًا من أسماء الأمكنة تدلّ على الآثار التي شهدت حياة النبي ﷺ، وبقيت له علامات واضحة، ومعالم ثابتة.

جنَّة: اسم جامد، مضعف ثلاثي، مؤنث بالتاء، وهذا اللفظ ظهر بهذا المعنى بعد مجيء دعوة الإسلام؛ حيث تردّد في القرآن الكريم كثيرًا، وهي من مفردات المعجم الديني الذي اكتسبه الشاعر بمجيء الدين الإسلامي، وقد تكرر اسم (جنّة) ثلاث مرات، ولعلّك تلحظ أن هذه الكلمة جاءت مسلوكة في مواطن الدعاء؛ فهي في الجملة الأولى جاءت في مكمّلات جملة فعلية، مصدّرة بأمر الجمع (الدعاء)، المسند إلى ضمير المجموع، والمؤكّد بالحال معًا، فبان أنّ حسّان يحاول أن يخفّف وَطْءَ المصاب بالدّعاء الجماعيّ للقاء النبيّ ﷺ في الجنّة، ثمّ تاقت نفسه جنّة الفردوس، وهو هنا متأثّر بحديث النبيّ ﷺ الذي رواه سمرة بن جندب: "الفردوس ربوة الجنة وأعلاها وأوسطها، ومنها تُفَجَّر أنهار الجنّة"(١)، فنجده يقول:

يـا رَبِّ فَاجمَعنـا مَعًـا وَنَبِـيَّنـا ... فـي جَنَّـةٍ تَثنـي عُيـونَ الحُسَّـدِ
فـي جَنَّـةِ الفِـردَوسِ فَاكتُبهـا لَنـا ... يـا ذا الجَـلالِ وَذا العُـلا وَالسُؤدُدِ(٢)

ونلاحظ أن الراثي هنا يدعو لنفسه لا للمرثيّ، لأن المرثيّ هو خاتم النبيّين وأشرف المرسلين وشفيع يوم الدين، فحسَّان مطمئن موقن تمامًا أنّ النفس الطيّبة للنبيّ مصيرها الجنّة، ودعاؤه ﷺ بالجنة هو أقصى ما يمكن أنْ يعبّر عنه، حين يقتنع بفكرة الموت، فيتجاوز الحياة إلى أبعد منها، فهو لا يرى باعثًا للبكاء والعويل، لأنّ نبيّنا محمّد – صلوات ربّي وسلامه عليه – قطعًا هو أول البشر دخولًا الجنة؛ لفضله على سائر الخلق، ولمقامه عند رب العالمين.

حقل أسماء الجوامد:

ومن الأسماء التي وَسَمَها وضمّها هذا الحقل: (مِنْبَر، صفيح، سهم، بلاط، لون الإثمد، رحل، عرش، أوتاد، المسوح، سَفَط، ألوّة، كافور، دعائم)، وأتناول منها بالتحليل:

الألوَّة: وهي العود الذي يُتَبَخَّرُ به. وفيه لغتان أُلُوَّةٌ وأَلُوَّةٌ، وعودُ الأَلُوَّةِ: أجود ما يُتَبخَّرُ به؛ وأُلُوَّةٌ:

(١) السلسلة الصحيحة، الألباني، رقم الحديث: ٢٠٠٣.

(٢) الديوان، ص:٩٦.

لغة؛ وَلِيَّةٌ ولُوَّةٌ، وأَلاَوِيَةٌ: جمع أَلْوَةٍ"، وفي الحديث: "ومَجَامِرُهُم الأَلُوَّةُ"[١] والأُلُوَّة: فارسيٌّ معرَّب[٢].

واختُلِف في أصل هذه الكلمة، فقالَ الأصْمعيُّ: أَرَى الأُلُوَّةَ فارِسِيَّة عُرِّبَت، وقالَ الأزْهرِيُّ: ليسَتْ بعربيَّةٍ ولا فارِسِيَّةٍ ، وأُراها هنْدِيَّةً[٣].

ووردت هذه الكلمة في قول حسّان:

أَلَا دَفَنْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ فِي سَفَطٍ ... مِنَ الْأُلُوَّةِ وَالْكَافُورِ مَنْضُودِ[٤]

كافور: نلاحظ هذه الكلمة في البيت الآنف الذكر، وهي تعني "قِشْرُ طَلْعَةِ الفُحَّالِ من النَّخْلِ، لُغَة أَزْدِيَّةٌ"[٥] ولم تكن آراء اللغويين في عربيّتها ضربة لازب؛ فقد قال ابن دريد: لا أَحسب الكافور عَرَبِيًّا؛ لأَنّهم ربّما قالوا القَفُور والقافُور، وفي قوله عز وجل: {إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا} [٦] اختَلفت الآراء في صرف (كافور)، فقيل: كان ينبغي أَن لا ينصرف؛ لأَنه اسم مؤنّث مَعْرِفَة على أَكثر من ثلاثة أَحرف؛ لكنْ صرَفَه لتعديل رؤوس الآي، وقال ثعلب: إِنّما أَجراه؛ لأَنّه جعله تشبيهاً، ولو كان اسماً للعين لم يَصْرفه، وقال ابن سيده: قوله جعله تشبيهاً؛ أَراد كان مزاجُها مثل كافورٍ.[٧]

وعلى كلٍ؛ فالأقرب أنها ليست عربيّة الأصل، ولعلّ وجودَها في الكلمات الحبشيّة، التي منها سمّي كافور الإخشيدي، وهو حبشيّ الأصل[٨]، يجعلنا نطمئن إلى أنها معرّبة.

واستعمال حسّان لهذه الكلمة دالّ على اطّلاعه على الكلمات غير العربيّة، وخبرته المستطيلة في ذلك.

السَّفَط: هو الوعاء الذي يعبَّأ فيه الطيب وما أشبهه، من أدوات النساء، ويُجمع أسفاطًا، وقد يتبادر إلى الذهن أنها غير عربيّة؛ لغرابتها، وقلّة دورانها على الألسنة؛ لذا أكّد ابن دريد عربيّتها، وقال: السَّفَط عَربيّ معْروف[٩].

---

(١) صحيح مسلم، باب وصف الجنة ونعيمها، رواه أبو هريرة، رقم الحديث: ٢٨٣٤

(٢) يُنظر: جمهرة اللغة، ابن دريد، مادة: (ل أ و ي)، ج:١ ، ص: ٢٤٧، المحيط في اللغة، الصّاحِب بن عبّاد، ج:١٠ ، ص: ٣٧١، لسان العرب ، ج:١٤ ، ص:٤٠.

(٣) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، ج:٣٧، ص: ٩٢، لسان العرب، ص: ١٤ ، ص: ٤٠.

(٤) الديوان، ص:٩٨.

(٥) تاج العروس من جواهر القاموس، ج:٢٣ ، ص: ٤٩٢.

(٦) سورة: الإنسان، آية:٥.

(٧) لسان العرب، ج:٥ ، ١٤٤.

(٨) ينظر: الأعلام للزركلي، ج:٥، ص:٢١٦.

(٩) جمهرة اللغة لابن دريد ج:٢، ص: ٨٣٥، تهذيب اللغة – ج: ١٢، ص: ٢٣٨.

حقل أسماء أعضاء الإنسان ومُتَعلِّقاتها:

وقد استظل بهذه الدلالة الكثير من الأسماء، التي وُظِّفت للتعبير عن المشاعر الحزينة، التي تملّكت الشاعر، وأفصحت عن لوعته ووَجْده، وهي: (عيون وأعين، جَفْن، نفسي، أَيْدٍ، ، ظهور، أعضد، جناحه، كفّه، وجهي، رقاب، ناظري، الدموع، عبرة، عقل، هوائي، مآقي، اللسان، السمع، البصر)، وإليك تحليل لنماذج منها:

جناحه: اسم جامد، من أصل (ج ن ح)، مستعار لجنب الإنسان من جناح الطائر، ورد في قوله:

عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ، لَا يُثَنِّي جَنَاحَهُ ... إِلَى كَنَفٍ يَحْنُو عَلَيْهِمْ

وجناح الطائر يداه، وجناح الإنسان يده، أو عَضُدَه، أو جانباه، وتستعار من أجل الرعاية والرفق، وقد عبّر عنها القرآن الكريم في أكثر من موضع، ومنها قوله تعالى: {وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ}[٢]، وفي قوله: {وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ} [٣]، والمقصود هنا: اضمم يدك إلى عَضُدِك، والعَضُد هو جناح الإنسان، وذكر بعضهم أنّه الإبط، ورأى آخرون أنّه الجنب؛ لأنّ كليهما مائل، ومنهم من قال: إنّ الجناحين هما اليدان[٤]، وعلى كلٍّ؛ فمهما كان معناه أو مقصوده، فإنّ الدلالة هنا واحدة، وهي إشارة إلى الرفق والعطف، وقد وظّفها حسّان في الجملة الفعليّة المضارعيّة، التي أسند فيها إلى النبي ﷺ نفي تثنية الجناح المقيَّد بـ(لا)؛ لمنحه صفة الاستمرارية، وفي البيت تناصّ، وتأثر بالقرآن الكريم، يدلّ على ثقافة الشاعر الدينيّة.

حقل أسماء الأعلام:

ولم يندرج تحت هذا الحقل إلا أربعة أسماء، بنسب تكرار متباينة، وهي: (أحمد، محمد، آمنة، بنو النجّار)، وإليك تحليلها اللغويّ:

أحمد: اسم علم رباعي، جامد، على وزن الفعل، وتكرّر ثلاث مرات في المرثيَّات، وقُصِد به النبيّ محمدﷺ؛ وهو من أشهر ما سمّي به وورد في القرآن الكريم، في قوله تعالى: {وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} [٥]. أما لفظ محمد؛ فكانت نسبة تكراره مساويَة تكرار لفظ (أحمد)، والأوّل اسم

---

(١) الديوان، ص:٩٣.

(٢) سورة: القصص، آية:٣٢.

(٣) سورة: طه، آية: ٢٢.

(٤) ينظر:الكشّاف،ج:٣، ص: ٤٠٨ مدارك التنزيل، ج:٢، ص:٢٦٢، تفسير القرآن العظيم، ص: ج:٣، ص: ١٣٨.

(٥) سورة: الصف، آية:٦

مفعول من غير الثلاثيّ (حمّد) ولعل سبب اختياره لهذين الاسمين دون غيرهما؛ ورودهما في القرآن الكريم، وكثرة دورانهما على ألسنة الصحابة ﷺ في ذلك الوقت، وكذلك لأنّهما مشتقّان من الحمد.

آمنة: اسم علم رباعي، مأخوذ من اسم الفاعل، دلّ هنا على ذات السيدة آمنةَ بنتِ وهب، والدة رسول الإسلام محمد بن عبدالله ﷺ.

بَـنو النَجَّـار: علم مركب، دلّ على أخوال النبي ﷺ من قبل آبائه، أخوال جده عبد المطلب، وهم من قبيلة الخزرج الأنصارية، ولما هاجر عليه الصلاة والسلام إلى المدينة؛ نزل عند أخواله بني النجار(١).

حقل أسماء الأزمنة:

ونطالع تحته هذه الأسماء: (اليوم، الدهر، القيامة، يوم الاثنين، غد، ساعتنا، سحرا، قبل، بعد)، وإليك تحليلًا منها:

يوم: اسم ثلاثي على وزن (فَعْل) ورد في المرثيَّات سبع مرات، وحمل دلالة يوم وفاة النبي ﷺ في أربعة مواضع منها: (تبكي السَّمواتُ يومهُ)(٢)، أي: يوم وفاته، وفي قوله:

وهلْ عدلتْ يومـاً رزيَّةُ هالكٍ ... رزيَّـةَ يـومٍ ماتَ فيهِ محمَّـدُ(٣)

أي لم تماثل وتساوي أي مصيبة في أيّ يوم من الأيام مصيبة اليوم الذي مات فيه محمدﷺ، وذَكَر في أحد المواضع اسم اليوم الذي مات فيه ﷺ: (مَن شَهِـدْتُ وَفاتَـهُ في يَـومِ الإثنَينِ)، وفي موضع آخر قصد به يوم الجزاء، فنراه يقول: (وفي نيلِ ذاك اليومِ أَسْعَى وأَجْهَـدُ) يعني يوم القيامة، وورد مرة بلا تخصيص لأي يوم، في قوله: (فـي رَوحَـةٍ مِن يَوْمِنـا أَوْ في غَدِ)(٤).

حقل العلاقات الإنسانية والأصناف البشريّة:

لمّا كانت تلك المصيبة عامّة تمسّ القريب والبعيد، والناس كافّة، فاتّسعت الدائرة لتشمل جميع الناس وجميع العلاقات، فنجد المرثيَّات مكتظّة بهذه الأسماء، ومنها: (أبي، أمي، جدًّا، بكر، جار، نساؤك، أهلي، رهط، أمَّة، أحد، أنثى، ذكر، الناس، الأمّة، خلقًا، بريّة، عشيرة).

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب فضل دور الأنصار، ص:١٤٤

(٢) الديوان، ص:٩٣.

(٣) السابق، نفسه.

(٤) ينظر: الشواهد السابقة، الديوان، ص:٩٦، ٩٥، ٩٦، بترتيبها.

أبي وأمّي: اسمان جامدان، (أبي) ثلاثيّ الأصل من (أ ب و)، و(أمّي) اسمٌ جامد، ثنائيّ الأصل، والاسمان جاءا في موطن الفداء، في قوله: (بأبي وأمّي من شهدت وفاته)[١]، وواضح أنهما جاءا مضافين إلى ياء متكلّمه لتخصيصهما به.

وبالتأمّل في المرثيَّات نجد في قوله: (أمسى نساؤك عطّلن البيوت)[٢] اسمَ الجمع (نساؤك): وهو اسم رباعيّ، جامد، على وزن (فِعَال)، وفي قوله: (يا بِكـرَ آمِنَةَ المُبـارَكِ بكْرُهـا)[٣] نلاحظ تكرار اسم (بكر) مرتين؛ ليفيد التأكيد، وهو اسم ثلاثي جامد، على وزن (فِعْل)، ويعني ولدها الوحيد الذي أنجبته.

وبإدامة النظر نجد دائرة العلاقات تنداح، لتشمل أسماء ذات علاقات أوسع، وأبعد في الدرجة، نحو: (جدًا، أهلي، جار، عشيره)، وتترامى أطرافها؛ لتعمّ جميع من في السماوات والأرض، في الأسماء: (أنثى، ذكر، أحدا، رهطه، جميع الناس، الأمة، البريّة، خلقًا)، كيف لا؟! وقد توفي سيّد ولد آدم ﷺ.

وكأنّي أتمثّل بهذا قول الشاعر:

طوى موتُك اثنين: المروءة، والندى ... وأبكـى فـريقين: الأحبّـة، والعـدا

سرى في حواشِي الليل نعيُك جمرةً ... فأوشَـكَ فحـمُ الليـل أن يَتوقَّـدا[٤]

حقل مظاهر الطبيعة:

وممّا انضُوِي تحت هذا الحقل: (المطر، المزن، سعد الأسعد، الترب، المَدَر، الثرى، الحصَى، سمّ الأسود، نهر، فرع، العُود).

سعد الأسعد: "يريد سعد السُّعود النجم، أي باليمن والبركة"[٥]، فبطلوع هذا النجم يحلّ فصل الربيع، ويعتدل الليل مع النهار، وتزهر الأعشاب، وتغرس النخيل، وكان هذا وقت ولادة نبينا ﷺ[٦].

التُّرب: وهو اسم جمع جامد ثلاثيّ، على وزن (فُعْل)، تكرر ثلاث مرات في المرثيَّات، ارتبط بقبر النبيّ ﷺ في قوله: (وَقَبْـرَاً بِهِ وَارَاهُ فـي التُّرْبِ مُلْحَـدُ)، أي: وارى لحدُه النبيَّﷺ في التراب، وارتبط بلحظة الدفن في قوله: (تُهِيـلُ عليهِ التُّـربَ أيـدٍ وأعيـن)؛ فالأيدي تهيل التراب على جسده المبارك،

---

(١) الديوان، ص: ٩٦.

(٢) السابق، ص:٩٧.

(٣) السابق، ص:٩٦.

(٤) الأعمال الكاملة ، ١١٩

(٥) شرح الديوان، ص:٩٦.

(٦) صحيح السيرة النبوية للألباني، ص:١٤.

وفي نفس الوقت تذرف العيون دموعها على فراقه ﷺ، وفي قوله: (وجهي يَقيكَ التُّربَ)، فهنا يتمنّى أنْ لَو افتداه بوجهه كي لا يواري الترابُ جسدَه الشريف ﷺ.

وإذا تأملنا في المرثيَّات وجدناها لا تحوي أسماءً جامدة تدل على حيوان غير (راحلتي)، في قوله: (مَن ذا الَّذي عِندَهُ رَحلي وَراحِلَتي)[1]، والراحلة كل بعير نجيب سواء كان ذكرًا أو أنثى، فنراه هنا يقول: مَن غير سيدنا رسول الله صلوات الله وتسليماته عليه أنتجعه مستفردًا[2].

وختامًا، يمكننا أن نقول في اطمئنان إن الأسماء الجامدة بأوزانها المختلفة، أضفت على مسمّياتها دلالات مختلفة، وميّزتها عن غيرها، وساعدت الشاعر على الإفصاح عن شجن قلبه، وتفريغ مكبوتاته، فانهالت منه الكلمات المؤثرة كالبركان الثائر بالبكاء والحزن، وبذلك أتاحت التنوع الدلالي في السياقات بما حملته من معان متنوعة.

ثانيًا: أسماء المعاني (المصادر)

المصدر في اللغة: "صدر: الصَّدْرُ: أعلى مُقَدَّمِ كُلِّ شيءٍ، وصَدْرُ القَناةِ أعلاها، وصَدْرُ الأمر أوَّلُه. وصُدْرةُ الإنسانِ: ما أَشرفَ من أعلى صدره... والمصدَرُ: أصلُ الكلمة الذي تَصدُرُ عنه الأفعالُ"[3]. والمصدر في الاصطلاح: هو الاسم الذي يدلّ على الحدث، مجردًا من الزمن والشخص والمكان، ويسميه سيبويه الحدث[4]

أما عن أصل الاشتقاق، فلم يكن النحاة فيه على رأي واحد، حيث انقسموا حول ما إذا كان المصدر هو الأصل والفعل مشتق منه، أو العكس، وكثرت حججهم في ذلك، ولكل وجهة هو مولِّيها، وحجّة يؤيّدُها وينافحُ عنها، فيرى البصريّون أن المصدرَ هو الأصلُ والفعلَ مشتقٌ منه، ومن حججهم في ذلك وجود حدِّ الاشتقاق في الفعل؛ وذلك أن الفعل يدلّ على حدث وزمان معيَّن، فكان مشتقًا وفرعًا عن المصدر؛ لأن الاشتقاق يراد به تكثير المعاني، وهذا لا يتحقق إلا في الفرع[5].

على حين يرى الكوفيّون معكوس ذلك؛ فقد قعدوا للبصريين كل مرصد، وأزجوا حججهم أيضًا، ومنها أن الفعل يعمل في المصدر، كقولك ضربته ضربًا؛ فضربًا منصوب بضربته، والعامل أقوى من

(١) السابق، ١٣٥.

(٢) شرح الديوان، ص:١٣٥.

(٣)العين، ج:٧، ص:٩٤، (صدر).

(٤) أبنية الصرف في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، ص:١٤٥.

(٥) الإنصاف في مسائل الخلاف، الأنباري، ص:١٩١.

المعمول، والقوة تجعل القويّ أصلًا لغيره[١]، وكان للبصريين ردود مقنعة على حجج الكوفيين، ومنها تهدّيت إلى تصنيف المصدر في قسم الأسماء الجامدة.

وقد جاءت المصادر في مرثيَّات حسّان مبثوثة في تضاعيف أبياته[٢] وتراكيبها، موضونة فيها بأشكال مختلفة، وطرائق منوّعة، في ثمانٍ وخمسين مرّة، حاز المصدر الصريح على النصيب الأكبر؛ فقد تكرَّر ثلاثًا وخمسين مرّة موزّعة على خمس عشرة صيغة، على حين، لم يأت مصدر اسم المرة إلا سبع مرّات فقط. أما عن صيغ تلك المصادر فقد جاءت كالتالي:

المصدر فَعْل (بفتح الفاء وتسكين العين):

ولا يجيء على (فَعْل) إلا الفعل الثلاثي المتعدّي قياسًا مُطَّردًا[٣]، وجاء على هذا الوزن ثمانية عشر مصدرًا، وهي: (لَهْف، نَيْل، رَأْي، وَحْش، جَهْد[٤]، فَقْد، عَدْل، وَحْي، خَيْر، خزايا، حَقّ، أَمْر، مَوْت، قَوْل، هَوْل، حَمْد، عَهْد، نَهْج)

وقد وظّف الشاعر هذه الصيغة في معانٍ تمسّ بعض صفات النبي ﷺ، كالعدل، والحمد، وبعضهم وظّفه في توصيف حدث الفجيعة، كالهول، والموت، والفقد، والجهل.

المصدر فَعَل (بفتح الفاء والعين):

وورد هذا المصدر في موضع واحد، جاء في سياق بيان سبب بكاء العين وحزنها، وقد جاء في موضع المفعول لأجله؛ ليتضاعف معناه بالبدء به، وذلك في قوله:

جزَعاً عَلى المَهدِيِّ أَصبَحَ ثاوِياً ... يا خَيرَ مَن وَطِئَ الحصى لا تَبعُدِ[٥]

المصدر فُعُول (بضم الفاء والعين):

ويختص غالبا بالفعل (فَعَلَ)، ويطّرد فيه، ذكر ذلك ابن مالك فقال:

---

(١) السابق، ص: ١٩٠.

(٢) أحصيت جميع المصادر وذكرتها في الجدول المرفق نهاية الرسالة، وتحاشيت ذكرها جميعًا هنا خشية التشعيب والإطالة، وصرف القارئ عن هدفه الأهم المؤمّل، يراجع ص: ١٨٧.

(٣) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، محمد محيي الدين عبد الحميد، ص:٣٩٧.

(٤) وتأتي (جُهْد) على وزن المصدر فُعْل.

(٥) الديوان، ص:٩٦.

و(فَعَلَ) اللّازم مثل: (قَعَدا) ... لـه فُعُـولٌ بـاطِّرادٍ كَغَـدَا[1]

ويرى سيبويه أن مصدرَ الفعل اللازم، أكثرُه يأتي على فُعُول[2]، وترددت هذه الصيغة في موضعين فقط في المرثيَّات، هما (فُضُول، وُقُوف)، أزجاهما في سياق التمدّح وإبراز مظاهر الحزن عند الوداع، ودلالة الفُضول والزيادة، وقَصَد به في المرثيَّات زيادة نِعَمِه ﷺ على أصحابه – رضوان الله عليهم –، في قوله:

وَلَقَـد وَلَـدناهُ وَفينا قَبـرُهُ ... وَفُضـولُ نِعمَتِـهِ بِنا لَم يُجحَدِ[3]

المصدر فِعَال (بكسر الفاء وفتح العين):

ورد هذا المصدر في موضعين فقط، هما: (بِنَاء، ضِيَاء)، ووُظِّف الأوّل منهما في وصف المكان الذي أُلحِد فيه النبيّ، في قوله:

وبـورِكَ لحـدٌ منـكَ ضمِّـنَ طيِّبًـا ... عليـهِ بنـاءٌ من صفـيحٍ، منضَّـدُ[4]

وفي (الضِّيَاء) دلّ على إبراز ما كان عليه النبيّ ﷺ في حياته، ومدى انتشار نورِه ﷺ وإبانته، فقد عمّ جميع الأمكنة، وجاء معرّفا بـ(أل) في خبر الناسخ فاكتسب التخصيص قصرًا؛ فهو الضياء لا غيره :

كانَ الضِّيَاءَ وَكانَ النـُّورَ نَتبَعُـهُ ... بَعدَ الإِلَهِ وكانَ السَّمـعَ وَالبَصَـرا[5]

المصدر فُعَل (بضمّ الفاء وفتح العين):

ورد هذا المصدر في موضعين، هما (الهدى، والعُلا)، وكلاهما معتلّا الآخر، ومعرّفا بـ(أل)، منها قوله:

في جَنَّةِ الفِردَوسِ فَاكتُبهـا لَنـا ... يا ذا الجَـلالِ وَذا العُلا وَالسُّؤدُدِ[6]

فجاء (الهدى) في سياق نداء المولى عزّ وجلّ وسؤالِه.

المصدر فُعْلة (بضم الفاء وتَسْكين العين):

ولم يأت على هذه الصيغة إلا مصدرٌ واحدٌ وهو (حرمة)، وأتى في سياق التقديس والحفظ والصون. في قوله:

ولا تنمحي الآياتُ من دارِ حرمةٍ ... بها مِنْبَرُ الهادي الذي كانَ يَصْعَدُ[7]

---

(١) شرح ابن عقيل، ص:٣٩٧.

(٢) الكتاب، ج:٤، ص:٩.

(٣) الديوان، ص:٩٧.

(٤) السابق، نفسه.

(٥) السابق، ص:١٣٥.

(٦) السابق، ص:٩٦.

(٧) الديوان، ص:٩١.

المصدر فُعْل (بضم الفاء وتَسْكين العين):

وجاء على هذه الصيغة خمسة مصادر، هي: (نُور- بُؤس- حُزن – عُذر- خُلد)، وقد تنوّعت دلالتها ما بين وصف حال الراثين الذين أصابتهم الفجيعة، وبين التبشير بالجنّة، وبيان ما هم عليه.

المصدر فِعَل (بكسر الفاء وفتح العين):

وجاء على هذا الوزن مصدر واحد وهو (البلى)، في سياق انتهاء المعالم ودراستها بشكل عامٍّ، وبقاء معالم النبي ﷺ.

وذلك في قوله:

معـالمُ لم تطـمسْ على العهدِ آيها ... أتَاهَا البِلَى ، فالآيُ مــنها تَجَــدَّدُ[1]

المصدر فَعَال (بفتح الفاء والعين):

جاء على هذه الصيغة أربعة مصادر، هي: (تَمَام، جَلَال، ثَنَاء، وَفَاة)، وقد تردّدت معاني تلك المصادر ما بين ذكر صفات الله عز وجل، وتوصيف النبيّ ﷺ، وبين معاني الموت.

المصدر فَعِيلة (بفتح الفاء وكسر العين):

وعلى هذا الوزن مصدران، وهما: (عشيّة ألية)، دلّت الأولى على توقيت دفن الرسول ﷺ، والثانية لتوكيد القسم في سياق المفعول المطلق.

المصدر فِعْل (بكسر الفاء وتسكين العين):

ودارت كلُّ المصادر المنضوية تحته في فلك وصف محاسن النبيّ ومحامده، وما كان عليه من الخلق، وقد ورد على هذا الوزن ستة مصادر، وهي: (عِزّ، صِدْق، ورِزْق، علم، حِلْم)، ومما يحمل هذه الدلالة أيضًا المصدر (فَعْلة) بفتح الفاء، وذلك في (رَحْمة) فهي من صفات النبي ﷺ، والمصدر (**تفعِيل**) حمل تلك الدلالة أيضًا، وجاء عليه أيضًا مصدر واحد فقط، وهو (تَيسِير)، وكذلك المصدر (**فُعْلَل**) بضمّ الفاء، يحمل هذه الدلالة والمصدر الذي جاء على وزنه هو (سؤدد)، وكذلك صيغة (**إفعال**) الذي جاء عليها مثالان، هما (إفناد وإرشاد) ليَصُبَّا في نفس المعنى.

وخلاصة القول: إن الشاعر هنا لم يفته توظيف المصادر كأداة من أدوات نصّه، سواءٌ أكان هذا المصدر ثلاثيًا أم غير ثلاثي، غير أنّه قد أكثر من المصادر الثلاثيّة (غير القياسية) دون غيرها في بيان وتوصيف حدث الوفاة والفجيعة والفقد، بدلالات مطلقة مجرّدة من الزمان متحذّرة منه، كما ذكرنا آنفًا في

(١) الديوان، ص:٩١.

مستهل هذا المطلب.

وتوظيف الشاعر المصادر في سياق الفقد من ناحية، ووَصْف النبيّ ﷺ ورجاء لقائه في الجنة من ناحية أخرى، فيه تنويع للأبنية والدلالة، ولعلّ الدلالة الغالبة على المرثيَّات هي دلالة وصف المحامد النبويّة والمحاسن العَلِيّة، وهذا دأب الشعراء وديدنهم في مرثيَّاتهم؛ إذ يذكرون ما كان عليه المتوفّى من صفات حميدة حال حياته، وما الرثاء في الحقيقة إلا ذكر الميت ومحاسنه ومناقبه وخصاله الحميدة.

مصدر المرة

وهو المصدر الذي يدلّ على المرّة الواحدة، يقول السيوطي: "وليس في كلامهم المصدر المرّة الواحدة إلاّ على فَعْلَة : سَجَدْتُ سَجْدَةً، ضَرَبْتُ ضَرْبَةً، قُمْتُ قَوْمَةً، إلاّ في حرفين: حَجَجْتُ حِجةً واحدة (بالكسر)، ورَأَيْتُهُ رُؤْيةً واحدة (بالضَّم)، وسائر كلام العرب بالفتح"[1]، وهذا يعني أنّ مصدر المرّة يصاغ من الثلاثي على وزن (فَعْلَة)، إلا إذا صادف أن يكون مصدر هذا الثلاثي على وزن (فَعْلَة)، وعند إذ يفرّق بينهما بإضافة لفظة واحدة، كما في رحِمَ رَحْمَةً واحدة، وفي غير الثلاثي نأتي بالمصدر ثم نضيف إليه تاء مربوطة، نحو: اجتمع اجتماعة، وإن صادف وكان آخره تاء؛ فإننا نَصِفُه بكلمة واحدة. كما في (استعانة واحدة)، وعلى كلٍ، فإن ما ورد في المرثيَّات وتردد فيها من مصادر المرة خمسة مصادر فقط، وردت كلّها على وزن (فَعْلَة)، ومنها ما أتى به مجموعًا؛ ليُلوَّن بالكثرة، كما في قوله:

عَفُوٌّ عن الزّلاّتِ، يَقبلُ عُذْرَهمْ ... وإنْ يحسنوا، فاللهُ بالخيرِ أجود[2]

فـ(الزلّات) اسم مرّة، مفرده (زَلّة) على وزن (فَعلة) جاء بصيغة الجمع؛ ليَشِي بسعة عفو النبيّ ﷺ عن الزلّات وإن كثرت، وقد تأدّب حسّان مع الصحابة، فاختار كلمة (زلّات)، ولم يختر (أخطاء)، أو خطايا، كما أنّه لم ينسبها إليهم، فلم يقل (زلّاتِهم) مثلًا؛ فبان من هذا أن النبيّ ﷺ يعفو عن الزلّات أيًا كان مرتكبها، أو من وقعت منه، وفي هذا من الحِلْم ما فيه. أمّا عن بقيّة مصادر المرّة؛ فقد ورد المصدر (آية) وتكررت ثلاث مرات، كلها بصيغة الجمع، (آيات)، والمصدر (خَيْرة) وجاءت – أيضًا – بصيغة الجمع (خيرات)، والمصدران (غَيْبة، رَوْحة) جاءا مفردين؛ ليدلّان على القلّة، وعدم التكرار؛ فهذا الحدث ليس له مثيل في شدّة وقعه وعمق تأثيره .

(١) المزهر في علوم اللغة، ج:٢، ص:٨٠.

(٢) الديوان، ص:٩٣.

المطلب الثاني

أبنية المشتقّات ودلالاتها

يعد الاشتقاق من أهمّ أسباب نموّ اللّغة وثرائها، إذ إنّ المفردة الأصل بإمكاننا أنْ نشتق منها مفردات كثيرة تدلّ على الحدث، وعلى من قام بالحدث.

وأقسام الاشتقاق: صغير، وكبير، وأكبر.(١)

والاشتقاق الصغير، هو الذي يتعلق بالصرف، ويعالجه اللغويون في كتبهم، فيسمّيه بعض المحدثين الاشتقاق الصرفي، وبعضهم سمّاه الاشتقاق العام، ولشهرته وذيوعه يطلِق عليه العلماء الاشتقاق، دون أي وصف(٢).

"وهو أن يكون بين اللّفظين تناسب في الحروف والتّرتيب، نحو: ضَرَب من الضَّرْبِ"،(٣) فهو ما أُخِذ من غيره، وله أصل يُنسَب إليه، مثل: اسم الفاعل، اسم المفعول، صيغ المبالغة، وغيرها من المشتقات، وهو ما سنتناوله في هذا المطلب.

وصيغ المشتقات التي سنتناولها هي: اسم الفاعل، اسم المفعول، صيغ المبالغة، الصفة المشبهة، اسم التفضيل، اسما الزمان والمكان، ومعيار تصنيف الأسماء في حقول المشتقات هو السياق وما يحتِّمه من دلالات، وبه قد تعدُل مفردة من حقلها الذي يحمل صيغتها إلى آخر.

اسم الفاعل ودلالاته

وهو ما دل على الحدث وفاعلِه(٤)، واسم الفاعل مصطلح بصري، وهو عندهم مشتق من المصدر، وعند الكوفيين قسم من أقسام الفعل، ويسمونه الفعل الدائم(٥).

---

(١) الخصائص، ابن جني، ج:٢، ص: ١٣٣- ١٣٩.

(٢) ينظر: التثقيف في اللغة العربية، صادق عبدالله، تقديم كمال بشر، ص:١٣٤، والمحتسب في التصريف، أبو حيّان الأندلسي، ص:٥٣.

(٣) الخصائص، ابن جني، ج:٢، ص:١٣٤.

(٤) أوضح المسالك ج:٣، ص:١٨١ ،وينظر: المفصّل في علم العربية، ص:٢٢٦، وهمع الهوامع، ج: ٥، ص:٥٧، وشرح قطر الندى وبل الصّدى لابن هشام، ص:١٧٠، شرح كافية ابن الحاجب، الرضيّ الاستراباذي، ج: ٥ ص: ٣٨٨.

(٥) معاني القرآن، الفراء، ج:٢، ص: ٤٣.

ويصاغ اسم الفاعل من الفعل الثلاثي على زنة فاعل[1]، نحو: كتب فهو كاتب، ومن غير الثلاثي على زنة مضارعه، مع إبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة، وكسر ما قبل الآخر مطلقا[2]، نحو: أتقن فهو مُتقِن.

وبالنظر للمرثيَّات فإنّا نجد حسّان قد وظّفه ثلاثًا وثلاثين مرّة، جاءت بأوزان متباينة وصور مختلفة ودلالات متنوّعة، وإليك أزجيها:

أولًا: اسم الفاعل من الفعل الثلاثي

ورد في المرثيَّات إحدى وعشرين مرة، وجاء على دلالات مختلفة، إليك تفصيلًا لها:

ووَاضِحُ آياتٍ، وَبَاقي مَعَالِمٍ ... وربعٌ لهُ فيهِ مصلًى ومسجـدُ[3]

(واضح، وباقي) أُضِيفا إلى فاعليهما، ليَسقَط التنوين فيهما، والإضافة هنا كانت إلى نكرة غير محضة، وقُدِّم المنعوت فيها على النعت؛ فأصل الكلام (آيات واضحة، ومعالم باقية).

وجاء اسم الفاعل على صيغة جمع التكسير للمؤنث، المعرف بأل، في قوله:

مثلَ الرَّواهبِ يلْبسْنَ المُسُوحَ، وقَدْ ... أيـقـنَّ بالبـؤْسِ بعدَ النِّعْمَةِ البَادِي[4]

وهنا وَصْفٌ حلّ مَحلّ المنعوت أو الموصوف، وأصل الكلام النساء الرواهب، فبان أن هذا الوصف كأنّما صار اسمًا ملازمًا لهنّ. كما تقول مثلًا: سلّمت على المتفوّق، تقصد الطالب المتفوّق، لكنك عدلت فقلت المتفوّق؛ لتوحي بأن التفوّق صار وسمًا له يعرف به ولا يُفارقه. وجاء مثله في سياق النعت؛ لكن على صيغة جمع المذكر السالم (الماضون)، وعلى صيغة جمع التكسير (الحُسَّد)؛ ليشي بأن الحسّد صار صفة لازمة لهم، وفي جميع الأمثلة السابقة حلّ النعت محلّ المنعوت، وصار كأنه هو الاسم.

وأتى اسم الفاعل منونًا (نكرةً عاملة)، خالصًا للحال والاستقبال، في قوله:

وأمنـعَ ذرواتٍ، وأثبتَ في العلى ... دعائـمَ عزٍّ شـاهـقاتٍ تُشَيـَّـدُ

فجمع المؤنّث السالم (شاهقات) اسم فاعل، منوّن، عامل، اتكأ في عمله على المنعوت قبله، ومعموله مضمرٌ فيه، وجاء في سياق تَمدُّح صفات النبيّ ﷺ، ومثل عمله، وإضمار معموله، اسم الفاعل (هالك)، في قوله:

---

(١) ينظر أوضح المسالك، ج٣، ص: ٢١٢ ،وهمع الهوامع، ج:٥، ص:٥٧، وشرح السيوطي على ألفية ابن مالك المسمى البهجة المرضيّة، ص:٣٥٣ ، وشرح المقدمة الكافية في علم الإعراب ج:٣، ص: ٨٣٠.

(٢) ينظر شرح عمدة الحافظ وعدّة اللافظ، ابن مالك، ج:٢ ص: ٧٠٣ ، وأوضح المسالك ج:٣، ص: ٢١٥.

(٣) الديوان، ص:٩١.

(٤) السابق، ص:٩٧

وهلْ عدلتْ يوماً رزيَّةُ هالكٍ ... رزيَّةَ يومٍ ماتَ فيهِ محمَّدُ

لكنّه هنا مفردٌ، أضيف إلى فاعل قبله، وأضمِر معموله فيه، مسلوك في سياق المقارنة، وفي قوله:

أقُولُ، ولا يُلْفَى لِقَوْلي عَائِبٌ ... منَ النَّاسِ، إلا عازبُ العقلِ مُبْعَدُ

اسم الفاعل المفرد (عائب)، العامل، الدالّ على العموم، اعتمد في عمله على منعوت محذوف قبله، والمراد أيُّ عائب، ومعموله جاء ظاهرًا (من الناس)، واسم الفاعل (عازب) جاء مضافًا لفاعله، في عَطْفٍ على اسم فاعلٍ قبله؛ ليكوّن معه ازدواجًا في الترتيب، وتكثيفًا في المعنى.

ثانيًا: اسم الفاعل من غير الثلاثي

ورد عشر مرات، على أوزان مختلفة، وبدلالات متنوّعة، أسوقها إليك في الآتي:

عرفتُ بها رسمَ الرسولِ وعهدهُ ... وَقَبْرَاً بِهِ وَارَاهُ في التُّرْبِ مُلْحِدُ

اسم الفاعل (مُلحِد)، على زنة (مُفعِل) من بناء (أَفْعَل، يُفْعِل)، جاء منونًا عاملًا، دالًا على الحال، معتمدًا على الفعل قبله، ومعموله مُضمَر فيه، وسُلِكَ في سياق الوداع، خاتمًا به بيته؛ ليمنحه تركيزًا في الذهن أقوى من غيره. ومثله في الوزن والعمل، اسم الفاعل (منير) في قوله:

بطيبةَ رسمٌ للرسولِ ومعهدُ ... منيرٌ، وقد تعفو الرسومُ وتهمُدُ

من الفعل (أنار)، وهو عامل كسابقه، واعتمد في عمله على المنعوت قبله، ومعموله مستتر فيه، وورد في سياق التمدّح. ومثله اسم الفاعل في قوله:

تذكَّرُ آلاءَ الرسولِ، وما أرى ... لهَا مُحصِياً نَفْسي، فنَفسي تبلَّدُ

لكنّه هنا اعتمد على الحال، ومعموله أيضًا مُضمَر فيه. وأشبه ذلك في العمل من صيغة (مُفَعِّل) الذي فعله على بناء (فَعَّل، يُفَعِّل) اسما الفاعلين:

فَظَلْتُ بَعدَ وَفاتِهِ مُتبَلِّدًا ... متلدِّدًا يا لَيتَني لم أُوْلَدِ

وهما من أسماء الفاعلين التي اعتمدت في عملها على مبتدأ وقع اسمًا لناسخ ، وجاءا منونين دالّين على الحال. واسم الفاعل (مُصَدِّق) في قوله:

مُصَدِّقاً للنَّبيِّينَ الأُلَى سَلَفُوا ... وأَبْذَلَ النَّاسِ للمعرُوفِ للجَادِي

عامل، اعتمد على جملة الحال، ومعموله مضمر فيه، وأصل الكلام (مُصَدِّقًا هو)، وقد جاءت مُصدَّرة في أوّل البيت؛ لتكون أوّل ما يصادف المتلقّي، فيتضاعف تأثيرها وتتكثّف دلالتها. وفي قوله:

آليْتُ ما في جميعِ النَّاسِ مجتْهِداً ... منِّي أليَّةَ برٍّ، غيرِ إفنادِ[1]

(١) هذا البيت وما سبقه من الأبيات، تراجع: الديوان، ص: ٩٣، ٩٥، ٩١، ٩١، ٩٢، ٩٦، ٩٧، ٩٧، بترتيبها.

اسم الفاعل (مُجتهدًا) شابه سابقيه في العمل، لكنّه اعتمد على جملة الحال.

فَبَيْنَا هُمُ في ذلكَ النُّــورِ، إذْ غَدَا ... إلى نُورِهِمْ سَهْمٌ من المَوْتِ مُقصِدُ

وقع منوّنًا عاملًا، لكنه اعتمد في العمل على منعوت قبله، وقد آثر الختام به ليمنحه نفس التكثيف والتعلق في الذهن. وهذا يختلف عمّا نلاحظه في قوله:

تَنَاهَتْ وَصَاةُ المسْلِمِينَ بِكَفِّهِ ... فلا العلمُ محبوسٌ، ولا الرأيُ يُفْنَدُ

فقد أتى بصيغة جمع المذكر السالم، المعرف بـ(أل)، دون الحاجة إلى شروط للعمل، ومعموله مستتر فيه، وأزجاه في سياق الوصف المحذوف موصوفه، والجمع هنا يدل على الكثرة، والتعريف يدلّ على العموم.

إمــامٌ لهمْ يهديــهمُ الحقَّ جاهــداً ... معلِّمُ صدقٍ، إنْ يطيعوهُ يسعــدوا[1]

اسم الفاعل جاء مضافًا إلى مفعوله، منزوعًا التنوين، وأتى خبرًا أُسْقِط مبتدؤه ليكون أرسخ في الذهن؛ فأصل الكلام (هو معلِّم صدق)، كما في قوله تعالى: {وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيم}[2] وأصل الكلام (أنا عجوز)، وأُسقِط المبتَدأ؛ لأن سياق الكلام يدفعها إلى ذكر الخبر الذي هو الأهم، وكذلك فَعَلَ حسّان.

صيغة مُفتَعِل، ما كان فعله على بناء (افْتَعَل، يَفْتَعِل)

وردت في موضعين، هما: (مجتهد، مهتدي)، وحملا دلالة تكثيف الفعل في زمن الحال.

صيغة مُتَفعِّل ما كان فعله على بناء (فعَّل، يُفَعِّل)

وردت في موضع واحد، وحملت دلالة الحال والاستمرار، وذلك في قوله:

فَظَلِلْــتُ بَعدَ وَفاتِهِ مُتــبَلِّدًا ... متلدِّدًا يا لَيتَني لم أُوْلَــدِ[3]

ويمكننا مما سبق ملاحظة أن الشاعر نوّع استعماله أسماء الفاعلين ما بين مفرد وجمع وعامل، دلّ على الحال أو الاستقبال، ومضاف إلى عامله مُسقَط التنوين، ومصدّر في البيت، ومختوم به، ومسلوك في طيّاته، وقد جاء استعمال اسم الفاعل المنوّن في سياق الحال والاستقبال، ومنها: (مُلحِدٌ مُقصِدٌ عَائبٌ عَازِبٌ شَاهِقَاتٌ)، في حين وجود اسم الفاعل غير المنون في سياق المضيّ غير الملتزم بالحاضر أو المستقبل، نحو: (واضح، باقي، عازب، الرواهب).

---

(١) الديوان: ص: ٩٤، ٩٥، ٩٣، بترتيبها.

(٢) سورة: الذاريات، آية: ٢٩

(٣) الديوان، ص:٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٧، ٩٦، بترتيبها.

اسم المفعول ودلالاته

هو اسم مشتق من المبني للمجهول، أو لمن وقع عليه الفعل، وصيغته من الثلاثي على وزن مفعول، نحو مضروب، ومن غيرً الثلاثي على وزن مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة، وفتح ما قبل الآخر، نحو (مُكْرَم)، ولا يصاغ اسم المفعول من اللازم إلا مع الظرف أو الجار والمجرور، أو المصدر(١).

أولًا: اسم المفعول من الثلاثي

لم يرد في المرثيَّات على بناء (مفعول) إلا ستة أمثلة، وهي: (منضود، معروف، محبوس، محمود، معمورة، مهدي)، كلها صحيحة ما عدا الأخير منقوص يائي، ودلالاتها كما يلي:

منضود: ورد في قوله:

ألا دفنتم رسول الله في سفط ... مِنَ الأَلُـوَّةِ والكافـورِ مَنْضُـودِ(٢)

ودل على من وقع عليه الفعل، وهو (السفط)، وهو وعاء يوضع فيه الطيب، وفيه تأثر بالقرآن الكريم في قوله تعالى: {وَطَلْحٍ مَّنضُود}(٣) وهو عامل، ومعموله نائب الفاعل المضمر فيه، واعتمد في عمله على المنعوت قبله (سَفَط)، وقد زيّن به البيت فضاعف تأثيره في المعنى.

محبوس: في قوله: (فلا العلمُ محبوسٌ)، دل على من وقع عليه فعل الحبس وهو (العلم)، ودلالته هنا نفي صفة كتم العلم عن رسول الله ﷺ. وهو عاملٌ كسابقه، واعتمد في عمله على المبتدأ.

محمودًا: ورد في قوله: (فـأصبحَ محموداً إلـى اللهِ راجعـاً)، دل هنا على الصيرورة، وجاء منونًا كسابقيه، واعتمد في عمله على خبر الناسخ.

المهدي: اسم مفعول من الفعل الثلاثي الناقص اليائي (هدى)، وأصله (مهدوي)، ولا يخفى على المتوسّم ما اعترى هذه الكلمة من إعلال نتيجة التقاء حرفي العلّة الواو والياء، ومن المعروف أن اسم المفعول المتصل بأل يعمل فيما بعده، ودلالته الزمنية تدلّ على الماضي أو الحال أو الاستقبال حسب السياق، وما نحن بصدده الآن يدلّ على زمن المضيّ، وهذا واضح من سياقه (جزعًا على المهدي..) وهذا شبيه بقوله تعالى: {قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون، قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِين}(٤)

حيث جاء اسم المفعول متصلًا بأل ودالا على الماضي.

---

(١) المفصّل في علم العربية، ص:٢٧٤.شرح المراح في التصريف، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، ص:١٢٩-١٣٠،

(٢) هذا البيت والأمثلة التي تليه، تراجع الديوان، ص: ٩٨، ٩٥، ٩٤، بترتيبها.

(٣) سورة: الواقعة، آية:٢٩.

(٤) سورة: الحِجر، آية:٣٦- ٣٧.

معمورة: اسم مفعول للمؤنث، ورد في قوله: (قِفاراً سِوَى **مَعْمورَةِ اللَّحْدِ** ضَافَها فَــقِيدٌ)، دلّ على تثبيت الوصف لهذا المكان، واسم المفعول هنا أضيف لمعموله.

ثانيًا: اسم المفعول من غير الثلاثي

ورد في أحد عشر مثالًا، على الصيغ والدلالات التَّالية:

المغيَّب: اسم مفعول من (غُيِّب)، جاء في قوله: (بعدَ المُغَيَّبِ في سَواءِ الملحَدِ)؛ ليحمل دلالة من وقع عليه الفعل، وهو النبي ﷺ.

المرسلات: اسم مفعول بصيغة جمع المؤنث السالم، جاء في قوله: (يبكِّيــهِ جفنُ المرســلاتِ)، دل على المتحمِّل بالرسالة، وهي الملائكة.

المسدَّد: من الفعل (سُدِّد)، ورد في قوله: (بِلاَدٌ ثَوَى فيهَا الرَّشِـيدُ المُسَـدَّدُ)، حمل دلالة من أعطاه الله ﷻ السَّداد والرّشاد.

المصطفى، من الفعل اصطُفِي، دلّ على الاختيار والتفضيل.

المفرد: من المبني للمجهول (أُفرِد)، ورد في قوله: (أصبَحْتُ منهُ كمثلِ المفردِ الصَّادِي)[1] يدل على الاتصاف بالوحدة.

جميع الأسماء الآنفة الذكر معرفة بأل وتعمل عمل الفعل المبني للمجهول دون شروط، ومن أمثلتها في القرآن الكريم قوله تعالى: {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}[2]، وقوله تعالى: {غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّين}[3]، أمّا دلالتها الزمنية؛ فتختلف حسب اختلاف سياق كلٍ منها.

ممجَّدٌ: من الفعل (مُجِّد)، جاء في قوله: (رَبٌّ مُمجَّــدُ)[4]، واسع الفضل كثير الجود، "والتمجيد من العبد لله بالقول، وذكر الصفات الحسنة"[5].

مبعد: اسم مفعول من (أبعد)، ومبعد العقل: ذو العقل الناقص، ورد في قوله: (عـازبُ العقلِ مُبْعَدُ)[6] وعلى نفس الوزن من آيات الذكر الحكيم، (مترف) في قوله تعالى: {وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها}[7]، ولكن اسم المفعول هنا جاء بصيغة الجمع (مُترَفُوها).

---

(١) هذا الشاهد وما سبقه من الديوان، يراجع: ص:٩٤، ٩٦، ٩٤ ،٩٢ ،٩٧، بترتيبها.

(٢) سورة: النساء، آية:٢٤.

(٣) سورة: الفاتحة، آية:٧.

(٤) الديوان، ص:٩٥.

(٥) المفردات، للراغب الأصفهاني، ص:٧٦١.

(٦) الديوان، ص:٩٥.

(٧) سورة: الزخرف، آية: ٢٣.

محصنةً: اسم مفعول مؤنث، من أُحصِنت، ورد في قوله: (وَلَدَته مُحصَنَةً)، والمحصنة: المرأة العفيفة، والمقصودة هنا أم النبي ﷺ السيدة آمنة بنت وهب،

منضَّد: من الفعل (نُضِّد)، في قوله: (عليهِ بناءٌ من صفيحٍ، منضَّدُ)، منضَّد: منسَّق ومُرتَّب، دلالته: تثبيت صفة التنسيق والترتيب لبناء قبر رسول الله ﷺ.

مفجَّعة: من الفعل (فُجِّعت)، وردت في قوله: (مفجَّعةٌ قدْ شفَّها فقدُ أحمدٍ)[1]، يقال فَجَعته المصيبة، وفَجَّعَته: أوجعته فهو مفجَّع.

مبارك، اسم مفعول من الفعل (بورِك) ورد أربع مرات في المرثيَّات، ومنها قوله (يا بِكرَ آمِنَةَ المبارَكِ بكْرُها)[2]، ودل على من حلَّت عليه البركة الإلهية وثبتت له، والمقصود به النبي محمدﷺ.

وجميع أسماء المفعولين تعمل عمل اسم الفاعل، بنفس شروطه، يؤيّد ذلك قول ابن مالك:

كفِعلِهِ اسْمُ فَاعِلٍ في العَمَلِ ... إنْ كَانَ عَنْ مُضِيِّهِ بِمَعْزَلِ

وَكُلُّ مَا قُرِّرَ لِاسْمِ فَاعِلِ ... يُعْطَى اسْمَ مَفْعُولٍ بِلَا تَفَاضُلِ[3]

صيغ المبالغة ودلالاتها

"هي صيغة محوّلة من اسم الفاعل لفعل ثلاثي متعدٍ، يراد بها المبالغة والتكثير في وصف الحدث، فلو قلنا محمدٌ قوّالُ الحق، فإن (قوّال) دلّت على شخص قام بحدث القول، ودلّت على وصف الحدث بالكثرة والمبالغة فيه"[4]، والمبالغة هي الإبعاد في المعنى، ويرى سيبويه أنها مرادفة لأداء الفعل، بكثرة، وقد أوردها في باب ما تكثّر فيه المصدر من فعلت[5]، ويرى رأيه ابن جنّي فيقول: كل زيادة في المبنى تقتضي زيادة في اللفظ؛ إذ المبالغة هنا هي تكثير في الحدث، وعدد من قاموا به، ومن لطيف استخدام الصيغ في القرآن قوله تعالى: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا}[6]، فلما كان الشكر من الإنسان قليلا اختار (شاكرًا)، وتحرّى صيغة المبالغة كفورًا؛ لكثرة كفران النعمة من الإنسان. فسبحان من هذا كلامه.

وإذا تتبعنا صيغ المبالغة في المرثيَّات؛ نجد أنها لم ترد فيها إلا ثلاث صيغ مبالغة من الصيغ المشهورة، على أوزان (مِفْعَال، وفَعُول)،، وهي:

---

(١) ينظر: هذا مع الشواهد السابقة، الديوان، ص:٩٢.

(٢) الديوان، ص:٩٦.

(٣) ألفية ابن مالك، ج:١، ص: ٣٩.

(٤) الواضح في القواعد النحوية و الأبنية الصرفية ، محسن علي عطية ، ص:٢٤٥

(٥) الكتاب، ج: ١، ص: ١٢٥.

(٦) سورة: الإنسان، آية:٣.

معطاء، صيغة مبالغة من الفعل الثلاثي الناقص (أعطى)، المتعدي لمفعولين، وهو شاذ عن القاعدة لأنه مزيد، ورد في قوله: (إذا ضن معطاء بما كان يتلد)[1]، والمعطاء: كثير العطاء.

عطوف، صيغة مبالغة من الفعل الثلاثي اللازم (عطف)، وهو شديد العَطْف.

عفوٌّ، صيغة مبالغة من الفعل الثلاثي الناقص (عفى)، اللازم، والسياق الذي جاء فيه: (عفوٌّ عن الزلات)[2]، والعفوٌّ: كثير العفْوِ. وهي وسابقتها شذَّتا عن القاعدة؛ لكون فعلها ليس متعديًا.

وكلّها تعمل عمل الفعل على حدِّ اسم الفاعل، لأنها دلّت على الحال أو الاستقبال.

وبإعادة التّأمل في المشتقات التي جاءت موضونةً في المرثيَّات فسنلفي ندرة صيغ المبالغة التي لم يتجاوز ورودها ثلاث مرّات، على حين سيطرت الصفة المشبهة كما سنرى بشكل لا تخطئه نظرة العاجل، ولعل مردّ ذلك، حاجة النص لإبراز الصفات الثابتة التي تزيّا بها النبي في حياته والتي تبقى نبراسًا وهديًا لمن تبعه بإحسَّان.

فلكلّ نص أدواته الفنية والتعبيرية التي تحلق في فضاءاته، وتُزجَى بها معانيه، وقد يكون لإحدى الأدوات الهيمنة على حساب الأخرى ، دون وعي من صاحب النص أو بوعي، ولعلّ ما اتبعه حسَّان في مرثيَّاته أبلغ في التأتي للمعنى المراد.

الصفة المشبهة ودلالاتها

وهي اسم مشتق من الفعل الثلاثي اللازم؛ للدلالة على معنى اسم الفاعل على وجه الثبوت، والفرق بينها، وبين اسم الفاعل هو لزومها وحدوثه،[3] والصفة المشبهة هي صفة وفي نفس الوقت مشبهة باسم الفاعل، "ويغلِب بناؤها من لازم باب فرح ومن باب شَرُفَ"[4] وصيغ الصفة المشبهة الواردة في المرثيَّات هي:

---

(١) الديوان، ص:٩٥.

(٢) السابق، ص:٩٣.

(٣) ينظر: شرح الكافية، للاستراباذي ج: ٢، ص: ١٩٨-٢٠٥ ،وشرح التصريح على التوضيح: خالد الأزهري، ج:٢، ص:٨٢.

(٤) شذا العرف في فن الصرف، الحملاوي، ص: ٧٩.

صيغة فَعِيل: وقد جاء على هذه الصيغة تسعة أمثلة، وهي: (وليد، نبي (تكررت ست مرات في المرثيَّات)، الرشيد، حريص، كريم، دليل، عزيز، طريف، رزية)، ونلاحظ أن أغلب هذه الصفات اقترنت بالنبي ﷺ، ففي قوله: (رباه وليدًا)[1]، الصفة المشبهة (وليدًا) تدلّ على الثبوت في زمن معين.

فقيد، الذي يفقد كثيرًا، ووصف بهذا الوصف؛ لتثبيت صفة الفقد، وهي ممتزجة بالألم والحسرة على الميّت؛ لأنه لم يُنْسَ عند من فقده للأبد.

صيغة أَفْعَل: وجاءت على هذه الصيغة ثلاثة أمثلة، هما: (أَبطَحي، أَرْمَد، أَغْيَد).

صيغة فَعْلَان: وعلى هذه الصيغة لم يرد في المرثيَّات إلا مثال واحد فقط، هو: (الرَّحْمٰنِ).

صيغة فَعُول: تكررت الصفة المشبهة (رسول) تسع مرات، وكلمة رسول فيها نوع من القداسة وردت في القرآن الكريم، وهو الذي أرسله الله ﷻ للناس ليدعوهم إلى الطريق المستقيم.

صيغة فِعَال: لم يرد على هذه الصيغة إلا صفة واحدة، وهي (إمام).

صيغة مِفْعِيل: جاءت على هذه الصيغة الصفة المشبهة: (مسكين).

صيغة فاعل: لم يأت على هذه الصيغة إلا مثالان، هما: (تالد)، وتعني المال القديم المتوارث، و(أنصار) وتكررت ثلاث مرات، وفي هذا التكرار اعتزاز بالنفس؛ لأنه أنصاري وعاش بين الأنصار، فلابد أن تأخذ الكلمة حيّزا في تفكيره، وتأتي في أشعاره بوعي، أو دون وعي.

صيغة فَيعِل: وجاء على هذه الصيغة الصفة (طَيِّب) وتكررت ثلاث مرات. هذه الصفة تلقى راحة لدى قائلها وتطيبًا للخاطر في ظل هذه الفجيعة وهذا الأمر الذي لا ينادى وليده.

صيغة فَعْل: جاءت على هذه الصيغة ثلاثة أمثلة وهي: (حي، محض، برّ)

صيغة فُعْل: لم يأت على هذه الصيغة إلا مثال واحد هو: (سُودًا).

ونخلص من هذا أن الضابطين الأساسين في تصنيف الصفات المشبهة، هما السياق و الضّابط الدّلالي المتمثّل في ثبات ولزوم الصفة المشبهة لصاحبها.

كما نلحظ أن أغلب صيغ الصّفة المشبّهة المذكورة متّصلة بالنبي ﷺ، وذلك تماشيا مع المرثيَّات التي استدعت ذكر صفات المرثي.

---

(١) الديوان، ص:٩٥.

أسماء التفضيل ودلالاتها

واسم التفضيل هو اسم مشتق مصوغ من المصدر للدلالة على شيئين اشتركا في صفة، وزاد أحدهما على الآخر في تلك الصفة، وقياسه يأتي على (أفعل)، كزيد أكرم من عمرو، وخرج عن ذلك ثلاثة ألفاظ أتت بغير همزة، وهي (خَير، شرّ، حَبّ)، نحو: خير منه، شر منه.(١)

وأغلب أسماء التفضيل الواردة في المرثيَّات جاءت على أفعل: (أجود، أعف، أوفى، أقرب، أبذل، أكرم، أمنع، أثبت، أفضل، كبرى)، والأخير على وزن (فعلى) مؤنث (أفعل)، واسم التفضيل الوحيد الذي لم يرد على صيغة أفعل هو (خير).

وتوزّعت أسماء التفضيل في المرثيَّات على دلالتين، هما:

الأولى: المفاضلة المطلقة؛ أي التّعميم وعدم التّقييد بمفضّل عليه معيّن (فالله بالخير أجود، والنبيّ ﷺ أعف وأوفى ذمة، وأكرم جدًا، وأمنع ذروات، وأثبت في العلى، وأفضل الناس، وخير من وطئ الحصى، أبذل للطّريف وتالد، وأقرب منه نائلًا لا ينكّد)(٢)، إذ الملاحظ أن كل أساليب التّفضيل هذه يُلمس فيها التّعميم، فالله بالخير أجود، هذه الصّيغة رغم أنّها أتت على وزن أفعل، إلا أنها تحمل الصفة المطلقة لله ﷻ التي لا مقارنة فيها ، كما في قوله تعالى: {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِين}(٣)، والنبي أعفّ وأوفى وأكرم...، فهنا فضّل نبيّنا محمّد ﷺ على سائر البشر، فالمبالغة هنا اكتست صفة عدم التّقييد بمفضّل عليه معيّن، إذ إنّ كلّ تلك الصّفات تفوق درجتها إذا تعلّقت بالمفضَّل.

الثانية: المفاضلة بين ضدّين في صفة من الصّفات تعرف في أحدهما ويعرف في الآخر ضدّها (الكبرى)، ففي قوله: (بالجمرة الكبرى)(٤)، نميز أنّ الجمرة الكبرى خلاف الجمرة الصغرى.

اسما الزمان والمكان ودلالاتها

هما اسمان في أوّلهما ميم زائدة؛ للدلالة على زمان وقوع الفعل أو مكانه(٥).

ويصاغان من الثلاثي المجرد على وزنين "(مَفعَل)، بفتح العين، و(مَفْعِل) بكسرها.

---

(١) ينظر: شذا العرف في فن الصرف، الحملاوي، ص:٨١

(٢) الديوان، ص:٩٣، ٩٥، ٩٧، ٩٦، بترتيبها.

(٣) سورة: المؤمنون، آية:١٤.

(٤) الديوان، ص:٩٤.

(٥) ينظر: شذا العرف، ص:٨٥.

فوزنُ (مَفْعَلٍ) بفتحِ العينِ، للثلاثيِّ المجرَّدِ المأخوذ من (يَفْعُلُ) المضمومِ العين، نحو: (يَكْتُبُ، مَكْتَب) أَو (يَفْعَلُ) المفتوحِها، نحو: (يَلْعَبُ، مَلْعَب)، أو من الفعل المُعتلِّ الآخر، نحو: (يَلْهُو، مَلْهى)؛ وإن كان من "يَفعِل"، المكسور العين، (يَمْشِي، مَمْشَى).

ووزن (مَفْعِل) بكسر العين، للثلاثي المجرد المأخوذ من (يَفعِل) الصحيح، المكسور العين، نحو: (يجلس، مجلِس)، أو من المثال الواوي، نحو: (يرِد، مورِد) و (يعِد، موعِد)[1].

وزنهما من فوق الثلاثي المجرّد.

يُصاغان من غير الثلاثيِّ، مثل صَوْغِ اسم المفعول من غير الثلاثي، نحو (مُجتمَعٍ ومُنتَدىً ومُنتظَرٍ ومُستشْفَىً)"[2].

وبعد استقرائي المرثيَّات ألفيت تكرار اسم المكان ثلاث عشرة مرة، **فقد جاء من الثلاثي**: على وزن (مَفْعَل): مَعْهَد ، مَقَام، مَقْعَد، مَلْحَد(٢)، وعلى وزن (مَفعِل): مَنْزِل، مَسْجِد مَوْلِد، مَنْبِت.

و**من غير الثلاثي**: اسم واحد وهو: مُصَلَّى.

على حين أن اسم الزّمان لم يرد إلا مرة واحدة في قوله: (وَهَدى بِه أَنصارَهُ في كُلِّ ساعَةِ مَشْهَدِ)[3].

وحسبنا بعد هذا التطواف وتلك المقدّمات والتحليل أن نخلص إلى أنّ للمشتقّات دورًا دلاليًا بتآزره مع غيره من الوسائل اللغويّة الأخرى في النص، ولتوظيف الشاعر لها دلالة على تمكّنه من أدوات شعره، غير أننا نلحظ أن حسّان قد مال أكثرَ إلى اسم الفاعل وميله كان بالأخصّ إلى اسم الفاعل الصحيح دون المعتل، كما أننا نلحظ انعدام المشتقّات من الثلاثي المجرّد مضموم العين (فَعُل)، فلم نجد مثلًا (كارم)، وكذا لو قارنّا بين (فعَل يفعَل، وفعَل يفعِل) لوجدنا أن الأوّل أكثر، وتأتي الصفات المشبّهة في المرتبة الثانية لانشغال الشاعر بتعديد صفات النبيّ ﷺ، ويلي ذلك اسم المفعول الذي آثر الشاعر فيه الأفعال فوق الثلاثية، ووظف أكثرها في إطار وصف الرسول ﷺ، ويضاف إلى هذا أن حسّان إذا أراد التدليل على المعنى المطلق أزجي الصفة مستغنية عن موصوفها، ويُسقط الموصوف لتحل الصفة محله، وكأنّ الصفة صارت علمًا لهذا الدالّ نحو: (المهْدِي، المُسَدّد، الماضون)، وهذا ضرب من التأليف والتركيب يلجأ إليه القرآن أيضًا، كما في قوله تعالى: {الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيم}[4]، فكلُّها أوصاف حلَّت محلَّ موصوفاتها.

---

(١) يُنظر: جامع الدروس العربية، مصطفى غلاييني، ج:١، ص:٢٠١.

(٢) جامع الدروس العربية، ج:١، ص: ٢٠٣.

(٣) الديوان، ص:٩٧

(٤) سورة: النور، آية:٢٦.

المطلب الثالث

العدد ودلالاته

في الدراسات اللغوية الحديثة يقصد به الجمع والتثنية والإفراد، ولا يخفى عن الباحث اللغوي ما لصيغ الجموع من دلالات وإشارات تؤدّي إلى مضاعفة العمل اللغوي أو تدل على التوسع فيه أو الجواز الصرفيّ، لذلك جاء القرآن بها زاخرا سواءً أكان مفردًا أم جمعًا، حتى أن صيغة منتهى الجموع وردت في القران الكريم فوق الأربعين مرة حسب استقرائي، وكان لا بد لشاعر مثل حسّان ألّا يخلو معجمه الشعري من العدد، رغم أنّه لم يرد فيه المثنى إلا مرتين بيد أن المفرد والجمع نالا المساحة الكبرى.

الإفراد والتثنية:

في سيطرة المفرد على التراكيب، دلالة مؤداها: أن الذي يشغل بال الشاعر في أعلى اهتمامه هو النبيُّ ﷺ، حتى أننا نجد أن الشاعر في السياق الذي يجوز له أن يأتي بالمثنى يعدل عنه إلى المفرد، كما في قوله:

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا ... كُحِلَتْ مَآقِيهَا بِكُحْلِ الأَرمَدِ

ربما كان هذا تحت ضغط موسيقى الشعر وقيوده، لكنَّه على كل، يذكرنا بهذا النمط ما جاء في التنزيل – مع بعض الاختلاف – في قوله تعالى{فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى}[1]، فقد عَدَل من المثنى في (فلا يخرجنكما) إلى المفرد (فتشقى). والشاعر هنا عدل عن قوله (عينيك) إلى (عينك)، وكأنما يريد أن تكون العين اسم جنس يصح أن تشترك معه كل العيون، ويتجاوب معه المخاطب أو المتلقي، وفي قوله:

ظَلِلْتُ بِهَا أَبْكِي الرَّسُولَ، فَأَسْعَدَتْ ... عُيُونٌ، وَمِثْلَاهَا مِنَ الجَفْنِ تُسْعِدُ[2]

يلجأ الشاعر إلى الجمع لمنح السياق نوعًا من الكثرة يستدعيها المعنى، على حين يعدل بالمفرد للتخصيص والتحديد، كما في (عيون) في البيت الآنف، فهو يريد من الجمع التكثير والتعدد، على حين أنه قال (مابال عينك) في البيت الأوّل.

الجموع:

يلي الإفراد تلك الجموع التي ظلَّلها الفقد بمرارة الحزن، وجملة الجموع الواردة في المرثيَّات أربعة وأربعون جمعًا؛ منها ثلاثون جمع تكسير، وأربعة عشر جمع مذكر سالما، ويمكن التعريج على دلالة الجموع

(١) سورة: طه، ص: ١١٧

(٢) الديوان، ص:٩٥،

في المرثيَّات وفقا للعنصرين الآتيين:

أولا: جموع التكسير ودلالاتها

وجمع التكسير هو "ما دل على أكثرَ من اثنين بتغيير صورة مفرده"[١]، وسمي بذلك "على التشبيه بتكسير الآنية؛ لأن تكسيرها يزيل التئام أجزائها، فلما تغير نظمه وبناؤه، انفصل بعض أجزائه من بعض"[٢]، وصنّف الصرفيون جموع التكسير إلى جموع قلة وجموع كثرة، وأرادوا بالقلة: ما كان من الثلاثة إلى العشرة؛ فإن زيد على العشرة صار من جموع الكثرة.

جموع القلة

وهي على أربعة أوزان (أفعُل وأفعال وأفعلة وفِعْلة)، وما عداها جمع كثرة،[٣] وفي تحديد هوية هذا الجمع لا يُرجَع إلى الوزن فقط، بل قد تتقارض الصيغ بعض المعاني والدلالات، ومما ينبغي الاعتماد عليه، وله دور كبير في تحديد الدلالة هو السياق الذي ورد فيه.

فعلى سبيل المثال: (أفعُل) من جموع القلة كما ذكرنا، وإذا تأملنا ما جاء في المرثيَّات على هذا الوزن (أعْيُن – أعضُد – أيدٍ – أسعُد) نجد أن الجمع (أَعيُن) يدل على الكثرة؛ فالذين حضروا دفن رسول الله وبكوه أكثرُ من العشرة، وكذلك (أسعد) فـ"سعود النجوم عشرة"[٤]، على حين نُلفِي أنَّ الجمع (أعضد) دل على القلّة؛ لأنّ عدد الذين قاموا بدفن الرسول ﷺ أربعة رجال، كما ورد في كتب السيرة[٥]، وبالتالي يتّضح لنا أن (أيدٍ) تدلّ على القلّة كذلك.

ومن جموع القلة (أفعال) وقد ورد منه في المرثيَّات (أنصار – أوتاد)؛ فالسياق في أنصار يدل على الكثرة لا القلة؛ فعدد أنصار النبي ﷺ يفوق العشرة بل العشرات، على حين أن أوتاد تدل على القلة. ولم ترد في المرثيَّات جموع قلة غير التي ذكرناها آنفًا.

جموع الكثرة

أما جموع الكثرة الواردة في المرثيَّات فقد جاءت على ثمانية أوزان، وهي:

١- فُعُول: وجاء على هذا الوزن بُيُوت، وُجُوه، عُيُون، دُمُوع، فُرُوع، ظهور، مُسُوح.

٢- فَعَائل: ضَرَائب، دَعَائم.

٣- فِعَال: رِقَاب، بِلَاد، قِفَار، بِقَاع

---

(١) شذا العرف، ص: ٩٩، ص:٩١.

(٢) أسرار العربية، ابن الأنباري، ص:٦٣.

(٣) شذا العرف، الحملاوي، ص:٩٩.

(٤) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص:٣٦٨.

(٥) هذا الحبيب، أبو بكر الجزائري، ص:٤٧٧.

٤- فُعَّل: حُسَّد.

٥- مَفَاعِل: مآقي، ومفردها (مأقِي، مأقى، مؤقِي).

٦- فَواعِل: رواهب.

٧- فَعَالِل: جَنَادع.

٨- فَعَايل: خَزَايا، ومفردها (خَزْيَا، خزْي، خزيان).

٩- مفَاعِيل: مساكين.

وبالتأمّل في سياقات هذه الجموع؛ نُلفِي أنها دلت جميعها على الكثرة.

هذا، ويؤكد لنا ما عرضناه من دلالات لجموع التكسير أن الكلمة خارج السياق لها دلالتها الخاصة بها، وعندما توضع في سياق محدد تتغير دلالتها حسب سياقها وتصير حديثة السياق.

الجموع السالمة ودلالاتها

سمي بذلك؛ لأن حروف مفرده لم يصبها التغيير عند الجمع، وينقسم إلى جمع مذكر سالم، وجمع مؤنث سالم، وبلغ عدد الجموع السالمة في المرثيَّات ثلاثة عشر جمعًا، منها جمع واحد ملحق بالسالم، وتمثلت فيما يلي:

جمع المذكر السالم:

هو ما دل على ثلاثة، أو أكثر من الذكور بزيادة واو ونون، أو ياء ونون على آخره[(١)]، وجموع المذكر السّالمة في المرثيَّات هي: (نبيون – طيبون – مسلمون – ماضون)، وورد جمع واحد ملحق به، وهو: (بنو) في (بنو النجار).

جمع المؤنث السالم:

هو ما سلم بناء مفرده وجمع بالألف والتاء المزيدتين[(٢)]، وجموع المؤنث السالمة في المرثيَّات هي: (شاهقات – خيرات – ذروات – عرصات – موحشات، مرسلات – زلّات – سماوات).

ويرى النّحاة أن الجموع السالمة بنوعيها، تفيد القلة، بدليل الفرق الدلاليّ بين (سنبلات) جمع المؤنّث السالم الذي يدلّ على القلّة، و(سنابل) جمع التكسير الذي يدل على الكثرة، فقد جاء الجمع السالم في قوله تعالى: {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ}[(٣)]، وجمع التكسير في قوله تعالى: {كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ

(١) ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، ج:٢، ص:٥٦٦.

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل، ص:٣٩.

(٣) سورة: يوسف، آية:٤٣.

مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيم}[1]؛ ليدلّ الأوّل على القلّة؛ لأن السياق لا يحمل التكثير أبدًا؛ فسبع سنبلات خضر تقابل سبعًا يابسات، أضف إلى ذلك سنين القحط الشِّدَاد، والمجاعة التي ستواجه مصر، على حين جاء جمع التكسير (سنابل) الدالّ على الكثرة في الآية الثانية؛ ليتناسب وما يحمله السياق بعده من تضعيف الأجر وتكثيره إلى سبعمائة ضعف، وليس أدلّ على ذلك من ختام الآية (والله يُضاعف لمن يشاء) وهو أكرم الأكرمين[2].

قس على ذلك، الفرق الدلاليّ بين جمع التكسير (خطاياكم)، الوارد في سورة البقرة في قوله تعالى: {نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِين}[3] والجمع السالم (خطيئاتكم) الوارد في سورة الأعراف، في قوله تعالى: {نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِين}[4]، فلسياق كلٍّ من الجمعين أثره في الدلالة.

وعلى كلٍّ، فإنّ هذا يؤكّد وجود الفرق الكبير بين أنواع الجموع ودلالاتها.

اسم الجمع في المرثيَّات

وهو "مالا واحد له من لفظه، وليس على وزن خاص بالجموع أو غالب فيها، كقوم ورهط، أو له واحد لكنه مخالف لأوزان الجمع، كركب جمع راكب وصحب جمع صاحب"[5]، وقد ورد في المرثيَّات ثلاثة جموع، وهي: (رهط – ناس – برية).

اسم الجنس الجمعي

هو الاسم الذي يقع على القليل، والكثير بلفظ المفرد، يتميّز عن واحده إما بياء في الواحد، نحو رومي وروم، أو بتاء في الواحد، نحو تمرة وتمر[6]، وأمثلته في المرثيَّات، الاسمان: (بلاط، دمع).

اسم الجنس الإفرادي:

وهو "ما يصدق على القليل والكثير، كعسل ولبن وماء"[7]، ونماذج هذا الجمع في المرثيَّات هي: (حَصَى – ثَرَى – تُرْب). ولم يرد غيرها.

---

(١) سورة: البقرة، آية:٢٦١.

(٢) يُنظر: تفسير ابن كثير. ج:١، ص:٣٠٥،ج:٢، ٤٥٣، تفسير النسفي، ج:١، ص:٢١٧، ج:٢، ١١٣.

(٣) البقرة:٥٨.

(٤) الأعراف:١٦١.

(٥) شذا العرف، ص: ١٠٩.

(٦) شرح الشّافية، ج:٢، ص:١٩٣.

(٧) شذا العرف: ص: ١١٠.

الفصل الثالث

الظواهر التركيبيَّة والدلاليَّة في المرثيَّات

❖ **المبحث الأول: أنماط الجمل ودلالاتها.**

- **المطلب الأول: الجمل المستطيلة.**
- **المطلب الثاني: الجمل المنسوخة.**
- **المطلب الثالث: الجمل المنفية.**
- **المطلب الرابع: التقديم والتأخير.**
- **المطلب الخامس: الحذف.**

❖ **المبحث الثاني: التركيب الإنشائي ودلالاته.**

- **المطلب الأول: أسلوب الاستفهام.**
- **المطلب الثاني: أسلوب النداء.**

❖ **المبحث الثالث: الظواهر الدلالية.**

- **المطلب الأول: الترادف.**
- **المطلب الثاني: التقابل الدلالي.**

المبحـث الأول

أنماط الجملة ودلالاتها

- **المطلب الأول: الجمل المستطيلة.**
- **المطلب الثاني: الجمل المنسوخة.**
- **المطلب الثالث: الجمل المنفية.**
- **المطلب الرابع: التقديم والتأخير.**
- **المطلب الخامس: الحذف.**

المطلب الأول

الجمل المستطيلة:

بادئ بَدءٍ فإنّ هناك ما يمكن تسميته بالجملة الدنيا وهي التي تكتفي بالأركان الأساسية دون الحاجة إلى مكمّلات، سواء كانت الجملة اسمية أو فعليّة، وحين يمتد نفس الشاعر تمتد معه الجملة بمكمّلاتها فتتوسّع الدلالة وهو أمر قمين بالدراسة في شعر حسَّان، ولا يعد من نافلة القول الإلماع إليه، وإظهار دلالاته.

إن امتداد الجملة في شعر حسَّان واستطالتها أمر لافت، سواءً كان جملة اسمية أو فعلية، ولكنّ نمط الجملة الاسمية يكون دائما أكثر حظًا في التوسع من الجملة الفعلية؛ ذلك أنّ الجملة الاسمية، يكثر فيها التقييد بالنواسخ مثلًا أو الاستفهام، وقد يتوسع في المبتدأ بالنعت، أو يأتي الخبر جملة فعلية لها مكملاتها، فتمتد الجملة وتستطيل. وقد أفاد شوقي ضيف بأنّ سبب اتّساع الجملة الاسمية تكوّنها من اسم وفعل؛ فكلّ ما يُكوِّن الفعل في جملتها من لواحق تحمله معه، وبذلك تحمل الجملة الاسمية الفعل ولواحقه، ثم تتميز عنه بأشكال أخرى، أو قل بلواحق على صور شتى، وبجانب هذه اللواحق للخبر في الجملة الاسمية توجد لواحق أحياناً للاسم الأول المرفوع فيها (المبتدأ)، ومن لواحق مبتدأ الجملة الاسمية التوابعُ: نعته، والعطف عليه وتوكيده والبدل منه، وهناك لواحق أخرى، وبذلك يتضح أن لواحق الجملة الاسمية تتعدد تعدداً واسعا[1].

أما عن أمثلة ذلك في مرثيَّات حسَّان، فتراه يقول :

وَمَا فَقَدَ الماضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ ... ولا مثلهُ، حتى القيامةِ، يُفْقَدُ
أعفَّ وأوفى ذمَّةً بعدَ ذمَّةٍ ... وأقْرَبَ مِنْهُ نائِلاً، لا يُنَكَّدُ
وأبذلَ منهُ للطَّريفِ وتالدٍ ... إذا ضَنَّ مِعْطاءٌ بما كانَ يُتْلِدُ
وأكرمَ حيًّا في البيوتِ إذا انتمى ... وأكْرمَ جداً أبطحيًّا يُسَوَّدُ
وأمنعَ ذرواتٍ، وأثبتَ في العلى ... دعائمَ عزٍّ شاهقاتٍ تُشَيَّدُ
وأثْبَتَ فَرْعاً في الفُرُوعِ وَمَنْبِتاً ... وَعُوداً غَداةَ المزْنِ، فالعُودُ أَغْيَدُ[2]

(١) ينظر: تجديد النحو، ص: ٢٥٤،٢٥٣.

(٢) الديوان، ص:٩٥.

وبالنظر إلى البيت الثاني نجد أنّه قد استهلّه بالحال (أعف) ، ثم استطالت الجملة بعطف الأحوال عليه (أوفى ذمّة) و(أقرب نائلًا) و(أبذل منه) و(أكرم حيًا) و(أكرم جدًا) و(أمنع ذروات) و(أثبت فرعًا).

وفي استطالة الجملة هنا ، تعداد لصفات النبي ﷺ وكثرتها في نفس قائلها، الذي امتدّ معها نفسُه الشعري، حتى فاقت خمسة الأبيات.

وهكذا، فإن العطف في حقيقته نوع من أنواع الإمالة؛ حيث يَميل لفظٌ إلى لفظ آخر، ويشترك معه في الإعراب، غير أن المعطوف يضيف للمعطوف عليه دلالة جديدة حسب تغاير اللفظ مع المعطوف، أو تأكيده على معناه، أو تقابله معه، أو اتحاده مع دلالته.

وحين شرع المبرّد في بيان حروف العطف ودلالتها ذكر أن من حروف العطف (الْوَاو)، "وَمَعْنَاهَا إشراك الثاني فِيمَا دخل فِيهِ الأول، وَلَيْسَ فِي ذلك دَلِيل على أَيهِمَا كَانَ أَولًا، نَحْو قَوْلك : جاءني زيد وَعَمْرو، وورد في البيان القرآنيِّ {واسجدي واركعي مَعَ الراكعين}(١)، وَالسُّجُود بعد الرُّكُوع"(٢)

وقد تكُون الاستطالة بغير العطف كالنعت مثلًا، ونرى هذا واضحًا في قوله:

يا بِكـرَ آمِنَةَ المُبارَكِ بكْرُها ... وَلَدَته مُحصَنَـةً بِسَعـدِ الأَسعُـدِ(٣)

فقد استطالت الجملة هنا بالنعت السببي (المبارك)، وهذا النوع من أنواع الاستطالة شبيه بقوله تعالى: {الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا}(٤)، فـ(الظالم) نعت سببي للقرية؛ حيث دلّ على صفة اسم به ضمير يعود على المنعوت، فاستطالت به الجملة، ونلاحظ أيضًا نوعًا آخر لامتداد الجملة في قوله:

تاللَّهِ ما حملتْ أُنثى ، ولا وَضَعتْ ... مـثـلَ الـرَّسُـول نبـيِّ الأمَّةِ الهَادي

فـ(نبيّ) نعت أول للرسول و(الهادي) نعت ثانٍ، وبهذا أتاحت النعوت امتدادًا للجملة، فللنعت دور مهم في توسيع الجمل؛ حيث نراه أسهم في بناء أغلب تراكيب الجمل في المرثيَّات.

وقد تمتد الجملة بأشباه الجمل من ظرف أو جارّ ومجرور، ومن أمثلة ذلك قوله:

تُهِيـــلُ عليهِ التُّربَ أيـدٍ وأعيـنٌ... عليهِ، وقدْ غـــارتْ بذلكَ أسعدُ

فأشباه الجمل (عليه) و (بذلك) منحت الجملة الشعريّة زيادة في طولها، وفي قوله:

وجهي يَقيكَ التُربَ لَهفـيَ لَيتَني ... غُيِّبـتُ قَبلَكَ في بَقيـعِ الغَرقَـــدِ

---

(١) سورة: آل عمران، آية: ٤٣.

(٢) المقتضب، للمبرد، ص:١، ص:١٠.

(٣) الديوان، ص:٩٢، ٩٦.

(٤) سورة: النساء، آية:٧٥.

استطالت الجملة بظرف الزمان (قبل)، وبهذا وغيره من الأمثلة نلاحظ أن أشباه الجمل من الموسّعات الأساسية للجملة العربية من الناحية التركيبيّة والدلاليّة.

ومن موسّعات الجمل أيضًا الأحوال، ومثال ذلك قوله:

وَرَاحُوا بحُزْنٍ ليس فيهِمْ نَبِـيُّهُـمْ ... وَقَدْ وَهَنَتْ منهُمْ ظُهـورٌ، وأعضُدُ[1]

وقد امتدّت الجملة هنا بالجمل الحاليّة، الاسميّة المنسوخة (ليس فيهم نبيّهم)، والفعليّة المؤكدة (وهنت منهم ظهور وأعضد)، ومن الملاحظ هنا أن هذا البيت يحمل ظاهرة جماليّة لا تخفى عن اليَلْمَع العَرُوف، وهي (الازدواجية بين الجمل الاسمية والفعلية)، وغيره الكثير من الأبيات في المرثيَّات يحمل هذه الظاهرة.

وصفوة المقال، أن امتداد الجملة يمنحها امتدادًا في المعنى ويدلّ على طول نفس الشاعر وتشابك تراكيبه وتشقيق المعاني.

(١) الديوان، ص:٩٢، ٩٦ ، ٩٢، ٩٧. على التوالي.

المطلب الثاني

الجمل المنسوخة

النسخ لغة: نَسَخَ الشيء أي أَزَاله وأَقَام الشيء مقامَه[١]، ونَسَخَت الريح آثار الديار غيرتها. ونسخ الكتاب وانتسخه واستنسخه[٢]، وفي التنزيل {مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا} [٣].

و في الاصطلاح : هو ما يرفع حكم المبتدأ والخبر.

و قد ذكر ابن هشام أن النواسخ ثلاثة أنواع:

١- ما يرفع المبتدأ وينصب الخبر، وهو كان وأخواتها.

٢- ما ينصب المبتدأ ويرفع الخبر، وهو: إن وأخواتها.

٣- ما ينصبهما معاً، وهو: ظن وأخواتها [٤]

وللنواسخ أثرها كما تبدَّى في تغيير شكل الجملة و طريقة نطقها؛ لأنها تؤثر في الخبر مع كان و أخواتها فتنصبه، نحو: كان الجو ربيعًا، والعكس مع إن و أخواتها، نحو: إن المجتهدين مُقدَّرون، في حين أن ظن و أخواتها تنصب المفعولين، ظننت زيدًا قائمًا.

و لـ(كان) الناسخة وأخواتها أحكامها، من حيث النقصان و التمام، والحذف والذكر و التصريف والجمود، ولـ(إن) وأخواتها أحكامها، فلكل أحكامه التي ذكرها النحاة مطولة ومشفوعة بالأمثلة، ولكن المقام هنا لا يقتضي بسطها؛ فليس من وَكْد البحث التشعيب فيها، إلا أننا بالنظر لما ورد في مرثيَّات حسَّان؛ سوف نجد أن الجمل المنسوخة بلغ عددها سبعًا وعشرين جملة، منها تسع عشرة جملة منسوخة بـ(كان) وأخواتها، وردت مكنوفة في البحث، ونواسخها كالتالي:

عشر جمل منسوخة بـ(كان)، ومنها ما ورد في الأبيات الآتية :

بها حجراتٌ كانَ ينزلُ وسْطها ... مِنَ الله نـورٌ يُسْـتَضَاءُ، وَيُوقَـدُ
كانَ الضِّيَاءَ وَكانَ النُّورَ نَتبَعُهُ ... بَعدَ الإِلَهِ وكانَ السَّمعَ وَالبَصَـرا[٥]

---

(١) القاموس المحيط، ص:١٧١٠.

(٢) مختار الصحاح، ص: ٦٥٦.

(٣) سورة: البقرة، الآية:١٠٦.

(٤) شرح قطر الندى، ابن هشام، ص: ١٢٣

(٥) الديوان، ص:٩١، ١٣٥.

مَن شاءَ بَعدَكَ فَليَمُت ... فَعَلَيكَ كُنتُ أُحاذِرُ[1]

وثلاث جمل منسوخة بـ(ظل)، وهي كالآتي:

ظَلِلْتُ بها أبكي الرسولَ، فأسعدتْ ... عُيونٌ، وَمِثْلاها مِنَ الجَفْنِ تُسعدُ
مفجَّعةٌ قدْ شفَّها فقدُ أحمدٍ ... فظلَّتْ لآلاء الرسولِ تعدِّدُ
فَظَلِلْتُ بَعدَ وَفاتِهِ مُتَبَلِّدًا ... متلدِّدًا يا لَيتَني لم أُوْلَدِ[2]

وثلاث جمل منسوخة بـ(أصبح)، وهي:

فأصبحَ محموداً إلى اللهِ راجعاً ... يبكِّيهِ جفنُ المرسلاتِ ويَحمدُ
ضاقَت بِالانْصَارِ البِلادُ فَأَصبَحت ... سوداً وُجوهُهُمُ كَلَونِ الإثْمِدِ
يا أفضَلَ النَّاس، إنِّي كنتُ في نَهَرٍ ... أصبَحْتُ منهُ كمثلِ المفردِ الصَّادِي

وجملتان منسوختان بـ(أمسى)، وهي:

وأمستْ بِلادُ الحَرْم وَحشاً بقاعُها ... لِغَيْبَةِ ما كانَتْ مِنَ الوَحْيِ تعهدُ
أمْسَى نسَاؤُكَ عَطَّلنَ البُيُوتَ، فما ... يَضْرِبْنَ فَوْقَ قَفَا سِتْرٍ بأوْتَادِ

وجملة واحدة منسوخة بـ(ليس)، وهي:

وَرَاحُوا بحُزْنٍ ليس فيهِمْ نَبيُّهُمْ ... وَقَدْ وَهَنَتْ منهُمْ ظُهورٌ، وأعضُدُ

أما النواسخ الحرفية ؛ فقد كان ورودها كالتالي :

أربع جمل منسوخة بـ(ليت)، ومنها:

وجهي يَقيكَ التُربَ لَهفيَ لَيتَني ... غُيِّبتُ قَبلَكَ في بَقيعِ الغَرقَدِ
أَأُقيمُ بَعدَكَ بِالمَدينَةِ بَينَهُم ... يا ليتني صُبِّحْت سُمَّ الأسْوَدِ
فَظَلِلْتُ بَعدَ وَفاتِهِ مُتَبَلِّدًا ... متلدِّدًا يا لَيتَني لم أُوْلَدِ

جملة واحدة منسوخة بـ(إن)، وهي:

يا أفضَلَ النَّاس، إنِّي كنتُ في نَهَرٍ ... أصبَحْتُ منهُ كمثلِ المفردِ الصَّادِي

---

(١) الديوان، ص:١٣٥.

(٢) للأبيات السابقة، الديوان، ص:٩١، ٩٢.

جملة واحدة منسوخة بـ(أن)، وهي:

نَبِّ المَساكينَ أَنَّ الخَيرَ فارَقَهُم ... مَعَ النَّبِي تَوَلَّى عَنهُمُ سَحرَا

جملة واحدة منسوخة بـ(لكن)، وهي:

وَمَا بَلَغَتْ منْ كلِّ أمْرٍ عَشِيرَهُ ... وَلكِنَّ نَفسي بَعْضَ ما فيهِ تحمَدُ(١)

و يمكننا أن نحوصل النتائج بعد تبصُّر الأبيات السابقة فيما يلي :

١- استحواذُ (كان) على النسبة الأكبر بشكلها الماضوي ، دليلٌ على تذكر الشاعر للماضي و التحسر عليه، وهذا يناسب المرثيَّات، فإن المرثيَّ يذكره الراثي بما كان عليه من مناقب في حياته، والواقع أن مواقف الناس عند حديثهم عن المتوفى حال اجتماعهم يكون كذلك، ألا تراهم يقولون: لقد كان كذا... وكان... وكان... وغالبا ما يسقط اسم كان لتتكثف الدّلالة على الخبر الذي هو المناقب، وانظر قول حسَّان: (كان الضياء) و (كان ينزل وسطها نور).

٢- ورود اسم كان ضميرا مستترا يعود على النبي صلى الله عليه و سلم؛ دليل انشغال بال الشاعر بالحديث عن مناقب النبي ﷺ، وعظم الفقد .

٣- ورود (ظلّ) في المرتبة الثانية منسوبة للشاعر دليل على تغير حاله وشدَّة بكائه و تحسره ، وتأمل قوله: (ظللت بعد وفاته متبلّدًا) وقوله: (ظللت بها أبكي)، وقد جاء اسم ظل ضميرًا هو تاء فاعل الشاعر، فلئن وظف الشاعر (كان) في أغلبها عن النبي ﷺ؛ فقد وظّف ظل لوصف الشاعر نفسه، وذلك يحدث في النفس مقارنة بين مناقب النبي ﷺ وفقده وبين حال الشاعر بعد ذلك الفقد، والضدُّ يظهر حسنه الضدُّ، وبضدها تتميز الأشياء.

٤- أما (أصبح) فقد وردت ثلاث مرات، وفيه الدلالة على مآل الأمور وتغيرها بعد فقدان النبي ﷺ؛ فالفعل أصبح هنا يشي بالتحول إلى الحال المأساوية، فنراه يقول: (أصبحت منه كمثل المفرد الصادي) و(أصبح ثاويًا)، ومثله (أمسى) و(ليس).

٥- استحواذُ (ليت) دون غيرها من النواسخ الحرفية على أعلى نسبة من عدد ورود الحروف الناسخة لوّن الأبيات بعاطفة الحزن الممرورة، وتمنّي المستحيل غالبا، فتجدنا بالبحث لا نحصل على حرف مثل (لعلّ)، الذي يطلب به الشيء المعقول حصوله، وبالتأمل في رثاء حسَّان؛ نجده مرة تمنّى لو أنه غُيِّب قبل وفاة الرسول ﷺ، ومرة لو أنه لم يولد، وأخرى لو أنه صُبِّح سمّ الأسود، وكلها تصب في

(١) الديوان، ص:٩٦، ٩٧، ٩٤، ٩٧، ١٣٥، ٩٢.

تمني افتداء النبي أو تمني الموت قبله؛ لهول ما اعتراهم ، وعظم ما حلّ بهم جرّاء فجيعة فقد حبيبهم، ألا ترانا عند المصائب العظيمة غالبًا ما نقول: ياليت، ياليت.

وشبيه بهذا قوله تعالى في محكم التنزيل على لسان مريم: {يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا} [(١)]، وقوله تعالى على لسان الكافرين: {وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا} [(٢)]، وأيضا قوله تعالى: {يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} [(٣)].

واستخدام (ليت) بهذا الشكل ليس عاريًا من الدلالة أو خاليًا من الإيحاء، فقد أجاد الشاعر في ذلك وكأننا نسمع نحيبه وهو يتمنى.

(١) سورة: مريم، آية:٢٣.

(٢) سورة: النبأ، آية:٤٠.

(٣) سورة: الفجر، آية:٢٤.

المطلب الثالث

الجمل المنفية

النفي لغة الطَّرد و "نفيت الرّجلّ وغَيرَه نَفْياً إذا طردتَه، فهو منفيّ، قال الله تعالى: {أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ}[1]، ويقال: معناه: السّجْنُ. والانتفاء من الولد: أن يُتَبَرَّأُ منه. والنُّفاية من الدّراهم وغيرها: المنفيّ القليل مثل البُراية والنُّحاتة. ونَفِيُّ الرّيح: ما نَفَى من التّراب في أُصُول الحِيطان ونحوِه، وكذلك نَفِيُّ المطَر، ونَفِيُّ القِدْر"[2].

والنفي في اصطلاح النحاة هو عكس الإيجاب، و هو يقلب معنى الجملة ، والنافي يُسَمَّى كلامه نفيًا إن كان صادقا، نحو: {وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ}[3]، وإلا فهو نفي و جَحْدٌ[4]، نحو: {إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين} [5]، ومن المعروف أن (لم) و (لما) لنفي الماضي ، و (ما) و (إنْ) لنفي الحال، ولنفي المستقبل نستخدم (لا) و (لن)، وتأتي (ليس) لنفي الجملة الاسمية.

وقد أورد سيبويه أدوات النفي تحت باب "(حروف أُجريتْ مَجرى حروف الاستفهام وحروفِ الأمر والنهى) وهى حروف النَّفي، شبّهوها بحروف الاستفهام؛ حيث قُدّم الاسمُ قبل الفعل... وسَهُل تقديم الأسماء فيها لأنّها نفىٌ لواجبٍ، وليست كحروف الاستفهام والجزاء، وإنّما هي مضارعة، وإنما تجيء لخلاف قوله: قد كان.

وذلك قولك: ما زيداً ضربتُه ولا زيداً قتلتُه، وما عَمْراً لقيتُ أباه ولا عمراً مررتُ به ولا بِشرا اشتريتُ له ثوبا. وكذلك إذا قلت: ما زيداً أنا ضاربُه، إذا لم تجعله اسماً معروفا"[6]

وذكر صاحب المفصَّل أنها: "ما ولا ولم ولما ولن وإن، فما لنفي الحال في قولك ما يفعل وما زيد منطلق أو منطلقاً على اللغتين، ولنفي الماضي المقرب من الحال في قولك ما فعل"[7].

وتجيء إن شرطية ونافية ، قال تعالى : {وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ} [8]، وتجيء مخففة

---

(١) سورة: المائدة، آية: ٣٣.

(٢) العين، ج:٨، ص: ٣٧٥.

(٣) سورة: البقرة، آية:٢١٤.

(٤) ينظر: المفصل، ص: ٣٠٥ – ٣٠٧ ، الكليات، ج:٤، ص:٣٣٢.

(٥) سورة: الأنعام، آية:٢٥.

(٦) الكتاب، ج:١، ص: ٤٥.

(٧) ج:١، ص:٤٠٥.

(٨) سورة: فاطر، آية:٤١.

من الثقيلة و زائدة[١]، وسموا حروف النفي باسم حروف الجَحْد[٢].

وقد جاء النفي في اثنتين وعشرين جملة من المرثيَّات، بواقع: إحدى عشرة جملة منفية بـ(لا)، وست جمل منفية بـ(لم)، وخمس جمل منفية بـ(ما)، وأمثلتها على النحو التالي:

ولا تنمحي الآياتُ من دارِ حرمةٍ ... بها مِنْبَرُ الهادي الذي كانَ يَصْعَدُ
أعفَّ وأوفى ذمَّةً بعدَ ذمَّةٍ ... وأقْرَبَ مِنْهُ نائِلاً، لا يُنَكَّدُ
تاللَّهِ ما حملتْ أُنثى، ولا وَضَعتْ ... مِثْلَ الرَّسُول نبيِّ الأمَّةِ الهَادي
تَنَاهَتْ وَصَاةُ المسْلِمِينَ بِكَفِّهِ ... فلا العلمُ محبوسٌ، ولا الرأيُ يُفْنَدُ
لَم يَترُكِ اللَهُ منا بعده أحدًا ... وَلَم يُعِش بَعدَهُ أُنثى وَلا ذَكَرا
فَظَلْتُ بَعدَ وَفاتِهِ مُتبَلِّدًا ... متلدِّدًا يا لَيتَني لم أُوْلَدِ[٣]

ويمكننا أن نصل من خلال الإحصاء السابق إلى نتائج، أهمها:

-كان لأداة النفي (لا) الحظ الأكبر في إيثار حسَّان لها دون غيرها، وقد أدخلها على المضارع (ولا تنمحي الآيات) ليخلصها للاستقبال، فنفي المضارع يراد منه نفي الدوام، كقوله تعالى: {عَالِمِ الْغَيْبِ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ} [٤]، وقد تنفي الحال (لا يُنَكَّد)، ومن نفي الحال قوله ﷻ: {لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} [٥]، وقد جاء نفي المضارع في المرثيَّات ليؤكد استمرارية حزنه على الحبيب، وليؤكد على دلالة بقاء المعالم شاهدة تذكرنا بذكرى النبي ﷺ وآثاره.

دخلت (لا) النافية للأسماء على النكرة في قوله (ولا ذكرا)، وتدخل على المعرفة؛ إذ يقول: (فلا العلم محبوس ولا الرأي يُفْند) ويلزم تكرارها في هذه الحالة؛ لأنها غير مختصة بالأسماء، ومن ذلك قوله ﷻ: {لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُون} [٦]، وقال المالقي في ذلك: "فأما ما يدخل على المعارف فلا تؤثر فيها لأنها غير مختصة بها ويلزم تكريرها ، نحو: ما زيد في الدار ولا عمرو"[٧]، فالتكرير هنا يمنح السياق شحنة إضافية مكثفة.

-يوظف حسَّان أحيانا النفي بأكثر من أداة كما في (ما) و(لا) متضافرين مع القسم، ليُؤَكِّد ذلك

---

(١) المغني، ج:١، ص:٢٢- ٣٢ .

(٢) المدارس النحوية، ج:١، ص: ١٦٧.

(٣) الديوان، ص: ٩١ – ٩٨، ص:١٣٥.

(٤) سورة: سبأ، آية:٣.

(٥) سورة: القيامة، آية:١.

(٦) سورة: يس، آية:٤٠.

(٧) رصف المباني، ص:٣٣٢.

في نفسه، وليعضّد المعنى في السياق، فنراه يقول: (تالله ما حملت أنثى ولا وضعت...)، ويبدو تأثُّره بالأسلوب القرآني الذي يزاوج القسم بالنفي كما في قولهﷻ: {قَالُواْ تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِين } [(١)]، أي: لا تفتؤ تذكر يوسف، فحذفت (لا) هنا للعلم بها[(٢)].

-استخدم حسَّان (لم) لنفي المضارع وقلبه ماضيا وجزمه، ليعبر عن حزنه الممرور، كما في قوله: (لم يُعِشْ بعده...)، وشبيه بذلك قول الله تعالى: { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد} [(٣)]، وقوله أيضا:{ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلا} [(٤)]، وتكرار النفي في الأبيات يشي بتأكيد الشاعر على تمنيه انتهاء حياته ومحبيه قبل موت النبي ﷺ.

-الشاعر الجيد هو الذي يقيم علاقة بين الكلمات بشكل غير مأنوس أو شائع أحيانًا، متأثرا بموروثه الثقافي، بوعي أو بلا وعي، وهو ابن بيئته، ونبت عصره، منه يستمد وعليه يتكئ، وقد لوحظ توظيف حسَّان التمني بـ(ليت) مع النفي، فهو يتمنى انتهاء حياته قبل موت النبي، ويتمنى أنه لم يكن قد وُلِد، وهذا التمني ليس جديدا، وإنما ورد منه في القران الكريم، في قوله تعالى: {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا} [(٥)]، وقوله تعالى: {فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيه}[(٦)].

(١) سورة: يوسف، آية:٨٥.

(٢) ينظر: التبيان للعكبري ج:٢، ص: ٥٨.

(٣) سورة: الإخلاص، آية:٣.

(٤) سورة: النساء، آية:١٣٧.

(٥) سورة: الكهف، آية:٤٢.

(٦) سورة: الحاقة، آية:٢٥.

المطلب الرابع

الـرتبـة

من سنن العرب في كلامهم فتق رتق الجملة، وإحداث خلخلة في ترتيبها، فيقدمون ما حقه التأخير، ويؤخرون ما حقه التقديم، دون الخروج عن حكم المتقدم، وذلك لإحداث أثر جليٍّ، لا يمكن أن يكون بغير هذه الخلخلة في الترتيب، وهو ترتيب الرتبة دون الإعراب، وإن كان ذلك يعد بطشًا بقواعد اللغة.

ويقصد بالتقديم والتأخير "نقل لفظ عن رتبته في نظام الجملة العربية؛ فرتبة الفاعل قبل المفعول، والمبتدأ قبل الخبر، فإن جاء الكلام على عكس ذلك قيل إن فيه تقديمًا وتأخيرًا؛ وبالتالي لا يقال الفاعل مقدم على المفعول؛ لأنه كما قال الزمخشري لا إزالة فيه عن موضعه ، وإنما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقارِّ في مكانه"(١).

والحقيقة أن القرآن الكريم مثلٌ أعلىً في ذلك، إذ نراه حافلًا بتلك الظاهرة فمرة يقدم النفع على الضَّر، والسماء على الأرض، والإنس على الجن، وتارة يعكس، ويقدم ركنًا من الجملة على غيره فيها، وتأمل قوله جلَّ شأنه: {وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى} (٢)، وتأويلها: (ولولا كلمة سبقت من ربك وأجلٌ مسمى لكان لزاما).

وليس من نافلة القول أن نشير إلى أن هذه الظاهرة من أقدم الظواهر، وربما قلنا إن هذا المصطلح من أقدم المصطلحات في العربية، فلقد أشار إليه سيبويه في كتابه، وأَخَذَ أَخْذَتَه مِن بعده الأخفش والزَّجَّاج والزركشي وغيرهم، يقول سيبويه: "مشيرًا إلى ما يمكن أن يقدم في الرتبة دون الحكم، كتقدم المفعول به على الفاعل، أو ما يمكن أن يقدم في الرتبة والحكم معًا، كتقديم رتبة المفعول وحكمه في باب الاشتغال إذا ما صار مبتدأ، كقولهم: زيد ضربته"(٣)، ولقد تلقف هذا المصطلح من جاؤوا من بعده.

ومنهم ابن جني؛ إذ أحدث في دراسته قفزات مضيئة؛ وعقد بابا في خصائصه تحت عنوان شجاعة العربيّة، أشار فيه إلى أن الشاعر الذي يرتكب تلك الضرورة ليس ضعيف اللغة أو عاجزًا عن الإتيان بما ليس ضرورة، بل ذلك لقوة في طبعه وثقة في قوله، وصوّره بمن يركب جواده بلا لجام، ويقدم على الحرب دون أن يدّرع، إدلالا بقوته وثقة بها(٤).

---

(١) الكشاف للزمخشري، ج:٢، ص:٩٢، وينظر أيضا دلالة المصطلح في المعاجم الآتيه أساس البلاغة للزمخشري مادة (ق د م)، ج:٢، ص٥٩، (أ خ ر) ج:١، ص:٢٢، لسان العرب، ابن منظور.

(٢) سورة: طه، آية:١٢٩.

(٣) الكتاب، ج:١، ص:٣٤، ٨١، ٨٢.

(٤) ينظر: الخصائص، ج:٢، ص: ٣٨٤- ٣٩٢

واتّبعه في ذلك ابن فارس، إذ ألمع إلى أنه من سنن العرب تقديم الكلام، وهو في المعنى مؤخر وتأخيره وهو في المعنى مقدّم، كقول ذي الرمة:

مَا بالُ عينِكَ مِنهَا المَاءُ يَنْسَكِبُ ... كَأَنّه من كلىً مَفْرِيَّةً سَرِبُ (١).

وقد جاء مثل ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلاَ فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيب}(٢)، وتأويله والله أعلم (ولو ترى إذ فزعوا وأخذوا من مكان قريب فلا فوت)... ومنه – أيضا – قوله تعالى: {وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى}(٣)

وتأويلها: (ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما)(٤)، وذكر أيضا الأنباري تعليقًا على قوله تعالى: {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى} (٥)، فالهاء في (نفسه) عائدة إلى موسى، إلا أنه لما كان في تقدير التقديم، و(الهاء) في تقدير التأخير جاز التقديم، وهذا كثير في كلامهم، وكذلك ههنا(٦)، لكن من التقديم والتأخير ما يحيل إلى فساد المعنى إن جاء التركيب متكلفًا، وفيه معاضلة، وقد أشار إلى هذا صاحب (سر الفصاحة)، حين أورد قول الفرزدق يمدح إبراهيم بن إسماعيل خال هشام بن عبد الملك:

وما مِثْلُه فِي النَّاسِ إلَّا مُمَلَّكًا ... أَبُو أُمِّه حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهْ(٧)

ففي هذا البيت من التقديم والتأخير ما قد أحال معناه وأفسد إعرابه؛ لأن مقصوده (وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملّكا أبو أمه أبوه) يعني هشامًا لأن أبا أمّه أبو الممدوح(٨).

ومن التقديم والتأخير أيضا قول الشاعر :

صَدَدْتِ فأطْوَلْتِ الصُّدودَ وقَلَّما ... وِصالٌ على طُول الصُّدُودِ يَدُومُ(٩)

أي: وقلَّما يدومُ وصالٌ على طُول الصُّدود.

هذا، وإن كان النحويون والبلاغيون قد أولوا هذه الظاهرة بعد سيبويه عنايتهم "فإن أحدا لم يبلغ

---

(١) ديوان ذي الرمة، ص: ١٠

(٢) سورة: سبأ، ص: ٥١.

(٣) سورة: طه، ص: ١٢٩.

(٤) الصاحبي ، ج:١، ص: ١٨٩

(٥) سورة: طه، ص:٦٧.

(٦) أسرار العربية للأنباري، ج: ١، ص: ١٥٠

(٧) البيت من الطويل، ينظر ديوان الفرزدق، مجيد طراد، ج:١، ص:١٠٨.

(٨) سر الفصاحة لابن سنان، ص: ١٢٨.

(٩) البيت على بحر الطويل، للمرار الفقعسي في ديوانه، ص: ٤٨٠.

فيها ما بلغه عبد القاهر الجرجاني، ولم يضعها في إطارها الصحيح وبشكل دقيق ناقد أو بلاغي عربي مثلما فعل الجرجاني؛ إذ إنه اكتنه أسرار التقديم والتأخير ، وكشف عن مخبّآته السلبية واستكشف مزايا التعبير فيه"[١]

وقد أشار الجرجاني إلى أن للتقديم فوائد لا تحصى، ومعاني جليلة لا سبيل إليها مع التأخير، يقول: "واعلم أن من الخطأ أن يُقسَّم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين، فيُجعل مفيدا في بعض الكلام وغير مفيد في بعض، وأن يعلّل تارةً بالعناية وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب حتى تطرد لهذا قوافيه ولذلك سجْعه، ذاك لأن من البعيد أن يكون في جملة النَّظم ما يدل تارة ولا يدل أخرى، فمتى ثبت في تقديم المفعول مثلا على الفعل في كثير من الكلام أنه قد اختص بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخير، فقد وجب أن تكون تلك قضية في كل شيء وكل حال"[٢].

ومما سبق يتبدّى للباحثة أن التقديم والتأخير ظاهرة أسلوبية تختص بها العربية، وهي دليل على أهمية الإعراب الذي لولاه لصارت اللغة جامدة، كما يتبدى – أيضًا – أن للتقديم والتأخير دلالات متعددة تنداح فيها الدائرة لتكون أكثر من كون التقديم دليلا على الاهتمام بالمتقدم.

إن ولوج ناقد النص إلى القصيدة وفي ذهنه هدف ثابت للظاهرة وغرض محدد لها، كلَّما وجدها ألبسها إياه قسرًا محرم كل التحريم في التشريع النقدي، غير أنه لابد أن يشير البحث إلى أن هناك حالات لا يجوز فيها التقديم والتأخير، أوردها ابن السراج في أصول النحو ومنها:

١- الصلة لا تقدم على الموصول.
٢- الصفة لا تقدم على الموصوف.
٣- المضاف إليه لا يقدم على المضاف.
٤- الفاعل لا يقدم على الفعل.
٥- معمول الأفعال غير المتصرفة لا يقدم عليها.
٦- معمول الصفات المشبهة بالفعل وأعمال الفاعلين لا يقدم عليها.
٧- التمييز لا يقدم على ناصبه.
٨- الحروف التي تدخل على الأسماء كحروف الجر وإن وأخواتها وغيرها، لا يقدم عليها معمولها.
٩- الحروف التي لها الصدارة، كالاستفهام والنفي ولام الابتداء لا يقدم ما بعدها عليها.
١٠- لا يفرق بين العامل والمعمول فيه بما ليس للعامل فيه سبب، وهو غريب عنه[٣].

---

(١) ينظر: النحو الدلالي، د. حمادة، ص: ٩٧
(٢) دلائل الإعجاز، ص:١١٠
(٣) أصول النحو، ج:٢، ص:٢٢٢- ٢٨٦.

وبالنظر إلى مرثيَّات حسَّان؛ نجده قد لوّن أبياته بتلك الظاهرة، واستغل إمكانات اللغة المتاحة في هذه الظاهرة ليقدم لنا شعرًا، يحوي إلى جانب صدق المعنى وعمق العاطفة تميز الصياغة وتفرد العبارة. إنَّ تَمَكُّن الشاعر لا يتأتى فقط من عذوبة الألفاظ وسلاستها، وإنما يضاف إلى ذلك قدرة الشاعر على تنسيق الدوالّ داخل التركيب؛ لتفيض المعاني انسيالًا، وإنا لواجدون ذلك في شعره بأشكال مختلفة وأغراض متباينة، يمكن حوصلة أهمها فيما يأتي :

١- حاز تقديم شبه الجملة على الفاعل ما عدده خمس عشرة مرة.

٢- يليه تقديم شبه الجملة على الفعل ثلاث عشرة مرة.

٣- تقديم شبه الجملة على الخبر في ثمان مرات.

٤- وعلى المفعول به ست مرات.

وقد كان ذلك في أبيات نذكر بعضها فقط؛ خشية التشعيب والإطالة:

ولا تنمحي الآياتُ من دارِ حرمةٍ ... بها مِنْبَرُ الهادي الذي كانَ يَصْعَدُ

بها حجراتٌ كانَ ينزلُ وسْطها ... مِنَ الله نورٌ يُسْتَضَاءُ، وَيُوقَدُ

ظلِلْتُ بها أبكي الرسولَ، فأسعدتْ ... عُيونٌ، وَمِثْلاها مِنَ الجَفْنِ تُسعدُ[1]

نلاحظ توظيف حسَّان التقديم لإثبات ما للمعالم من مكانة في قلبه وذكريات، ومن يتبصَّر الأبيات الآنفة يلحظ ذلك جليًا، فقد توخّى في البيت الأول (بها منبر الهادي) أن تكون الجملة فعلية منفية، دائرة في فلك المضارع، ومسندة إلى (الآيات) في قوله (ولا تنمحي الآيات)؛ لتأتي بعد ذلك التراكيب التي تؤكد مكانة هذه المعالم في نفسه ونفوس المؤمنين، وكل موصول بالمحبوب محبوب، ثم صدر شبه الجملة وقدمها على (حجرات) وليقدم الجار والمجرور (من الله) على لفظ (نور) الواقع فاعلًا، فتزداد قداسة هذا المكان؛ كون النور يفيض من الله ﷻ لا من غيره، وقداسة الدار تأتي من كونها للنبي ﷺ. أما عن مشاعره ومظاهرها؛ فقد تجلَّت في دموعه التي وظف التقديم والتأخير أيضًا ليعبر عنها بقوله (ظللت بها أبكي) وكأنه يقول إن البكاء بها يبلغ ذروته؛ لأن تلك المعالم تذكرنا بصاحبها، وهذا لا شك مألوف ومأنوس في حياتنا، قديمًا وحديثا وكأنما الآثار ناطقة، وربما قلت إن للآثار أرواحًا كما أن لأهلها روحًا، وقد وظف حسَّان تقديم شبه الجملة لإبراز مكانة الآثار، وقداستها بتنزّل النور من الله فيها، وكذلك انهمال الدَّمع بها واشتداد البكاء، في تنسيق عجيب بين الدّوالّ وترويض للغة، لتمنحه من عطائها طاقات تعبيرية تعد من لطائف المعاني، في أبيات سهلة سلسة النظام، مواتية كأنما أُفرِغَت إفراغًا وَاحِدًا، وسُبِكَت سَبْكًا واحدًا فقدّم وأخّر، وغيّر وبدّل، وعاث في الجملة كما يشاء وكما أراد، ويطول بنا المقام إذا استقصينا كل

(١) الديوان، ص:٩١

الأمثلة في هذا المعنى وتلك الدلالة. وفي قوله :

تذكَّــرُ آلاءَ الرسولِ، وما أرى ... لهَا مُحصِياً نَفْــسي، فنَفسي تبلَّدُ

وظف أكثر من تقديم لتستطيل معه الجملة الفعلية الدائرة في فلك المضارع المتكلم المصدرة بالنفي (ما)؛ ليكون النفي ممتدًا، فهو لم ولن يستطيع أن يحصي هو ولا غيره آلاء الرسول ونعمه. وتأويل البيت (تتذكر نفسي آلاء الرسول وما أرى محصيًا لها، فنفسي تبلّد)، إن التصرف في موقع الكلمات هنا بالتقديم والتأخير الذي نزع إليه حسَّان كائن بإحداث دلالة أعمق، ومغايرة بين الوظائف النحوية المختلفة، وهي قرينة أدرجها الدكتور تمام حسَّان ضمن قواعد التوجيه الضابطة لأسس النحو العربي[1].

أيضا نلاحظ تقديم خبر الناسخ (أصبح) على اسمه، وكسر معيار التركيب؛ ليجعل الخبر مركوزا، ويكرّس الإيحاء بعمق المعنى، وانظر قوله :

ضاقَت بِالانْصَارِ البِلادُ فَأَصبَحت ... سوداً وُجوهُهُــمُ كَلَــونِ الإِثــمِدِ[2]

لقد توخّى حسَّان هنا إسناد الضيق إلى البلاد بالنسبة للأنصار، فدار في فلك الفعل الماضوي، ليشي بأن الأمر ثابت، كما قدم الجار والمجرور (بالأنصار)، فأتى بها عقب الفعل (ضاقت)؛ ليربط الذهن بين الضيق والأنصار، وأتى بـ(بالأنصار) جمعًا ليشملهم وبـ(البلاد) جمعًا؛ ليشملها وكأنه لا بلد تسعهم، ولا أنصاري يستطيع العيش بعد ذلك، وتأتي النتيجة في الشطر الثاني سريعة دون تراخٍ عن طريق الأداة السحرية فاء العطف (فأصبحت) الموصولة بفعل التحول، ولإبراز حالة وجوههم، قدّم خبر (أصبحت) وهو (سودا) على اسمها وهو (وجوههم) موظفًا أكثر من تقديم وتأخير في البيت؛ ليجعل من الفجيعة غطاء كثيفا ملفوفا بالحزن المنكسر، فكان ذلك أبلغ في التأتي إلى كتل مكتنزة من الدلالة؛ ليثبت أن لغتنا العربية كائن عجيب، يبدو كأنه نبت الإنسان وعمله، وهو في الوقت نفسه وسيلة تعلّمِه وتعْلِيمه فيه نبتت وعليه سيطرت وهو مالك لها ومملوك.

---

(١) الأصول، تمام حسَّان ٢٠٨ – ٢٠٩

(٢) الديوان، ص: ٩٦.

المطلب الخامس

الحـــذف

لغة: ورد في مختار الصحاح حذف الشيء: إسقاطه. يقال: حَذَفْتُ من شَعْري ومن ذَنَبِ الدابَة، أي أخذت. والحُذافَةُ: ما حذفته من الأديم وغيره[١] و في معجم العين أن الحَذْفُ: قَطْفُ الشَّيْء من الطَّرَف كما يُحْذَف طَرَفُ ذَنَب الشّاة[٢].

وفي معجم الفروق اللغوية أن بين الحذف والاختصار عموما وخصوصا، فكل حذف اختصار، وليس كل اختصار حذفا[٣].

والحذف اصطلاحا: لا يبعد كثيرا عن معناه اللغوي ، إذ يرى أحد الباحثين أنه "ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية؛ حيث يميل الناطقون إلى حذف بعض العناصر المكررة في الكلام، أو إلى حذف ما قد يمكن للسامع فهمه اعتمادًا على القرائن المصاحبة"[٤]

غير أن هناك من خلط بين الحذف و الإضمار؛ ومنهم أبو حيان الأندلسي؛ إذ قال : "وهو موجود في اصطلاح النحويين، أعني أن يُسمَّى الحذفُ إضماراً" [٥]

وقد أخذ في ذلك أَخْذَتَه الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي، الذي قال: "وقد يستعمل كلٌّ منهما بمعنى الآخر كما يعلم بالاستقراء".[٦]

على حين نرى من عارض ذلك وثرّب على أصحاب الرأي الآخر رأيهم ، ومنهم الفارسي حيث يقول: "وقد يحذف حرفُ الجر، فيصل الفعلُ إلى الاسم المحلوف به وذلك نحو: اللهَ لأفعلنَّ، وربما أُضمِر حرفُ الجر، فقيل: اللهِ لأفعلنَّ"[٧].

واتبعه في ذلك ابن مَضاء القرطبي منبهًا بقوله: "الفاعل يُضمَر ولا يُحذَف"[٨] ، وذلك حيثما أمكن تقديره بضمير مستتر، فهم يقصدون بالمضمر ما لا بد منه، وبالمحذوف ما يمكن الاستغناء عنه.

---

(١) الصحاح ، ج:٤، ص١٣٤٢.

(٢) العين، ج:٣، ص:٢٠١.

(٣) ينظر:ج: ١، ص:١٨٠.

(٤) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، د. طاهر حمودة، ص:٤.

(٥) البحر المحيط، ج:١، ص:٦٣٤.

(٦) حاشية الشهاب (عناية القاضي وكفاية الراضي)، ج:١ ص:٢٧٨

(٧) الإيضاح في علم النحو، ص:٣٤٢.

(٨) الرد على النحاة، ص:١٣٠.

ومهما يكن من أمر؛ فإن الحذف وقع كثيرا في التراكيب القرآنية ، وهنا يأتي دور المفسرين، الذي يبيِّنون المعنى، فتقع الاجتهادات، و قد يكون التركيب حمّال أوجه .

والحذف ظاهرة لغوية تؤكد حيوية اللغة، وانسجامها مع واقع الحياة العملي الذي يجنح إلى السرعة، ويميل إليها بقوة، و لولا الحذف لصار كلامنا اللغوي تراكيب مرصوصةَ متشابهة مزدحمة.

وإذا كان للمقام دلالة على التعبير، فإن هذا لا ينفي أن للحذف بطبيعة الحال أغراضه الدلالية التي ألمع إليها قدماء النحاة والبلاغيون و ألفافهم، و يحدد ذلك السياق، و لعل أكثر ما يقع فيه الحذف من الأساليب هو أسلوب الاستفهام، الذي يتكئ في كلامنا على النغمة والسياق؛ فيسقط المتحدث أداة الاستفهام مستغنيا بالنغمة ، فتراه يقول مثلا: حضر المعلّم؟، أو المعلّم حضر؟، ناطقا اللفظ (حضر) بنبر معين يشي بالسؤال، فنبرة الصوت تدل على المعنى، كما سبق أن بيَّنَّا[1].

ولا شك أن اللغة العربية لغة الإيجاز" وعساك أن تقول : الحذف مخلٌّ بفائدة المحذوف، وتُغفِلَ أسرار الرمز على الكنز، و ربَّ صمت أفصح من فصيح الكلام، وغَمرٌ تقصر عنه أنياب السهام وجِدُّ الحُسام، وكم من إشارة هي قِلادةُ الجِيد، وكناية عن قاعدة التجويد، فإن اعتراك ريب؛ فعليك ببيتي الحماسة :

وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَا ... كَ مُنَازِلٌ كَعْبًا وَنَهْدَا

قَوْمٌ إذَا لَبِسُوا الحَدِيـ ... ـدَ تَنَمَّرُوا حِلَقا وَقِدَّا[2]

و التقدير: (هم قوم) ، ولو لفظ به لذهبت فخامته[3].

والشعراء أكثر المتكلمين حاجة للحذف؛ نظرًا لتكاثر المعاني وتكثيفها والتزامهم بتفعيلات البحر وانحصارهم به، ولقد جعل بعض العلماء الشعر مما يحسن الحذف فيه والإيجاز[4]، على حين أن هناك من الكلام ما يستدعي التطويل والإطناب، لأنه أنفع في المقام، كما في الخطب والمواعظ التي تلقى على العامة.

إن للحذف الجائز خاصة الذي لم يجبر عليه المتكلم – وهو مناط دراستنا – وظيفة مزدوجة؛ إذ ينشط الإيحاء ويقويه من ناحية، وينشط خيال المتلقي من ناحية أخرى[5]، فهو يستدعي فكر السامع، ليبحث عن المحذوف في أعطاف التركيب، وتضاعيف الجملة.

---

(١) الفصل الأول، ص: ٥٣

(٢) البيتان على بحر الكامل، وهما لعمرو بن معد يكرب، شرح ديوان الحماسة للتبريزي، ج:١، ص:٥٠.

(٣) التبيان في علم البيان للزملكاني، ص:١١٢.

(٤) الطراز للعلوي، ص:٨٩- ٩٠.

(٥) تأويل مشكل القران لابن قتيبة، ص:٢١- ٢٢٨

ويضاف إلى ذلك أيضًا ارتباط تلك الظاهرة بالبنية الإيقاعية، والوزن داخل البيت، واختيار الدوالِّ كما فعل الشاعر في المرثيَّات، فحذف التاء في (تذكَّر، وتبلَّد) تخفيفا؛ إذ إن أصلهما (تتذكَّر، تتبلَّد) "ومن هنا فإن حركة الفكر لا بد أن تتوافق معها حركة الصياغة؛ لإتمام هدف الإيصال والتأثير معا[١].

والحذف يتضافر مع غيره من الظواهر تأثرًا وتأثيرًا، سيّان كانت هذه الظواهر متعلقة بالمستوى الصوتي أو الصرفي أو المعجمي، ومن ثم لا يصل القارئ إلى المعنى المطلوب ولا يسبر غوره، أو يكتشف مُخبَّآته إلا إذا تناول الظاهرة في إطارها متآزرة مع غيرها؛ فـ"إنَّنا إذا عزلناها عن إطارها الفني وانتبذنا بها مكانا قصيا، فإننا لاشك قد نظلمها ظلما بيّنا يؤدي بنا إلى عدم فَهمِها، ونكون كمن قَنَع بنصيب أم الحليس"[٢] في الشاهد النحوي الشهير:

أمّ الحُلَـــيْسِ لَعَجُـــوزٌ شَـــهْرَبَة ... تَرْضَى مِنَ اللّحْمِ بِعَظْمِ الرّقَبَة" [٣]

هذا، ويمكن للباحثة أن تقول في اطمئنان إن عبد القاهر الجرجاني يُعَدُّ أول من بسط القول في الحذف ودلالاته وأفسح لذلك خمسًا وعشرين صفحة، ووسمه باب الحذف، واستكنه من ذلك لآلئ دفينة مشعة بالمعاني اللطيفة في منبع ثرّ ثريّ لا ينضب ماؤه شبيه بالسحر؛ إذ قال: "فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أَزْيَد للإفادة وتجدك أنطقَ ما تكون بيانًا إذا لم تُبِن"[٤] ولا شك أن ما أزجاه يعد قفزة كبيرة.

فالذكر هو الأصل، والحذف خلافه، وإذا دار الأمر بين الحذف وعدمه كان الحمل على عدمه أولى؛ لأن الأصل عدم التغيير، وإذا دار الأمر بين قلة المحذوف وكثرته؛ كان الحمل على قلته أولى[٥].

أما عن أنواع الحذف فقد قسمه ابن هشام إلى:

١- حذف الاسم: كحذف المضاف، والمضاف إليه، والموصول الاسمي، والصلة، والصفة، والموصوف، والمعطوف، والمعطوف عليه، والمبدل منه، والمؤَكَّد، والمبتدأ، والخبر، والمفعول، والحال، والتمييز، والاستثناء، وكذلك ما يحل محل المفرد من الجمل، كجملة الحال، والصفة، والخبر.

٢- حذف الفعل وحده، أو مع مضمر مرفوع، أو منصوب أو معهما.

٣- حذف الحرف أو الأداة، وذلك نحو: حذف العاطف، وفاء الجواب، وواو الحال، وقد، وما النافية،

---

(١) شعر عمر بن الفارض، دراسة أسلوبية رمضان صادق، ص:١١٥.

(٢) النحو الدلالي، د. حمادة عبد الإله، ص:٢٥.

(٣) البيت على بحر الرجز، وهو منسوب إلى عنترة بن عروس مولى بني ثقيف. وقيل: لرؤبة بن العجاج، شرح المفصّل، ج:٣، ص: ٣٢ ، والخزانة، ج:١٠، ص: ٣٢٣، الهمع، ج: ١، ص: ١٤٠.

(٤) دلائل الإعجاز للجرجاني ،ص: ١٠٦.

(٥) الزركشي: البرهان، ج: ٣، ص:١٠٤.

وما المصدرية، وأداة الاستثناء، واللام الموطئة، والجار، وحرف النداء، وأن النافية... إلخ.

٤- حذف الجملة: نحو حذف جملة القسم، أو جوابه، وجملة الشرط أو جوابه[١]

وبعد أن أشارت الباحثة إلى المعالم التي ستسير عليها، والصُّوى التي ستتهدى بها يمكنها بعد مطالعة المرثيَّات وتراكيبها، أن تُلَخِّص مواضع الحذف في الآتي:

حُذِف المنعوت في اثني عشر موضعا، والمفعول به في تسعة مواضع، والمبتدأ في ستة مواضع، وشبه الجملة في أربعة مواضع، والفعل في ثلاثة مواضع، والمضاف إليه في موضع واحد.

وإليك أسوق تفصيلًا لذلك:

حذف المبتدأ:

عمد حسَّان إلى إسقاط المبتدأ وتصدير الخبر في صدر القول، وإظهار الخبر النكرة في أربعة مواضع: (مفجعةٌ، إمامٌ، عفوٌ، عطوفٌ،)، والمضاف في موضع: (معلم صدق). والمعرفة في موضع واحد: (النبي المهتدي)، وهي كالتالي:

مفجَّعةٌ قدْ شفَّها فقدُ أحمدٍ ... فظلَّتْ لآلاء الرسولِ تعدِّدُ
إمامٌ لهمْ يهديهمُ الحقَّ جاهداً ... معلمُ صدقٍ، إنْ يطيعوهُ يسعدوا
عَفُوٌّ عن الزّلاّتِ، يَقبلُ عُذْرَهمْ ... وإنْ يحسنوا، فاللهُ بالخيرِ أجود
عطوفٌ عليهمْ، لا يثنِّي جناحهُ ... إلى كَنَفٍ يَحْنو عليهم وَيَمْهِدُ[٢]

والحقيقة أن هذا الضرب من الحذف قد ورد في القرآن الكريم لأغراض متنوعة، ففي قوله تعالى: {فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيم}[٣]، والأصل أنا عجوز فكيف أَلِدُ؟ فقد أسقط المبتدأ هنا؛ لأن المقام مقام مفاجئة وبشرى، ومثله تمامًا حين يدخل الابن على أهله ليزفَّ النتيجة فيقول من فرحته (نجحت) أو (ناجح)، والأصل (أنا نجحت)، (أنا ناجح).

ويمكننا إدراك مدى الفارق في الدلالة بين ذكر المبتدأ وحذفه، فإذا قلنا (هو معلم) (هو إمام) (هو عفوٌ)... فسنلحظ ترهلا في التركيب موشًى بالبطء والتواني، وهذا مالا نحسه في الجمل التي انتخبها الشاعر، فقد وظفها بطريقة رائعة تكشف مزايا التعبير بالحذف والاختزال.

---

(١) مغني اللبيب، ابن هشام، ج: ٢، ص:١٦٢-١٧٦. بتصرف، وينظر: الخصائص، ابن جني: ج:٢، ص:٣٦٢-٣٨٣، البرهان، الزركشي، ج:٣، ص:١٩٤، الإتقان، السيوطي، ج:٣، ص:١٨٤-١٩٢.

(٢) الديوان، ص:٩٢ – ٩٣.

(٣)سورة: الذاريات، آية :٢٩.

كما أن العناية هنا أُسلِمتْ للخبر، وتوجهت إليه فرسخت في ذهن القارئ، وكانت أول ما تصادف القارئ وتشغل ذهنه وهذا ألطف في التأتي إلى المراد، والوصول إلى دلالة لا يستطيع المتلقي الفكاك من أسرها – أو هكذا بدا للباحثة – ففي قوله: (مفجعة قد شفّها فقد أحمد)، (مفجَّعة) التي أتت على صيغة اسم المفعول، وبما نعرفه ما لصوتي الجيم والعين من وقع، فهي تحمل هول المصاب وعظم الرزء الذي نزل بنفسه وحل بها، وضاعف هذا المعنى كونها مصدرة بعد إسقاط المبتدأ، فلم يدع السياق للمتلقي مجالًا إلا أن يعايش الشاعرَ إحساسَه، وقد يوظَّف هذا الحذف ليُبرِز صفات النبي ﷺ، وهذا ما نجده مكرورًا بشكل واضح لا تخطئه النظرة العَجْلى، خصوصًا أن الأبيات أتت كما الدرر في التقْصَار أو القلادة يزمها خيطها، فالنبي ﷺ إمام، عفو، معلم، عطوف، هو النبي المهتدي.

حذف المفعول:

كثر حذف المفعول عند حسَّان في القافية، فهو أحيانًا يطّرح المفعولَ به، ويكتفي بذكر الفعل في القافية؛ لتخلُص العناية بالفعل ويُلقى عليه الضوء، متوخيًا صيغة المضارع المسند للنبي ﷺ، وكأنما يعنينا هنا ما قام به وما اتُّصف، كما في فوله:

ولا تنمحـــي الآيـــاتُ مـــن دارٍ بها مِنْبَرُ الهادي الذي كانَ يَصْعَدُ

ففي (يصعد) حذف المفعول (ضمير الغائب)، ويكون تقدير الفعل به: (يصعده).

وفي الحقيقة إن هذا النمط من الحذف موجودٌ في القرآن في فواصل الآيات ، وانظر قوله تعالى: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} [(١)]، أي: وما قلاك، وقوله تعالى: {إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى} [(٢)]، والأصل: يخشاه، إن ثمة شعورا انتاب الشاعر تجاه النبي ﷺ فدفعه إلى تناسي المفعول به، مع أنه معلوم لديه ومأنوس، لكنه سرق علم ذلك من نفسه، ودفع صورته عن وهمه؛ ليَعُد ذلك بوحًا منه أن نبينا ﷺ (يصعد، ينقذ، يرشد) فالمعنى يدفعك إلى عدم النطق بالمفعول به لتمنح الفعل شحنة مكثفة قوية التركيز والتداعي، ولعلّني لا أُبعِدُ النُّجْعَة، وأُقرِّب الإحساس بهذا المعنى لديك حين تتمثّل صاحبًا يحكي عن فقيد له، ويقول (كان يُصلِّي ويحج ويتصدق)، ألا ترى أنه لا داعي لذكر المفعول؛ لأن القائل يُعنى بالفعل المراد إثباته دون المفعول، وهذه المتواليات من الأفعال تذكرنا بمتواليات سورة النجم، في قوله ﷻ: {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى، وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا، وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى، مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى، وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى، وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى } [(٣)].

---

(١)سورة: الضُّحى ، آية :٣.

(٢)سورة : طه، آية:٣.

(٣) سورة: النجم، آية: ٤٣ –٤٨.

وتأتي بعد الأفعال السابقة التي أخلصها للنبي ﷺ أفعال أخرى أخلصها لنفسه ولغيره من جموع الصحابة، وهي:(أسعدت، أقول، ناب)، لكنه لما كان يشغل باله ذكر صفات النبي كانت لأفعاله الهيمنة دون غيرها في الذكر، فجاءت أضرب الأبيات موشاة بها وملونة.

حذف المنعوت:

في الحقيقة إن ذكر الموصوف حين تدل الصفة عليه ويصح أن تقوم مقامه، يعد قبحًا في الكلام، وهذا النمط من الحذف موجود في القرآن، كما في قوله تعالى: {وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ}(١)، وأيضًا قوله تعالى: {وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيم}(٢)، فالأصل (يا أيها الرجل الساحر) و(فديناه بكبش ذبح عظيم)، وليس ذلك مفاده الاختصار فقط، بل ليشي بأن (هذا الكبش لم يعد كبشًا بل صار ذبحًا)، وكأنما نُسِيَ الأصل وهو (الكبش) ليصير (الذبح) لازمًا للمسمى، ومثال ذلك أيضًا قوله تعالى: {يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ}(٣)؛ حيث صار الوصف هو الملازم للشخص، وكان ذلك أبلغ، وتبقى المعاضلة حين يحذف الموصوف وليس هناك ما يدل عليه من السياق، فيقبح الحذف وقتها، ألا ترى حين نسمع قول القائل: (صادفت عظيمًا) يحار الذهن في المنعوت هنا لأنه مبهم، وبتبصر أبيات حسَّان نلفيه قد اتخذ السلاسة نهجة؛ فالتراكيب في شعره تنساب انسياب صفحة الغدير المصقول، مُوظِّفًا هذا النمط توظيفا رائعًا حين قال:

جزَعاً عَلى المَهدِيِّ أَصبَحَ ثاوِياً ... يا خَيرَ مَن وَطِئَ الحصى لا تَبعُدِ

فقد توخّى حسَّان حذف المنعوت أو الموصوف، وإبراز الصفة ليصرف النفوس إليها، وتَتوَفَّرُ العناية بها، فهو ﷺ المهدي، وكأن الصفة صارت علَمًا لانحصار الضوء فيها، وكذلك في (المساكين)، حذف المنعوت (القوم)، في قوله:

نَبِّ المَساكينَ أَنَّ الخَيرَ فارَقَهُم ... مَعَ النَّبِي تَوَلَّى عَنهُمُ سَحَرَا

حذف شبه الجملة:

قد تدفع حسَّان أحيانا القافية إلى التخلي عن شبه الجملة؛ فيدل ذلك على عموم التركيب والإسناد كما في قوله :

---

(١) سور: الزُّخرُف، آية:٤٩.

(٢) سورة: الصافات، آية:١٠٧.

(٣) سورة: يوسف، آية:٤٦.

وَرَاحُوا بحُزْنٍ ليس فيهِمْ نَبيُّهُمْ ... وَقَدْ وَهَنَتْ منهُمْ ظُهورٌ، وأعضُدُ
عطوفٌ عليهمْ، لا يشِّي جناحهُ ... إلى كَنَفٍ يَحْنو عليهم وَيَمْهِدُ[1]

ففي هذه الجملة الفعلية الدائرة في فلك المضارع (يحنو عليهم) والمسند فيها الحنو إلى النبي ﷺ، يتضاعف فيها المعنى حين يعطف المضارع (يَمهِد) دون مكملاته من شبه الجملة؛ فكأنه يقول: (يمهد لهم ولغيرهم)، وهذا معنى أكمن فيه الشاعر للمتلقى دلالة أعمق، لم يكن يتبينها إلا المتأمل الواعي والمدرك البصير.

حذف جواب الشرط:

يضاف إلى ذلك حذف جواب الشرط اعتمادًا على ما سبقه من سياق، وقد تبدَّت هذه الظاهرة في أربعة مواضع من المرثيَّات، ومنها:

وأبذلَ منهُ للطَّريفِ وتالدٍ ... إذا ضَنَّ مِعْطاءٌ بما كانَ يُتْلِدُ
وأكرمَ حيًّا في البيوتِ، إذا انتمى ... وأكْرمَ جداً أبطحيًّا يُسَوَّدُ
مَن ذا الَّذي عِندَهُ رَحلي وَراحِلَتي ... وَرِزقُ أَهلي إِذا لَم يُؤنِسوا المَطَرا[2]

فالأصل في البيت الأول: (إذا ضنَّ معطاء بما كان يتلد فهو أبذل منه للطريف وتالد)، والبيت الثاني: (إذا انتمى فهو أكرم حيًا)، والبيت الثالث: (إذا لم يؤنسوا المطر فعنده رزقهم).

وهذا نوع من أنواع الاختصار في الكلام أدعى إلى البلاغة، التي تحول دون التكرار، ومثال ذلك في كتاب الله، قال تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين}[3]، وجواب الشرط هنا محذوف وتقديره: (إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين)[4]، ويدلّ على هذا المحذوف قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين}.

وإنك لواجد ذلك فيما أزجاه حسَّان في قوله:

أم مَن نُعَاتِب لا نَخشى جَنادِعه ... إذا اللِّسَان عَتا في القَولِ أَو عَثَرا[5]

فجواب الشرط بينه السياق قبله، فأصل الكلام (إذا اللسان عتا في القول أو عثرا، فلا نخشى جنادعه).

---

(١) هذا البيت وسابقيه من الديوان، يراجع: ص: ٩٦، ص:١٣٥، ص:٩٢، ص: ٩٣، على التوالي

(٢) السابق، ص: ٩٢، ٩٣، ٩٥، ١٣٥.

(٣) سورة: الأحقاف، آية:١٠.

(٤)الكشاف، ج:٥، ص: ٤٩٥.

(٥) الديوان، ص:١٣٥.

المبحث الثاني

التركيب الإنشائي

- **المطلب الأول: أسلوب الاستفهام**
- **المطلب الثاني: أسلوب النداء**

المطلب الأول

أسلوب الاستفهام

الاستفهام لغةً: مصدر مشتق من الفهم، : يقول ابن قتيبة (٢٧٦هـ):" و استفهمته: سألته"[١].
ومنهم من لم يفرّق بين الاستفهام والاستخبار، مثل ابن فارس(٣٩٥هـ) تراه يقول:" الاستخبار: طلب خبرٍ ما ليس عند المستخبر، وهو الاستفهام"، ثم يقول :"وذكر ناس أن بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق قالوا:
"وذلك أن أُولى الحالين الاستخبار؛ لأنك تستخبر فتجاب بشيء، فربما فهمته، وربما لم تفهمه فإذا سألت ثانية، فأنت مُسْتَفْهِم، تقول: أفهمني ما قلته لي؟ قالوا: والدليل على ذلك أنّ البارئ يُوصَفُ بالخُبْرِ، ولا يُوصَفُ بالفهم" [٢] ويرى الثّمانيني (٤٤٢هـ) أن كلّ ما في القرآن بلفظة الاستفهام، هو من هذا القسم؛ لأنّ الله لا يجوز أن يستفهِم ولا يستخبِر ولا يستعلم، ويجوز أن يوبّخ ويقرر ويبكّت"[٣]

وعلى كل، فالاستفهام هو طلب فهم الشيء وتَعُقُّلِه، وهو لا يختلف عن تعريف النحويين كما يقول ابن منظور (٧١١هـ):"الفَهْمُ: معرفتك الشّيء بالقلب. فَهِمَهُ فَهْمَاً وفَهَمَاً وفَهَامَة :عَلِمَه. وفَهِمْتُ الشّيءَ: عَقَلْتُه وعَرَفْته، وفَهَّمتُ فلاناً وَأَفْهَمْتُه، وَتَفَهَّمَ الكلامَ: فَهِمَه شيئاً بعد شيء. ورجلٌ فَهِمٌ: سريعُ الفَهْم، ويقال: فَهْمٌ وفَهَمٌ. وأفهَمَه الأمر وفَهَّمه إيّاه: جعله يَفْهَمه. واستفْهَمْه: سأله أن يُفَهِّمَه. وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهّمته تفهيماً" [٤]. ويفهم من هذا أَنَّ الاستفهام في اللغة: هو طلب الفهم ، ويذكر السيوطي (٩١١هـ) أن الاستفهام هو:" طلب الإفهام"[٥]. ويتبدى للباحثة أن هناك فارقا لفظيا فوق هذا الفارق المعنوي بين الاستفهام والاستخبار؛ إذ إن الاستفهام يكون بأدوات مخصوصة، استعملها العرب في كلامهم وهي (الهمزة، وهل، ومن، وما، ومتى، وأين، وكيف، وكم، وأيَّان، وأيّ)، على حين أن الاستخبار طلب مالا يعلم بغير هذه الصيغ، كقولنا: أعلمني أو أخبرني لمن طلبت منه الاستخبار، وكل استفهام ليس بالضرورة طلبًا للفهم، وليس كل طلب للفهم استفهاما، ألا ترى قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ}[٦].

---

(١) أدب الكاتب، ص:٢٦٩.
(٢) الصّاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أحمد بن زكريّا بن فارس، ص:١٨١.
(٣) شرح كتاب اللمع في العربية، أبو القاسم الثّمانيني، ص:٣٥٥.
(٤) لسان العرب. ابن منظور، مادة (ف هـ م) ج:١٠، ص:٣٤٣
(٥) الإتقان في علوم القرآن، السّيوطيّ، ج١،ص٢٩٤.
(٦) سورة: المائدة، ص:١١٦.

والاستفهام نمط من التركيب له الصدارة، فلا يمكننا – مثلا – أن نقول : نقدم البحث للمناقشة متى ؟، لأننا بدأناه بجملة خبرية، ثم ختمناه باستفهام، وفي هذا تناقض.

و الاستفهام يندرج ضمن الأساليب الإنشائية الطلبية، و هو – لاشك – لا نستغني عنه في تواصلنا مع غيرنا في حياتنا اليومية، سواءٌ كان هذا الاستفهام على حقيقته في معرفة المطلوب، أو خرج لأغراض أخرى من تعجب أو استنكار أو إظهار حزن أو تقرير أو نفي.

وقد تناول سيبويه أدوات الاستفهام فيما عرّج عليه من أن من الأدوات ما لا تدخل إلا على الفعل، وقبح دخولها على الاسم، إلا للضرورة يقول فيما بني على الفعل: وهو بابُ الاستفهام وذلك أنّ من الحُروفِ حُروفاً لا يُذْكَرُ بعدها إلاّ الفعلُ ولا يكون الذى يَليها غيرُه، مُظهَراً أو مُضْمَراً لأنّها إنما وُضِعَتْ للأفعال، إلاّ أنّه جاز في تلك الأحرف التأْخيرُ والإضمارُ، لكنهم أتوا بعدها بالأسماء والأصلُ غيرُ ذلك، ألا ترى أنّهم يقولون: هَلْ زيدٌ منطلقٌ، وهل زيدٌ في الدار، " وكيف زيدٌ آخِذٌ ". فإن قلت: هل زيداً رأيتَ وهل زيدٌ ذهب، قَبُحَ ولم يَجُزْ إلاّ في الشعر".[1]

والاستفهام كما ذُكر سابقا يُؤَدَّى بحروف، هي: (الهمزة، وهل، وأم)، وأسماء، منها: (متى، وأين، وكيف، كم)، و تتميز الهمزة عن غيرها، فهي أصل أدوات الاستفهام، ويطلب بها التصوير، كما يطلب بها التصديق، فنقول في التصديق : أفهمت درس النحو؟ ، ونقول في التصوير: أتفضل النحو أم الأدب؟ وغيرها كـ(هل) تأتي للتصديق فقط، أما (متى وكيف ومن وما) وغيرها فيأتي للتصوير فقط، كما أنه لا يقدر غير الهمزة عند الحذف [2].

أما المرثيَّات فقد ورد فيها أسلوب الاستفهام في ستة مواضع، وهي:

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا ... كُحِلَتْ مَآقِيهَا بِكُحْلِ الأَرمَدِ

وَمَالَكِ لَا تَبْكِينَ ذَا النِّعْمَةِ الَّتِي ... عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يَتَغَمَّدُ

مَنْ ذَا الَّذِي عِنْدَهُ رَحْلِي وَرَاحِلَتِي ... وَرِزْقُ أَهْلِي إِذَا لَمْ يُؤنِسُوا الْمَطَرَا

أَمْ مَنْ نُعَاتِبُ لَا نَخْشَى جَنَادِعَه ... إِذَا اللِّسَانُ عَتَا فِي الْقَوْلِ أَوْ عَثَرَا

وَهَلْ عَدَلَتْ يَوْمًا رَزِيةُ هَالِكٍ ... رَزِيةَ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ مُحمَّدُ

أَأُقِيمُ بَعْدَكَ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ ... يَا لَيْتَنِي صُبِّحْتُ سُمَّ الْأَسْوَدِ[3]

---

(١) الكتاب ج: ١، ص:١٠٠

(٢) ينظر: الكتاب ج:٣، ص:١٨٧ – ١٨٩، مغني اللبيب، ج:١، ص:١٥، همع الهوامع، ج:٢، ص:٦٩.

(٣) الديوان، ص: ٩١– ٩٨، ص:١٣٥.

ويمكننا أن نستخلص من سياقات الجمل الاستفهامية ما يلي:

١- قلة الجمل الاستفهامية بالنسبة لاستخدامه الجمل الخبرية؛ حيث أنه لم يلجأ إلى الاستفهام إلا ست مرات فقط، وربما يشي هذا بحاجته إلى تقرير الحزن والفجيعة بالأخبار مباشرة.

٢- استهل حسَّان بعض قصائده بالاستفهام، كقوله: ما بال عينك لا تنام، وهو في هذا يجري على سَنَن بعض من سبقه من الشعراء، ويتهدى طريقتهم في الأداء، ومنهم زهير ابن أبي سلمى، الذي يقول: **أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ؟ ... بِحَوْمَانَةِ الدُّرَّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ**(١)

والأعشى في معلقته:

ودّعْ هريرةَ إنْ الركبَ مرتحلُ ... وهلْ تطيقُ وداعاً أيها الرّجلُ؟(٢)

فقد استهلوا معلقاتهم بالاستفهام، والأعلى من هذا كلام اللهﷻ في كتابه الكريم، حيث بدأت بعض السور بالاستفهام، ففي قوله تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ} (٣)، أُستُهِلَّت السورة باستفهام، ولعل هذا الاستهلال يُخرِج المعنى بشكل أبلغ وأعمق من الإخبار المباشر، ويثير ذهن القارئ أو المستمع، كما يشركه في الحوار ويدفعه للتواصل.

٣- تنوعت أغراض الاستفهام في المرثية فمنها ما كان غرضه النفي، ومثال ذلك:(وهلْ عدلتْ يوماً رزيَّةُ هالكٍ؟)، وهذا شبيه بقوله عزّ وجلّ: {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ} (٤) ومنها ما كان غرضه الأمر، ومثال ذلك قوله: (ومالكِ لا تبكينَ ذا النِّعمةِ؟)، ومخاطبة غير العاقل هنا تكشف عن مدى فداحة المصاب وفظاعته، ومن أغراض النفي التحسر والحزن ومثاله: (أَأُقيمُ بَعدَكَ بِالمَدينَةِ بَينَهُم؟)، ومن أغراضه أيضًا الحيرة والاضطراب كقوله: (ما بالُ عَينِك لا تَنامُ؟)، ومنها ما كان غرضه المدح والتعظيم، ومثال ذلك: (مَن ذا الَّذي عِندَهُ رَحلي وَراحِلَتي؟)، وأيضًا قوله: (أم مَن نُعَاتِب لا نَخشى جَنادِعه؟)

٤- بمقارنةٍ بين الجملتين الاستفهامية الاسمية والفعلية، وُجِد أن الشاعر أتى بالفعل بعد أداة الاستفهام ثلاث مرات، فيما نسبته ٥٠ %، موافقًا ما قاله النحاة بأن الأصل دخول الأدوات على الفعل، وكسر المعيار في نصف ما ذكره بدخول الاستفهام على الاسم مباشرة.

---

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى، بحر الطويل، ص:١٠٢.

(٢) ديوان الأعشى، بحر البسيط، ص:٥٥.

(٣) سورة: الغاشية ،آية :١.

(٤) سورة: فاطر ، آية:٣.

المطلب الثاني

أسلوب النداء

ذكر المبرد في مقتضبه أن المنادى في أصله مفعول به، فقال: "وانتصابه على الْفِعْل الْمَتْرُوكِ إِظْهَارُه وَذَلِكَ قَوْلك يَا عبد الله، لِأَن (يَا) بدلٌ من قَوْلك (أَدْعُو) عبد الله "[1] ومن المعروف أن المنادى على ثلاثة أضرب، علم مفرد، وتحته المعرفة والنكرة، ومضاف، ومشابه المضاف، يقول ابن جني: "الْأَسْمَاء المناداة على ثَلَاثَة أضْرب؛ مُفْرد ومضاف ومشابه للمضاف، والمفرد على ضَرْبَيْنِ معرفَة ونكرة، والمعرفة أَيْضا على ضَرْبَيْنِ أَحدهمَا مَا كَانَ معرفَة قبل النداء ثمَّ نُودي فَبَقيَ على تَعْرِيفه نَحْو: (يَا زيدُ، وَ يَا عَمْرو)، وَالثَّانِي: مَا كَانَ نكرَة ثمَّ نُودي فَحدث فِيهِ التَّعْرِيف... نَحْو يَا رجلُ وكلا الضربين مَبْنِيّ على الضَّم ... وَأما النكرَة؛ فمنصوبة بـ(يَا) لِأَنَّهُ نَاب عَن الْفِعْل أَلا ترى أَن مَعْنَاهُ أَدْعُو زيدا ... وَكَذَلِكَ الْمُضَاف أَيْضا مَنْصُوب نَحْو يَا عبدَ الله ...، وَكَذَلِكَ المشابه للمضاف من أجل طوله"[2]

وقد يحذف حرف النداء لغرض دلالي، يقول ابن الأنباري تعليقا على قوله تعالى: {ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ}[3]، "والتقدير فيه: (ثم أنتم يا هؤلاء تقتلون) و(تقتلون) هو الخبر، ثم حذف حرف النداء كما قال تعالى: {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا} (٤)، وكما قال تعالى: {يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ} [5] وحَذْف حرف النداء كثير في كلامهم"[6] وقد ألمع السمين الحلبي في تفسيره إلى أن حرف النداء فيه تعظيم المنادى وتنزيهه، ونَقَل عن مكيٍّ قوله: "ونداء الربِّ قد كَثُر حَذْفُ (يا) منه في القرآن، وعلّةُ ذلك أن في حذف (يا) من نداء الرب معنى التعظيم والتنزيه، وذلك أنَّ النداءَ فيه طَرَفٌ من معنى الأمر؛ لأنك إذا قلت: يا زيد فمعناه: تعالَ يا زيد، أدعوك يا زيد، فحُذِفت(يا) من نداء الرب ليزولَ معنى الأمر وينقص لأنَّ (يا) تُؤَكِّده وتُظهر معناه فكان في حذف (يا) الإجلالُ والتعظيم والتنزيه"[7].

ومهما يكن من أمر؛ فإن أسلوبَ النداء ورد في مرثيَّات حسَّان إحدى عشرة مرة، ومن أمثلتها:

---

(١) المقتضب، ج:٤، ص:٢٠٢.

(٢) اللمع في العربية ١٠٦/١

(٣) سورة: البقرة، آية:٨٥.

(٤) سورة: يوسف، آية: ٢٩

(٥) سورة: يوسف، آية: ٤٦

(٦) الإنصاف في مسائل الخلاف ج:٢، ص: ٥٩١ .

(٧) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ج: ٤، ص:٢٨٦ .

يا بِكـرَ آمِنَةَ المُبـارَكِ بكْرُهـا ... وَلَدَتـه مُحصَنَـةً بِسَعـدِ الأَسعُـدِ

يـا رَبِّ فَاجمَعنـا مَعـاً وَنَبِـيَّنـا ... فـي جَنَّـةٍ تَثنـي عُيـونَ الحُسَّـدِ

يـا وَيـحَ أَنصـارِ النَبِـيِّ وَرَهطِـهِ ... بعدَ المُغَيَّـبِ في سَـواءِ الملحَـدِ

وجاء مثالٌ واحد محذوفةٌ (ياء) النداء فيه، والأصل فيه (يا لهفي)، هو:

وجهي يَقيكَ التُربَ لَهفـيَ لَيتَني ... غُيِّبـتُ قَبلَكَ في بَقيـعِ الغَرقَـدِ[1]

ويمكننا حوصلة النتائج وَفقًا لنسب الحصر فيما يلي:

– أتت (ليت) بعد حرف النداء[2] في قوله : (يا ليتنا يوم واروه بملحده)؛ ليُشْرَب النداء هنا بالحسرة؛ فهو يشي بتملّك الحسرة فيه لفقد الحبيب، وبانشغاله بتمني فدائه ﷺ.

كان لنداء الشاعر النبي ﷺ نصيبًا في مرثيَّاته، وقد توخّى فيه أن يكون المنادى مضافا (يا من وطئ الحصى)؛ ليعطي المنادى شحنة إضافية من التبجيل وإظهار المكانة، وقد كان المضاف على صيغة التفضيل بـ(خير)، ليضاعف ذلك من التكريم للنبي ﷺ.

– يجيء في المرتبة الثالثة نداء الشاعر ربه يلوذ بجنابه؛ ليخفف عنه هول الفجيعة وعظم الرزء، فتراه يقول مرة (يا ربّ) وأخرى (يا ذا الجلال) وقد عمد إلى اختيار الربّ لما فيها من الرعاية والحنان، ولم يقل (يا الله)، ألا ترى في خطاب الله ﷻ سيدنا موسى عليه السلام مَايَز بين لفظ الجلالة (الله) ولفظ (ربّ) حسب السياق: قال تعالى: {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى، إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ} إلى قوله تعالى:{إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي} [3] فاختار كلمة (ربُّك) في البداية؛ لتناسب حالة موسى إذ كان خائفا، فتَسْكُب في نفسه الطمأنينة أما عند التشريع والأمر والنهي؛ فقد اختار لفظ الجلالة (الله)؛ لمناسبتها للسياق؛ لأن كلمة (رب) فيها رعاية، وقوله (يا ذا الجلال) تناسب جلال الموقف، فإذا كان للموت هيبته وللفقد جلالته فإن هناك الله الأجل.

– حظي نداء غير العاقل بنصيب في مرثيَّاته؛ فقد جاء مرتين منها قوله: (فبكي رسول الله يا عين)، وقد قصد العين بالذات؛ لأنها موطن الحزن، ومن ثم يتضح لنا كم الفجيعة التي تغيَّا الشاعر إبرازَها، فبدت لنا المأساة ملفوفة بنوبة من عدم تصور الحياة بعد فقد الحبيب، وذلك بعد هذا العدد من النداءات المتنوعة قوية الشَّحن والتداعي.

---

(١) الديوان، ص: ٩٦.

(٢) يرى بعض النحاة أن يا هنا دخلت على ليت وهي حرف وليست اسما، وفي هذا دلالة على مباشرة حرف النداء للحرف حيث يحذف المنادى، وقيل أن يا في هذا الموضع حرف نداء لا حرف تنبيه، كما في قوله يا ليت قومي يعلمون، أوضح المسالك ج:١، ص:٤٠

(٣) سورة: طه، آية: ١١– ١٤.

المبحث الثَّالث

الظَّواهر الدِّلَالِيَّة

- **المطلب الأول: الترادف.**
- **المطلب الثاني: التقابل الدلالي.**

المطلب الأوّل

الترادف

ذكر صاحب تهذيب اللغة أن الترادف من الرّدف، والرِّدف ما تبع شيئًا فهو رِدْفه، وإذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف[١]، وترادف الكلمتين أن تكون بمعنى واحد وكذلك ترادف الكلمات.[٢]

وتُعدُّ ظاهرة الترادف، وغيرها من الظواهر اللغوية سمة من سمات اللغة العربية التي فاقت غيرها من اللغات فيها، ويأتي الترادف على رأس هذه الظواهر التي نالت عناية القدماء اللغويِّين قديمًا وحديثا، وتبرز أهمية الترادف في أنه يمنح الكاتب أو الأديب معجمًا ثرًا من الألفاظ؛ ليتيح له الفرصة أن يمتاح منها ما يناسب المقام ليفي بالمعنى الدقيق المراد إيصاله، كما أنه يثير المتعة لدى الكاتب، ويدفع السأم عن المتلقي، خصوصًا إذا كانت الألفاظ سهلة سلسة منسابة غير مهجورة، ويمنحُ الكاتبَ فرصة لاختيار اللفظ الجليِّ، واطّراح اللفظ الخفيِّ، وهو من أصناف البديع والتوسع في سلوك طرق الفصاحة وأساليب البلاغة، ومن خلاله يتيح لهواة السجع والقافية والتجنيس والترصيع أن يلبُّوا في ذلك ما يرومون إليه، وقد ذهب بعضهم إلى أن الترادف على خلاف الأصل، والأصل هو التباين، ذكرَ ذلك السيوطي في مُزْهِرِه "[٣]، والحق أن الترادف" جعل اللغة العربية واسعة التعبير غنية في أصول كلماتها على معان متشعبة قديمة وحديثة؛ فقد أتيح للغة القرآن من الظروف والعوامل ما وسّع طرائق وأساليب اشتقاقها وتنوّع لهجاتها، فانطوت على محصول لغوي لا نظير له في لغات العالم[٤] ، ولكن بعض العلماء القدامى ينكرون وقوع الترادف في العربية، وفي إنكارهم معنىً أخطر كثيرا عما يتصوره أي باحث، فلا سبيل إلى القول بانفراد العربية وكثرة المفردات وسعة التعبير[٥] أما من أنكر ذلك؛ فقد ورد في الصاحبي قول ابن فارس "يسمى الشيء الواحد بأسماء مختلفة نحو: السيف والمهند والحسام، والذي نقول في هذا إن الاسم واحد، وهو السيف، وما عداه من الألفاظ صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها معناها غير معنى الأخرى "[٦] ومن قبله ذهب أستاذه ثعلب إلى مثل هذا؛ فكان يرى أن ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات[٧].

---

(١) تهذيب اللغة، ج:١٤، ص: ٦٨. لسان العرب ٩/ ١١٤

(٢) المعجم الوسيط، ج: ١ ، ص: ٣٣٩.

(٣) المزهر في علوم اللغةج: ١، ص: ٣١٩.

(٤) دراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح، ص: ٣٤٣.

(٥) دراسات في فقه اللغة، لصبحي الصالح، ص: ٣٩٥

(٦) الصاحبي ص:٦٥.

(٧) المزهر، ج:١، ص:٤٠٣.

وعلى كلٍّ؛ فإن الباحثة ترى أن إنكار الترادف يقتل الثراء، ويسلب العربية سمة تنماز بها عن غيرها من اللغات، كما أن لكل كلمتين مترادفتين في الواقع منطقة مشتركة في المعنى، ولا ننكر أن لكل واحدة منهما ضاحية خاصة بها بعيدة عن مركز المشترك، وقد ذكر تمام حسَّان أن اختلاف ظلال المعنى بهذه الصورة مَطعَن خطير في فكرة الترادف، كما يرى أن كل اسم من أسماء السيف يستقل بملحظ خاص[١].

ويرى الدكتور رمضان عبد التوّاب أنه رغم ما يوجد بين لفظة مترادفة وأخرى من فروق أحيانا؛ فإننا لا يصح أن ننكر الترادف مع من أنكره جملة؛ فإن إحساس الناطقين باللغة كان يعامل هذه الألفاظ معاملة المترادف "[٢]

ولعمري إن هذا ما يطابق الواقع المأنوس؛ فإننا واجدون طلابنا في دراستهم المتقدمة يفسرون (الريب) بـ(الشك) ويقولون إنَّ (ينتاب) بمعنى (يصيب)، مثلاً . وهذا ما يجنح إليه البحث.

وأما عن سبب مجيء الكلمتين في الترادف معًا إن كان ثمَّة اتفاق من جميع النواحي، فإنه يتمثل في كون:

١- أحد اللفظين أكثر استخدامًا من الآخر كما في (سيف وحسام) فلفظ (سيف) تستخدم أكثر من لفظ (حسام).

٢- أحد اللفظين أكثر شمولا من الآخر كما في (بكى وانتحب).

٣- أحد اللفظين أكثر قوة من الآخر، نحو(أُنهِك، وتعب).

٤- أحد اللفظين أكثر إثارة من الآخر ، نحو: (أتون، وموقد).

٥- أحد اللفظين أكثر استحسَّانا من الآخر(فؤاد، وقلب).

٦- أحد اللفظين أكثر انتماء للغة من الآخر(تواليت، ومرحاض).

٧- أحد اللفظين أكثر تخصُّصًا من الآخر، نحو حكم (الذات، والاستقلال).

٨- أحد اللفظين أكثر رقيًا في المستوى من الآخر، كما في: (سيدة و امرأة)[٣]

ويطول بنا التشعيب إن تقصينا أسباب الاعتماد على الترادف في السياق، إذْ إنَّ لكل سياق مقامه ومعناه في مفاصل التركيب وأداءات الكلام.

والمتبصر مرثيَّات حسَّان، يأنس فيها توظيف تلك الظاهرة لخدمة سياقات معيَّنة، تتآزر مع غيرها في تعضيد المعنى الدلاليِّ، ومما يسترعي الانتباه مجيءُ الترادف على مستوى المفردات والجمل؛ حيث بلغ عشرين مرة؛ منها عشرة للأسماء، وهاك أمثلتها:

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ج:١، ص: ٣٢٩

(٢) فصول في فقه العربية، ص: ٢٧٨.

(٣) الألفاظ المترادفة المتقاربة المعاني، الرماني، ص: ٢٦ – ٣٠

المترادفان (الضياء والنّور) ووردت في تضاعيف هذا البيت:

كَانَ الضِّيَاءَ وَكَانَ النُّورَ نَتْبَعُهُ ... بَعْدَ الْإِلَهِ وَكَانَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَا(١)

ولا ينِدُّ عن ملاحظة القارئ أن الترادف هنا وُظِّف لتقوية المعنى، وتعضيده، ومنحه شحنة مكتنزة من الدلالة.

وجاء الترادف في الأسماء غالبًا في كلمات جامدة تدل على الذات نحو: (معالم ورسم)، و(لحد وقبر)، و(ثرى وترب)، و(عيون ومآقي)، بينما جاء الترادف في الأفعال في معان دلالية معنوية، نحو: تعفو وتمهد ، ويستضاء ويوقد، وأسعى وأجهد...

جاء الترادف في الجمل ثلاث مرات فقط؛ لأن لغة الشعر لها أحكامُها الخاصة التي تتميز بالتكثيف وقد لا تتسع لهذا النمط من الترادف الذي يتسم به النثر، ومن ثم ذهب الشاعر في هذه الظاهرة آمة الألفاظ على حساب الجمل المترادفة التي وردت أمما.

ويمكننا أن ندرك قيمة الترادف، وأثره في الدلالة، من خلال تحليل النماذج الآتية:

عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ، لَا يُثَنِّي جَنَاحَهُ ... إِلَى كَنَفٍ يَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيَمْهِدُ(٢)

لقد نجح حسَّان في توظيف هذا الترادف ليبرز صفات النبي ﷺ وكونه نبراسًا وهديًا للعالمين، فتحرَّى في ذلك أن يستهل بيته بالخبر (عطوف) الذي أُسقط مبتدؤه، والتأويل (هو عطوف)؛ ليلقي الضوء على الخبر، وتخلص العناية له، كما تحرّى الإتيان بشبه الجملة (عليهم)، ليعدَّ هذا بوحًا بمدى عُمْقِ العلاقة بين النبي ﷺ وصحابته، كما قَصَد حرفَ الجر (على)، فبان علو مكانته ﷺ؛ إذ إن (على) تفيد الفوقية، ثم مضى على قَرْواه، فامتدّ نفسُه في الجملة عن طريق الجملة الفعلية الواقعة نعتا والمتأثرِ فيها بالقرآن الكريم، أي: (لا يثني جناحه)، كما في قوله تعالى: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} (٣)، بما يغلف كون الجناح بأطمار الرعاية والاحتواء جميعًا معًا.

ثم ساق الترادف ليتكاثف المعنى، ويُكسِب الكلام جمالا، ويمنحُه قوة بما فيه من توكيد، وقد آثر أن يكون الفعل (يحنو) مضارعا، يدور في فلك الحنو لما في حروفها من إيحاء بالعطف، وإنك لتشعر بذلك في صوتي الحاء والنون، فالحاء تأتي موضونة في كلمات الحب والحنان، ويؤكِّد ذلك بالمترادف (يمهد) التي تقتسم المعنى مع الفعل (يحنو)، وتدور في إقليمها، رغم أن لها بعض إقليمها الخاص المتأثر بالبيئة فالشاعر حين يُفجَع؛ يكون محكوما بوعي أو دون وعي بموروثه الأدبي واللغوي، كما أنه ابن بيئته ونبت

(١) الديوان، ص:١٣٥.

(٢) الديوان، ص: ٩٣، ٩١، على التوالي.

(٣) سورة: الإسراء، آية:٢٤.

عصره ، ومن ثمَّ، فإن هناك تفاعلًا بين ميراثه اللغوي وتأثره بعصره اللذين يتمازجان معًا؛ ليمدا الشاعر بما يبدعه؛ فمنهما يستمدُّ وعليهما يتَّكئ.

وهذا التفاعل بين الشاعر وهذين المؤثرين ليس شرطًا أن تكون الغلبة لأحدهما دون الآخر، وإنك لواجد ذلك في مفرداته المترادفة؛ إذ تلحظ تأثره بعصره ، وكذا بمعجمه اللغوي والأدبي، ويتبدى ذلك فيما يُشْغِله من ألفاظ مستقاة من البيئة التي نشأ فيها ساقها في ثوب من الترادف، وإليك نماذج منها:

مَعَالِمُ لَمْ تُطْمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيُهَا ... أتَاهَا البِلَى، فَالْآيُ مِنْهَا تَجَدَّدُ

عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُولِ وَعَهْدَهُ ... وَقَبْراً بِهِ وَارَاهُ فِي التُّرْبِ مُلْحِدُ

فالكلمتان (معالم ورسم) تحملان دلالة بقايا آثار النبيِّ ﷺ التي شهدت حياته، وتشرفت بوجوده فيها. ومن ذلك الترادف في قوله:

وَوَاضِحُ آيَاتٍ، وَبَاقِي مَعَالِمٍ ... وَرَبْعٌ لَهُ فِيهِ مُصَلًّى وَمَسْجِدُ[1]

فهنا يتجلَّى لنا الترادف في كلمتي: (مصلى ومسجد).

ومن الترادف في الأسماء: (جَهْد، دموع، عبرة) (لحد، قبر) (ثرى، تراب، مدرا) (ديار، ربع).

ولئن حظي تعبيره بدوالّ مترادفة، تأثّر فيها بالبيئة، فلقد أتى بما يدلُّ على معجمه اللغويِّ والأدبيِّ نحو: (تعفو وتهمد)، (أسعى وأجهد)، (يُستضاء ويُوقَد)

فانظر كيف صرّف القول في هذه الأبيات، ووظّف الظواهر، متأثرًا بمعجمه الأدبي وبيئته؛ لتصنع جدائل محكمة في نسجها عميقة في دلالتها.

(١) لكل الشواهد هنا، يراجع: الديوان، ص: ٩١.

المطلب الثاني

التقابل الدلالي

يُعرَفُ التقابلُ في اللغة: بأنه التواجه[١]، والتقابل الدلالي "وجود لفظتين تحمل كل منهما عكس المعنى الذي تحمله الأخرى مثل الخير والشر ، والنور والظلمة ، والحب والكراهية ، والكبير والصغير ، وفوق وتحت ، ويأخذ ويعطي ، ويضحك ويبكي"[٢]، ومن هذا قوله تعالى: {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى، وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا، وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى}[٣]، فالتقابل واضح جليّ في هذه الآيات، وذلك في الأفعال (أضحك وأبكى) و(أمات وأحيا) والاسمين (الذكر والأنثى).

وبعد بحثٍ مستفيض مني؛ ألفيت أن ظاهرة التقابل الدلالي تختلف تمامًا عن ظاهرة الأضداد، والفرق بينهما واضح؛ ذلك أَنَّ الأضداد مقصودُها أن يكون اللفظ المفرد يدل على معنيين متضادّين، كالجون الذي يدلُّ على الأسود والأبيض، على نقيض التقابل الدلالي الذي يُقصد به اللفظان المتقابلان بمعنيين متناقضين.

وقد أشار اللغويون القدامى إلى وجود هذه الظاهرة في اللغة العربية، فقال بصددها أبو بكر بن الأنباري (ت: ٣٢٨): "يقع اللفظان المختلفان على المعنيين المختلفين كقولك الرجل والمرأة، والجمل والناقة ، واليوم والليلة ، وقام وقعد ، وتكلم وسكت ، وهذا هو الكثير الذي لا يحاط به"[٤] ونفهم من تمثيله أنه يريغ إلى الألفاظ المتقابلة، والحقيقة أن المبرِّد قد توصلت قريحته إلى ذلك قبل ابن الأنباري (ت: ٢٨٦)، فتوافق الرأيان وتقاربت أمثلتهما، فقال: "فأما اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين فنحو قولك : ذهبت وجاء ، وقام وقعد ، ويد ورِجل"[٥] .

هذا، ولم يفرد اللغويون القدامى كتبًا مستقلة لهذه الظاهرة، لكنَّني آنست عبدالرحمن الهمداني (ت:٣٢٠هـ) قد عقد لها بابًا في كتابه ووسمه باب الأضداد[٦]، والحقُّ، أن هذه التسمية قد تختلط بمصطلح الأضداد الذي تعارف عليه علماء اللغة قبل معرفة هذا النّوع من التقابل، والذي يدلّ على اللفظ المفرد الذي يقع على المعنيين المتضادين، وكان كثير من العلماء قبله قد أطلقوا على كتبهم المصنفة في هذا

---

(١) القاموس المحيط، ص:١٣٥١

(٢) ظاهرة التقابل في علم الدلالة، أحمد نصيف الجنابي، آداب الجامعة المستنصرية، ص: ١٥.رابط المقال وتاريخه: http://muhamadhanif.staff.iainsalatiga.ac.id/wp-content/uploads/sites/92 4-07-1440

(٣) سورة: النجم، آية :٤٥.

(٤) الأضداد، ص:٦.

(٥) ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن المجيد، ص:٢.

(٦) الألفاظ الكتابية، عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمذاني، ت: يعقوب، ٢٩٦، ٢٩٧.

الموضوع اسم الأضداد.

ولعل كثرة الكتب في ظاهرة الأضداد صرفتِ اللغويين القدامى عن تصنيف كتب مستقلة في التقابل الدِّلاليِّ؛ لأن المعنيين المتضادَّين تحت اللفظة الواحدة يحملهما لفظان متقابلان، فكأنهم أَلْفَوا في ذلك تكرارا.

ولظاهرة التقابل الدلالي أهمية كبيرة؛ فبواسطتها يتم استجلاء كثير من الألفاظ الغامضة الوحشيّة الآبدة، ولقد كان لهذه الظاهرة نصيبٌ لا بأس به من الانتشار في المرثيَّات، لوّنت معارض أبياتها، ومن أمثلتها: الفعلان (يغور وينجد)؛ في قوله:

تَقَطَّعَ فيهِ مَنْزِلُ الوَحْـي عَنهُمُ ... وَقَــدْ كَانَ ذَا نُورٍ، يَغُورُ ويُنْجِدُ

فالفعل (يغور) ضدُّ الفعل (يُنجِد) ، ومن ذلك أيضًا الاسمان (مقام ومقعد)، في قوله:

وَمَسْجِدُهُ، فَالْمُوْحِشَاتُ لِفَقْدِهِ ... خَلاءٌ لَهُ فِيـهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ

وكذلك الاسمان (أنثى وذكرا)، في قوله:

لَمْ يَتْرُكِ اللَهُ مِنَّا بَعْدَهُ أَحَدًا ... وَلَمْ يُعِشْ بَعْدَهُ أُنْثَى وَلَا ذَكَرَا

وقد يكون التقابل الدِّلاليُّ بين فعل واسم فضلًا عن التقابل بين فعل وفعل آخر، وبين اسم واسم آخر، نحو قولهم: هذا صادق، وذاك يكذب في قوله، ولذلك أمثلة في المرثيَّات، ومنها:

وَأَبْذَلَ مِنْهُ للطَّرِيفِ وَتَالِدٍ ... إِذَا ضَـنَّ مِعْطـاءٌ بِمَـا كَـانَ يُتْلِـدُ[1]

وظاهرة التقابل التي أردت التنويه إليها هي التقابل بين الفعل (ضنّ) والاسم (معطاء)، فمن المعلوم أن الفعل من صيغة (معطاء) هو: أعطى، فبالتالي نلفي التقابل بين المعنيين (أعطى وضن)؛ فالعطاء الذي يقتضي الكرم يقابله في المعنى الضَّنانة التي معناها البخل الشديد.

ولا يمكننا إغفال التقابل بين الاسمين (الطريف والتالد) في هذا البيت؛ فالطريف هو المستفاد من المال حديثًا، والتالد المال الموروث أبًا عن جد، "ويَقُولونَ: مالَه طارِفٌ ولا تالِدٌ ولا طَرِيفٌ ولا تَلِيدٌ فالطّارِفُ والطَّرِيفُ : ما استَحْدَثْتَ من المالِ واسْتَطْرَفْتَه والتّالِدُ والتَّلِيدُ : ما وَرِثْتَه من الآباءِ قَدِيماً" [2].

وقد يقع التقابل الدلالي بين الجمل، "وأغلب أنواع الجمل المتقابلة يقع في دائرة الشرط وهذا النوع من التقابل كثير الورود في القرآن الكريم"[3]، ومنه قوله تعالى : {فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا

(١) ينظر هذه الشواهد الديوان، ص: ٩٣، ٩٤، ١٣٥، ٩٥. بترتيبها

(٢) تاج العروس، الزبيدي، ج:١٢ ، ص: ٣٤٦.

(٣) ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية (رسالة ماجستير)، ص:٨٣.

يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيل} [1]، فالتقابل هنا بادٍ بين الفعلين الدائرين في فلك المضارع: (يهتدي ويضل)، ومثله في قوله تعالى: {فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُه، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَة، وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُه}[2]، فالفعلان الماضويان (ثقلت وخفت) بينهما تقابل واضح، لا تخطئه النظرة العجلى، ولا تخلو مرثيَّات حسَّان من هذا النوع من التقابل، ومنها قوله:

تَاللَّهِ مَا حَمَلَتْ أُنْثَى، وَلَا وَضَعَتْ ... مِثْلَ الرَّسُولِ نَبِيِّ الْأُمَّةِ الْهَادي

يتجلى التقابل في البيت بين الفعلين المنفيين (ما حملت ولا وضعت)، ولعمري إنه ليطمر الأبيات بعظمة الرسول ﷺ، ونفي وجود من يشابهه في الحياة، ونلاحظ أنَّ التقابل أتى هنا؛ ليتمم المعنى، وليبيّن خطًا زمنيًا؛ فالوضع يأتي بعد الحمل، كما تتبدى لنا العظمة في أعلى معانيها بمجيء هذين الفعلين المنفيين المتقابلين في جملة الجواب للقسم، والحقيقة أن هذا التقابل يذكِّرنا بقول الحلاج[3] (ت: ٣٠٩هـ):

والله ما طَلعَت شَمسٌ ولا غَرَبَت ... إلَّا وَحُبُّكَ مَقْرُونٌ بِأَنْفَاسِي[4]

فالتقابل جليّ بين (طلعت وغربت)، والشعر العربي زاخر بأمثال هذه التقابلات الثريّة.

وبعد هذه الوقفات التحليلية في مرثيَّات حسَّان نخلص إلى أنَّ لكلِّ شاعرٍ أدواته النصيّة التي يحلق بها في فضاءات نصوصه وتراكيبه؛ ليجعل منها جسرا، يعبر من خلاله لنقل أحاسيسه ومشاعره، وينقل للمتلقي صورة من نفسه تجاه ما يكابده من تجارب؛ فقد استطاع حسّان أن يسخر تلك الظواهر بشكل يؤثر فينا، حتى أننا نعايش الأحداث معه.

وفي النهاية أرجو وآمل أن تكون الدراسة قد وفّت بهدفها وبلغت غايتها.

فإن أصبتُ فلا عُجْبٌ ولا غَرَرُ ... وإن نقصتُ فإنّ الناسَ ما كملوا
والكامل الله في ذاتٍ وفي صفةٍ ... وناقصُ الذاتِ لم يكمل له عملُ[5]

والله من وراء القصد.

---

(١) سورة: يونس، آية:١٠٨.

(٢) سورة: القارعة، آية: ٦: ٨.

(٣) هو الحسين بن منصور بن محمي، أبو عبد الله، ويقال: أبو مغيث، الفارسي البيضاوي الصوفي، سير أعلام النبلاء، ج:١٤، ص: ٣١٤

(٤) ديوان الحلاج، جمع المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون، رقم القصيدة ٣١، ص:٢٠.

(٥) البيتان على البسيط، لم أقف لهما على نسبة، غير أني وجدتها في الشبكة العنكبوتية منسوبة إلى الإمام الشافعي.

الملحق

- **جداول الأفعال في المرثيَّات**
- **جداول الأسماء في المرثيَّات**

جدول الأفعال في المرثيَّات

م	الفعل	الزمن			التجرد والزيادة		الإسناد إلى ضمير				البناء	
		ماض	مضارع	أمر	مجرد	مزيد	ضمير المخاطب	ضمير المتكلم	ضمير الغائب	اسم ظاهر	معلوم	مجهول
المرثية الأولى: بطيبة رسم للرسول ومعهد – عدد أبياتها (٤٦) بيتًا												
١.	تَعفُو		✓		✓					✓	✓	
٢.	تَهَمُد		✓		✓				✓		✓	
٣.	تَنْمَحِى		✓			✓				✓	✓	
٤.	يَصْعَد		✓		✓				✓		✓	
٥.	يَنْزِلُ		✓		✓					✓	✓	
٦.	يُسْتَضَاء		✓			✓			✓			✓
٧.	يُوقَد		✓			✓			✓			✓
٨.	تُطْمَس		✓		✓					✓		✓
٩.	أَتَاهَا	✓			✓					✓	✓	
١٠.	تَجَدَّدُ		✓			✓			✓		✓	
١١.	عَرَفْتُ	✓			✓		✓				✓	
١٢.	وَارَاهُ	✓				✓				✓	✓	
١٣.	ظَلِلْتُ	✓			✓		✓				✓	
١٤.	أَبْكِى		✓		✓		✓				✓	
١٥.	أَسعَدَتْ	✓				✓				✓	✓	
١٦.	تُسْعِدُ		✓			✓			✓		✓	
١٧.	تَذَكَّرُ		✓			✓			✓		✓	
١٨.	أَرَى		✓		✓		✓				✓	
١٩.	تَبَلَّدُ		✓			✓			✓		✓	

م	الفعل	الزمن			التجرد والزيادة		الإسناد إلى ضمير				البناء	
		ماض	مضارع	أمر	مجرد	مزيد	ضمير المخاطب	ضمير المتكلم	ضمير الغائب	اسم ظاهر	معلوم	مجهول
٢٠.	شَفَّهَا	✓			✓					✓	✓	
٢١.	ظَلَّتْ	✓			✓				✓		✓	
٢٢.	تُعَدِّدُ		✓			✓			✓		✓	
٢٣.	بَلَغَتْ	✓			✓				✓		✓	
٢٤.	تَحْمَدُ		✓		✓				✓			✓
٢٥.	أَطَالَتْ	✓				✓			✓			✓
٢٦.	تَذْرِفُ		✓		✓					✓	✓	
٢٧.	بُورِكْتَ	✓				✓		✓				✓
٢٨.	بُورِكَتْ	✓				✓				✓		✓
٢٩.	ثَوَى	✓			✓					✓	✓	
٣٠.	بُورِكَ	✓				✓				✓	✓	
٣١.	ضُمِّن	✓				✓			✓			✓
٣٢.	تُهِيلُ		✓			✓				✓	✓	
٣٣.	غَارَتْ	✓			✓					✓	✓	
٣٤.	غَيَّبُوا	✓				✓			✓		✓	
٣٥.	عَلَّوْه	✓				✓			✓		✓	
٣٦.	يُوَسَّدُ		✓			✓			✓			✓
٣٧.	رَاحُوا	✓			✓				✓		✓	
٣٨.	وَهَنَتْ	✓			✓					✓	✓	
٣٩.	يُبَكُّونَ		✓			✓			✓		✓	
٤٠.	تَبْكِي		✓		✓					✓	✓	
٤١.	بَكَتْهُ	✓			✓					✓	✓	

م	الفعل	الزمن			التجرد والزيادة		الإسناد إلى ضمير				البناء	
		ماض	مضارع	أمر	مجرد	مزيد	ضمير المخاطب	ضمير المتكلم	ضمير الغائب	اسم ظاهر	معلوم	مجهول
٤٢.	عَدَلَتْ	✓			✓					✓	ر	
٤٣.	مَاتَ	✓			✓					✓	✓	
٤٤.	تَقَطَّعَ	✓				✓				✓	✓	
٤٥.	كَانَ *	✓			✓				✓		✓	
٤٦.	يَعُورُ		✓		✓				✓		✓	
٤٧.	يُنْجِدُ		✓			✓			✓		✓	
٤٨.	يَدُلُّ		✓		✓				✓		✓	
٤٩.	يَقْتَدِي		✓			✓			✓		✓	
٥٠.	يُنْقِذُ		✓			✓			✓		✓	
٥١.	يُرْشِدُ		✓			✓			✓		✓	
٥٢.	يَهْدِيهم		✓		✓				✓		✓	
٥٣.	يُطِيعُوه		✓			✓			✓		✓	
٥٤.	يَسْعَدُوا		✓		✓				✓		✓	
٥٥.	يَقْبَلُ		✓		✓				✓		✓	
٥٦.	يُحْسِنُوا		✓			✓			✓		✓	
٥٧.	نَابَ	✓			✓					✓	✓	
٥٨.	يَقُومُوا		✓		✓				✓		✓	
٥٩.	يَتَشَدَّد		✓			✓			✓		✓	
٦٠.	يُقْصَدُ		✓		✓				✓			✓
٦١.	يَحِيدُوا										✓	
٦٢.	يَسْتَقِيمُوا					✓			✓		✓	
٦٣.	يَهْتَدُوا		✓			✓			✓		✓	

م	الفعل	الزمن			التجرد والزيادة		الإسناد إلى ضمير				البناء	
		ماض	مضارع	أمر	مجرد	مزيد	ضمير المخاطب	ضمير المتكلم	ضمير الغائب	اسم ظاهر	معلوم	مجهول
٦٤.	يُثَنِّي		✓			✓			✓		✓	
٦٥.	يَحْنُو		✓		✓				✓		✓	
٦٦.	يَمْهَدُ		✓		✓				✓		✓	
٦٧.	غَدَا	✓			✓					✓	✓	
٦٨.	أصْبَحَ*	✓				✓			✓		✓	
٦٩.	يُبَكِّيه		✓			✓				✓	✓	
٧٠.	يَحْمَدُ		✓		✓				✓		✓	
٧١.	أَمْسَت*	✓				✓				✓	✓	
٧٢.	كَانَت*	✓			✓				✓		✓	
٧٣.	تَعْهَدُ		✓		✓				✓		✓	
٧٤.	ضَافَها	✓			✓					✓	✓	
٧٥.	يُبَكِّيه		✓			✓				✓	✓	
٧٦.	أَوْحَشَت	✓				✓				✓	✓	
٧٧.	بَكِّى			✓		✓		✓			✓	
٧٨.	أَعْرِفَنْكِ		✓		✓		✓				✓	
٧٩.	يَجْمَدُ		✓		✓				✓		✓	
٨٠.	تَبْكِينَ		✓		✓			✓			✓	
٨١.	يَتَغَمَّدُ		✓			✓			✓		✓	
٨٢.	جُودِي			✓	✓			✓			✓	
٨٣.	أَعْوِلِي			✓		✓		✓			✓	
٨٤.	يُوْجَدُ		✓		✓				✓			✓
٨٥.	فَقَدَ	✓			✓					✓	✓	

م	الفعل	الزمن			التجرد والزيادة		الإسناد إلى ضمير				البناء	
		ماض	مضارع	أمر	مجرد	مزيد	ضمير المخاطب	ضمير المتكلم	ضمير الغائب	اسم ظاهر	معلوم	مجهول
.٨٦	يُفْقَدُ		✓		✓				✓			✓
.٨٧	يُنَكَّدُ		✓			✓			✓			✓
.٨٨	ضَنَّ	✓			✓					✓	✓	
.٨٩	يُتْلِدُ		✓			✓			✓		✓	
.٩٠	انْتَمَى	✓				✓			✓		✓	
.٩١	يُسَوَّدُ		✓			✓			✓			✓
.٩٢	تُشَيَّدُ		✓			✓			✓			✓
.٩٣	رَبَاهُ	✓			✓				✓		✓	
.٩٤	اسْتَتَمَّ	✓				✓			✓		✓	
.٩٥	تَنَاهَت	✓				✓				✓	✓	
.٩٦	يُفْنَدُ		✓		✓				✓			✓
.٩٧	أَقُولُ		✓		✓		✓				✓	
.٩٨	يُلْفَى		✓			✓				✓		✓
.٩٩	أَخْلُدُ		✓		✓		✓				✓	
.١٠٠	أَرْجُو		✓		✓		✓				✓	
.١٠١	أَسْعَى		✓		✓		✓				✓	
.١٠٢	أَجْهَدُ		✓		✓		✓				✓	
المرثية الثانية: ما بال عينك لا تنام – عدد أبياتها: (١٨) بيتًا												
.١٠٣	تَنَامُ		✓		✓				✓		✓	
.١٠٤	كُحِلَت	✓			✓				✓			✓
.١٠٥	أَصْبَحَ*	✓				✓			✓		✓	
.١٠٦	وَطِئَ	✓			✓				✓		✓	

م	الفعل	الزمن			التجرد والزيادة		الإسناد إلى ضمير				البناء	
		ماض	مضارع	أمر	مجرد	مزيد	ضمير المخاطب	ضمير المتكلم	ضمير الغائب	اسم ظاهر	معلوم	مجهول
١٠٧.	تَبْعُدِ		✓		✓			✓			✓	
١٠٨.	يَقِيكَ		✓		✓			✓			✓	
١٠٩.	غُيِّبْتُ	✓					✓					✓
١١٠.	شَهِدْتُ	✓			✓		✓				✓	
١١١.	ظَلِلْتُ	✓			✓		✓				✓	
١١٢.	أُوْلَدِ		✓		✓		✓					✓
١١٣.	أُقِيمُ		✓		✓	✓	✓				✓	
١١٤.	صُبِّحْتُ	✓										✓
١١٥.	حَلَّ	✓			✓					✓	✓	
١١٦.	تَقُومُ		✓		✓		✓			✓	✓	
١١٧.	نَلْقَى		✓		✓						✓	
١١٨.	وَلَدَتْه	✓			✓				✓		✓	
١١٩.	أَضَاءَ	✓				✓			✓		✓	
١٢٠.	يُهْدَى		✓		✓				✓			✓
١٢١.	يَهْتَدِي		✓			✓			✓		✓	
١٢٢.	اجْمَعْنَا			✓	✓			✓			✓	
١٢٣.	تَثْنِى		✓		✓				✓		✓	
١٢٤.	اكْتُبْهَا				✓		✓	✓			✓	
١٢٥.	أَسْمَعُ		✓		✓		✓				✓	
١٢٦.	بَقِيتُ	✓			✓		✓				✓	
١٢٧.	بَكَيْتُ	✓			✓						✓	
١٢٨.	ضَاقَتْ	✓			✓					✓		

م	الفعل	الزمن			التجرد والزيادة		الإسناد إلى ضمير				البناء	
		ماض	مضارع	أمر	مجرد	مزيد	ضمير المخاطب	ضمير المتكلم	ضمير الغائب	اسم ظاهر	معلوم	مجهول
١٢٩.	أَصْبَحَت*	✓				✓				✓		
١٣٠.	وَلَدْنَاه	✓			✓		✓					
١٣١.	يُجْحَدُ		✓		✓				✓			✓
١٣٢.	أَكْرَمَنَا	✓				✓			✓		✓	
١٣٣.	هَدَى	✓			✓				✓		✓	
١٣٤.	صَلَّى	✓				✓				✓	✓	
١٣٥.	يَخُفُّ		✓		✓				✓		✓	
المرثية الثالثة: آليت ما في جميع الناس مجتهدا – عدد أبياتها: (٨) أبيات												
١٣٦.	آلَيْتُ	✓				✓	✓				✓	
١٣٧.	حَمَلَتْ	✓			✓					✓	✓	
١٣٨.	وَضَعَتْ	✓			✓				✓		✓	
١٣٩.	بَرَا	✓			✓					✓	✓	
١٤٠.	يُسْتَضَاءُ		✓			✓			✓			✓
١٤١.	سَلَفُوا	✓			✓				✓		✓	
١٤٢.	كُنْتُ*	✓			✓		✓				✓	
١٤٣.	أَصْبَحْتُ*	✓				✓	✓				✓	
١٤٤.	عَطَّلْنَ	✓				✓				✓	✓	
١٤٥.	يَضْرِبْنَ		✓		✓					✓	✓	
١٤٦.	يَلْبَسْنَ		✓		✓					✓	✓	
١٤٧.	أَيْقَنَّ	✓				✓				✓	✓	
المرثية الرابعة: ألا دفنتم رسول الله في سفط – عدد أبياتها: بيتًا واحد												
١٤٨.	دَفَنْتُمْ	✓			✓			✓			✓	

م	الفعل	الزمن			التجرد والزيادة		الإسناد إلى ضمير				البناء	
		ماض	مضارع	أمر	مجرد	مزيد	ضمير المخاطب	ضمير المتكلم	ضمير الغائب	اسم ظاهر	معلوم	مجهول
المرثية الخامسة: نبِّ المساكين أن الخير فارقهم – عدد أبياتها: (٧) أبيات												
١٤٩.	نَبِّ			✓		✓		✓			✓	
١٥٠.	فَارَقَهُم	✓				✓			✓		✓	
١٥١.	تَوَلَّى	✓				✓			✓		✓	
١٥٢.	يُؤْنِسُوا		✓			✓			✓		✓	
١٥٣.	نُعَاتِبُ		✓			✓	✓				✓	
١٥٤.	نَخْشَى		✓		✓		✓				✓	
١٥٥.	عَتَا	✓			✓				✓		✓	
١٥٦.	عَثَرَا	✓			✓				✓		✓	
١٥٧.	كَانَ	✓			✓				✓		✓	
١٥٨.	نَتْبَعُهُ		✓		✓		✓				✓	
١٥٩.	كَانَ	✓			✓				✓		✓	
١٦٠.	وَارَوْهُ	✓				✓			✓		✓	
١٦١.	غَيَّبُوهُ	✓				✓			✓		✓	
١٦٢.	أَلْقَوْا	✓				✓			✓			
١٦٣.	يَتْرُكِ		✓		✓					✓		
١٦٤.	يُعِشْ		✓			✓			✓			
١٦٥.	ذَلَّتْ	✓			✓					✓		
١٦٦.	قُدِرَا	✓			✓				✓			✓
المرثية السادسة: كنت السواد لناظري – عدد أبياتها: بيتان.												
١٦٧.	كُنْتَ	✓			✓			✓			✓	
١٦٨.	عَمِى	✓			✓					✓	✓	

م	الفعل	الزمن			التجرد والزيادة		الإسناد إلى ضمير				البناء	
		ماض	مضارع	أمر	مجرد	مزيد	ضمير المخاطب	ضمير المتكلم	ضمير الغائب	اسم ظاهر	معلوم	مجهول
١٦٩.	شَاءَ	✓			✓				✓		✓	
١٧٠.	يَمُتْ		✓		✓				✓		✓	
١٧١.	كُنْتُ	✓			✓		✓				✓	
١٧٢.	أُحَاذِرُ		✓			✓	✓				✓	

جدول الأسماء في المرثيَّات

م	الاسم	اسم جامد	مصدر	مشتق								التعيين	
				اسم فاعل	صيغة مبالغة	صفة مشبهة	اسم مفعول	اسم تفضيل	اسم زمان	اسم مكان	اسم مرة	معرفة	نكرة
المرثية الأولى: بطيبة رسم للرسول ومعهد – عدد أبياتها (٤٦) بيتًا													
١	طيبة	✓										✓	
٢	رسم		✓										✓
٣	الرسول					✓						✓	
٤	معهد									✓			✓
٥	منير			✓									✓
٦	الرسوم		✓									✓	
٧	الآيات										✓	✓	
٨	دار	✓										✓	
٩	حرمة		✓									✓	
١٠	منبر	✓										✓	
١١	الهادي			✓								✓	
١٢	واضح			✓								✓	
١٣	باقي			✓								✓	
١٤	معالم									✓		✓	
١٥	ربع	✓											✓
١٦	مصلى									✓			✓
١٧	مسجد									✓			✓
١٨	حجرات	✓											✓
١٩	وسطها	✓											✓
٢٠	نور		✓										✓
٢١	معالم									✓			✓
٢٢	العهد		✓									✓	
٢٣	آيها										✓		✓

م	الاسم	اسم جامد	مصدر	مشتق								التعيين	
				اسم فاعل	صيغة مبالغة	صفة مشبهة	اسم مفعول	اسم تفضيل	اسم زمان	اسم مكان	اسم مرة	معرفة	نكرة
٢٤	البلى		✓									✓	
٢٥	الآي										✓	✓	
٢٦	رسم		✓									✓	
٢٧	الرسول(٤)[1]					✓						✓	
٢٨	عهده		✓									✓	
٢٩	قبرًا	✓											✓
٣٠	الترب	✓										✓	
٣١	ملحد			✓									✓
٣٢	عيون	✓											✓
٣٣	الجفن	✓										✓	
٣٤	آلاء(٢)	✓										✓	
٣٥	محصيًا			✓									✓
٣٦	نفسي (٣)	✓										✓	
٣٧	مفجعة						✓						✓
٣٨	فقد		✓									✓	
٣٩	أحمد	✓										✓	
٤٠	أمر		✓									✓	
٤١	عشيره	✓											✓
٤٢	بعض	✓											✓
٤٣	وقوفًا		✓										✓
٤٤	العين	✓										✓	

(١) ذكرت الكلمات المكررة والتي لا داع لإعادتها لأن لها نفس المواصفات بهذا الشكل (الكلمة وبجانبها عدد تكرارها) .
وهذا خاص بالكلمات التي تكرر في الصفحة الواحدة، أما إذا جاءت في صفحة أخرى فهي تكتب مرة أخرى.

م	الاسم	اسم جامد	مصدر	مشتق								التعيين	
				اسم فاعل	صيغة مبالغة	صفة مشبهة	اسم مفعول	اسم تفضيل	اسم زمان	اسم مكان	اسم مرة	معرفة	نكرة
٤٥	جهدها		✓									✓	
٤٦	طلل	✓										✓	
٤٧	القبر	✓										✓	
٤٨	أحمد	✓										✓	
٤٩	قبر	✓										✓	
٥٠	الرسول					✓						✓	
٥١	بلاد	✓											✓
٥٢	الرشيد					✓						✓	
٥٣٥	المسدد						✓					✓	
٥٤	لحد	✓											✓
٥٥	طيبًا					✓							✓
٥٦	بناء		✓										✓
٥٧	صفيح	✓											✓
٥٨	منضد						✓						✓
٥٩	الترب	✓										✓	
٦٠	أيد	✓											✓
٦١	أعين	✓											✓
٦٢	أسعد	✓											✓
٦٣	حلمًا		✓										✓
٦٤	علمًا		✓										✓
٦٥	رحمة		✓										✓
٦٦	عشية		✓										✓
٦٧	الثرى	✓										✓	
٦٨	حزن		✓										✓
٦٩	نبيهم					✓						✓	

م	الاسم	اسم جامد	مصدر	مشتق								التعيين	
				اسم فاعل	صيغة مبالغة	صفة مشبهة	اسم مفعول	اسم تفضيل	اسم زمان	اسم مكان	اسم مرة	معرفة	نكرة
٧٠	ظهور	✓											✓
٧١	أعضد	✓											✓
٧٢	السماوات	✓										✓	
٧٣	يومه	✓										✓	
٧٤	الأرض	✓										✓	
٧٥	الناس	✓										✓	
٧٦	أكمد							✓					✓
٧٧	يومًا	✓											✓
٧٨	رزية(٢)					✓							✓
٧٩	هالك			✓									✓
٨٠	يوم	✓											✓
٨١	محمد	✓										✓	
٨٢	منزل									✓		✓	
٨٣	الوحي		✓									✓	
٨٤	نور		✓										✓
٨٥	الرحمن					✓						✓	
٨٦	هول		✓									✓	
٨٧	الخزايا		✓									✓	
٨٨	إمام					✓							✓
٨٩	الحق		✓									✓	
٩٠	جاهدًا			✓									✓
٩١	معلم			✓								✓	
٩٢	صدق		✓									✓	
٩٣	عفوٌ				✓								✓
٩٤	الزلّات										✓	✓	

م	الاسم	اسم جامد	مصدر	مشتق								التعيين	
				اسم فاعل	صيغة مبالغة	صفة مشبهة	اسم مفعول	اسم تفضيل	اسم زمان	اسم مكان	اسم مرة	معرفة	نكرة
٩٥	عذرهم		✓									✓	
٩٦	أجود							✓					✓
٩٧	أمر		✓										✓
٩٨	بحمده		✓									✓	
٩٩	تيسير		✓									✓	
١٠٠	نعمة												✓
١٠١	دليل					✓							✓
١٠٢	نهج	✓										✓	
١٠٣	الطريقة	✓										✓	
١٠٤	عزيز					✓							✓
١٠٥	الهدى		✓									✓	
١٠٦	حريص					✓							✓
١٠٧	عطوف				✓								✓
١٠٨	جناحه	✓										✓	
١٠٩	كنف	✓											✓
١١٠	النور		✓									✓	
١١١	نورهم		✓									✓	
١١٢	سهم	✓											✓
١١٣	الموت		✓									✓	
١١٤	مُقْصِد			✓									✓
١١٥	محمودًا						✓						✓
١١٦	راجعًا			✓									✓
١١٧	جفن	✓										✓	
١١٨	المرسلات						✓					✓	
١١٩	بلاد	✓										✓	

م	الاسم	اسم جامد	مصدر	مشتق								التعيين	
				اسم فاعل	صيغة مبالغة	صفة مشبهة	اسم مفعول	اسم تفضيل	اسم زمان	اسم مكان	اسم مرة	معرفة	نكرة
١٢٠	الحرم	✓										✓	
١٢١	وحشًا		✓										✓
١٢٢	بقاعها	✓										✓	
١٢٣	غيبة										✓	✓	
١٢٤	الوحي		✓									✓	
١٢٥	قفارًا	✓											✓
١٢٦	معمورة						✓					✓	
١٢٧	اللحد	✓										✓	
١٢٨	فقيد						✓						✓
١٢٩	بلاط	✓											✓
١٣٠	غرقد	✓											✓
١٣١	مسجده									✓		✓	
١٣٢	الموحشات											✓	
١٣٣	لفقده		✓									✓	
١٣٤	خلاء		✓										✓
١٣٥	مقام									✓			✓
١٣٦	مقعد									✓			✓
١٣٧	الجمرة	✓										✓	
١٣٨	الكبرى							✓				✓	
١٣٩	ديار	✓											✓
١٤٠	عرصات	✓											✓
١٤١	ربع	✓											✓
١٤٢	مولد									✓			✓
١٤٣	رسول					✓						✓	
١٤٤	عين	✓											✓

م	الاسم	اسم جامد	مصدر	مشتق								التعيين	
				اسم فاعل	صيغة مبالغة	صفة مشبهة	اسم مفعول	اسم تفضيل	اسم زمان	اسم مكان	اسم مرة	معرفة	نكرة
١٤٥	عبرة	✓											✓
١٤٦	الدهر(٢)	✓										✓	
١٤٧	دمعك	✓										✓	
١٤٨	النعمة	✓										✓	
١٤٩	الناس	✓										✓	
١٥٠	سابغ			✓									✓
١٥١	الدموع	✓										✓	
١٥٢	فَقْد[1]		✓									✓	
١٥٣	الماضون			✓								✓	
١٥٤	محمد	✓										✓	
١٥٥	مثله	✓										✓	
١٥٦	القيامة	✓										✓	
١٥٧	أعف							✓					✓
١٥٨	أوفى							✓					✓
١٥٩	ذمة(٢)	✓											✓
١٦٠	أقرب							✓					✓
١٦١	نائلًا			✓									✓
١٦٢	أبذل							✓					✓
١٦٣	الطريف					✓						✓	
١٦٤	تالد					✓							✓
١٦٥	معطاء				✓								✓
١٦٦	أكرم							✓					✓
١٦٧	حيًا					✓							✓

(١) هذه الكلمة معرفة؛ لأنها جاءت في البيت مضافة إلى اسم موصول:

فجودي عليه بالدموع وأعولي لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد

م	الاسم	اسم جامد	مصدر	مشتق								التعيين	
				اسم فاعل	صيغة مبالغة	صفة مشبهة	اسم مفعول	اسم تفضيل	اسم زمان	اسم مكان	اسم مرة	معرفة	نكرة
١٦٨	البيوت	✓										✓	
١٦٩	أكرم							✓					✓
١٧٠	جدًا	✓											✓
١٧١	أبطحيًا					✓							✓
١٧٢	أمنع							✓					✓
١٧٣	ذروات	✓											✓
١٧٤	أثبت							✓					✓
١٧٥	العلى	✓										✓	
١٧٦	دعائم	✓										✓	
١٧٧	عز		✓										✓
١٧٨	شاهقات			✓									✓
١٧٩	أثبت							✓					✓
١٨٠	فرعًا	✓											✓
١٨١	الفروع	✓										✓	
١٨٢	منبتًا									✓			✓
١٨٣	عودًا	✓											✓
١٨٤	غداة		✓									✓	
١٨٥	المزن	✓										✓	
١٨٦	العود	✓										✓	
١٨٧	أغيد					✓							✓
١٨٨	وليدًا					✓							✓
١٨٩	تمامه		✓									✓	
١٩٠	أكرم							✓				✓	
١٩١	الخيرات										✓	✓	
١٩٢	مُمَجَّد						✓						✓

م	الاسم	اسم جامد	مصدر	مشتق								التعيين	
				اسم فاعل	صيغة مبالغة	صفة مشبهة	اسم مفعول	اسم تفضيل	اسم زمان	اسم مكان	اسم مرة	معرفة	نكرة
١٩٣	وَصاة	✓										✓	
١٩٤	المسلمين			✓								✓	
١٩٥	كفِّه	✓										✓	
١٩٦	العلم		✓									✓	
١٩٧	محبوس						✓						✓
١٩٨	الرأي		✓									✓	
١٩٩	قولي		✓									✓	
٢٠٠	عائب			✓									✓
٢٠١	الناس	✓										✓	
٢٠٢	عازب			✓								✓	
٢٠٣	العقل	✓										✓	
٢٠٤	مُبعَد						✓					✓	
٢٠٥	هوائي	✓										✓	
٢٠٦	نازعًا			✓									✓
٢٠٧	ثنائه		✓									✓	
٢٠٨	جنة	✓										✓	
٢٠٩	الخلد		✓									✓	
٢١٠	المصطفى						✓					✓	
٢١١	نيل		✓									✓	
٢١٢	اليوم	✓										✓	
المرثية الثانية: ما بال عينك لا تنام – عدد أبياتها: (١٨) بيتًا													
٢١٣	بال[1]	✓										✓	
٢١٤	عينِك	✓										✓	

(١) بال عينك: بمعنى ما حالها أو ما شأنها

م	الاسم	اسم جامد	مصدر	مشتق								التعيين	
				اسم فاعل	صيغة مبالغة	صفة مشبهة	اسم مفعول	اسم تفضيل	اسم زمان	اسم مكان	اسم مرة	معرفة	نكرة
٢١٥	مآقيها	✓										✓	
٢١٦	كحل	✓										✓	
٢١٧	الأرمد					✓						✓	
٢١٨	جزعًا		✓										✓
٢١٩	المهدي						✓					✓	
٢٢٠	ثاويًا			✓									✓
٢٢١	خير							✓				✓	
٢٢٢	الحصى	✓										✓	
٢٢٣	وجهي	✓										✓	
٢٢٤	الترب	✓										✓	
٢٢٥	لهفي		✓									✓	
٢٢٦	قبلك		✓									✓	
٢٢٧	بقيع	✓										✓	
٢٢٨	الغرقد	✓										✓	
٢٢٩	أبي	✓										✓	
٢٣٠	أمي	✓										✓	
٢٣١	وفاته(٢)		✓									✓	
٢٣٢	يوم	✓										✓	
٢٣٣	الاثنين	✓										✓	
٢٣٤	النبي					✓						✓	
٢٣٥	المهتدي			✓								✓	
٢٣٦	متبلِّدًا			✓									✓
٢٣٧	متلدِّدًا			✓									✓
٢٣٨	المدينة	✓										✓	
٢٣٩	سمَّ	✓										✓	

م	الاسم	اسم جامد	مصدر	مشتق								التعيين	
				اسم فاعل	صيغة مبالغة	صفة مشبهة	اسم مفعول	اسم تفضيل	اسم زمان	اسم مكان	اسم مرة	معرفة	نكرة
٢٤٠	الأسود	✓										✓	
٢٤١	أمر		✓									✓	
٢٤٢	عاجلًا			✓									✓
٢٤٣	روحة										✓		✓
٢٤٤	يومنا	✓											✓
٢٤٥	غد	✓											✓
٢٤٦	ساعتنا	✓										✓	
٢٤٧	طيبًا					✓							✓
٢٤٨	محَضًا					✓							✓
٢٤٩	ضرائبه	✓										✓	
٢٥٠	كريم					✓						✓	
٣٥١	المحتِد	✓										✓	
٢٥٢	بكر	✓										✓	
٢٥٣	آمنة	✓										✓	
٢٥٤	المبارك						✓					✓	
٢٥٥	بكرها	✓										✓	
٢٥٦	محصنة						✓						✓
٢٥٧	سعد	✓										✓	
٢٥٨	الأسعد	✓										✓	
٢٥٩	نورًا		✓										✓
٢٦٠	البرية	✓										✓	
٢٦١	النور		✓									✓	
٢٦٢	المبارك						✓					✓	
٢٦٣	نبينا					✓						✓	
٢٦٤	جنة(٢)	✓											✓

م	الاسم	اسم جامد	مصدر	مشتق								التعيين	
				اسم فاعل	صيغة مبالغة	صفة مشبهة	اسم مفعول	اسم تفضيل	اسم زمان	اسم مكان	اسم مرة	معرفة	نكرة
٢٦٥	عيون	✓										✓	
٢٦٦	الحسد			✓								✓	
٢٦٧	الفردوس	✓										✓	
٢٦٨	الجلال		✓									✓	
٢٦٩	العلا		✓									✓	
٢٧٠	السؤدد		✓									✓	
٢٧١	هالك			✓									✓
٢٧٢	النبي					✓						✓	
٢٧٣	محمد	✓										✓	
٢٧٤	ويح	✓										✓	
٢٧٥	أنصار					✓						✓	
٢٧٦	النبي					✓						✓	
٢٧٧	رهطه	✓										✓	
٢٧٨	المغيب						✓					✓	
٢٧٩	سواء	✓										✓	
٢٨٠	المَلْحَد									✓		✓	
٢٨١	الانصار					✓						✓	
٢٨٢	البلاد	✓										✓	
٢٨٣	سودًا					✓							✓
٢٨٤	وجوههم	✓										✓	
٢٨٥	لون	✓										✓	
٢٨٦	الإثمد	✓										✓	
٢٨٧	قبره	✓										✓	
٢٨٨	فضول		✓									✓	
٢٨٩	نعمته	✓										✓	

م	الاسم	اسم جامد	مصدر	مشتق								التعيين	
				اسم فاعل	صيغة مبالغة	صفة مشبهة	اسم مفعول	اسم تفضيل	اسم زمان	اسم مكان	اسم مرة	معرفة	نكرة
٢٩٠	أنصاره					✓						✓	
٢٩١	ساعة	✓										✓	
٢٩٢	مشهد								✓			✓	
٢٩٣	عرشه	✓										✓	
٢٩٤	الطيبون					✓						✓	
٢٩٥	المبارك						✓					✓	
٢٩٦	أحمد	✓										✓	
المرثية الثالثة: آليت ما في جميع الناس مجتهدا – عدد أبياتها: (٨) أبيات													
٢٩٧	جميع	✓										✓	
٢٩٨	الناس	✓										✓	
٢٩٩	مجتهدًا			✓									✓
٣٠٠	ألية		✓									✓	
٣٠١	برٍّ					✓							✓
٣٠٢	إفناد		✓										✓
٣٠٣	أنثى	✓											✓
٣٠٤	الرسول					✓						✓	
٣٠٥	نبي					✓						✓	
٣٠٦	الأمة	✓										✓	
٣٠٧	الهادي			✓								✓	
٣٠٨	خلقًا	✓											✓
٣٠٩	بريته	✓										✓	
٣١٠	أوفى							✓					✓
٣١١	بذمة	✓										✓	
٣١٢	جار	✓											✓
٣١٣	بميعاد	✓											✓

م	الاسم	اسم جامد	مصدر	مشتق								التعيين	
				اسم فاعل	صيغة مبالغة	صفة مشبهة	اسم مفعول	اسم تفضيل	اسم زمان	اسم مكان	اسم مرة	معرفة	نكرة
٣١٤	مبارك						✓					✓	
٣١٥	الأمر		✓									✓	
٣١٦	عدل		✓										✓
٣١٧	إرشاد		✓										✓
٣١٨	مصدقًا			✓									✓
٣١٩	النبيين					✓						✓	
٣٢٠	أبذل							✓					✓
٣٢١	الناس	✓										✓	
٣٢٢	المعروف						✓					✓	
٣٢٣	الجادي			✓								✓	
٣٢٤	أفضل							✓				✓	
٣٢٥	الناس	✓										✓	
٣٢٦	نهر	✓											✓
٣٢٧	مثل	✓										✓	
٣٢٨	المفرد						✓					✓	
٣٢٩	الصادي			✓								✓	
٣٣٠	نساؤك	✓										✓	
٣٣١	البيوت	✓										✓	
٣٣٢	قفا	✓											✓
٣٣٣	سِتْرٍ	✓											✓
٣٣٤	أوتاد	✓											✓
٣٣٥	الرواهب			✓								✓	
٣٣٦	المسوح	✓										✓	
٣٣٧	البؤس		✓									✓	
٣٣٨	النعمة	✓										✓	

م	الاسم	اسم جامد	مصدر	مشتق								التعيين	
				اسم فاعل	صيغة مبالغة	صفة مشبهة	اسم مفعول	اسم تفضيل	اسم زمان	اسم مكان	اسم مرة	معرفة	نكرة
٣٣٩	البادي			✓								✓	
المرثية الرابعة: ألا دفنتم رسول الله في سفط – عدد أبياتها: بيتًا واحد													
٣٤٠	رسول					✓						✓	
٣٤١	سفط	✓											✓
٣٤٢	الألوة	✓										✓	
٣٤٣	الكافور	✓										✓	
٣٤٤	منضود						✓						✓
المرثية الخامسة: نبِّ المساكين أن الخير فارقهم – عدد أبياتها: (٧) أبيات													
٣٤٥	المساكين					✓						✓	
٣٤٦	الخير		✓									✓	
٣٤٧	النبي					✓						✓	
٣٤٨	سحرا	✓											✓
٣٤٩	رحلي	✓										✓	
٣٥٠	راحلتي	✓										✓	
٣٥١	رزق		✓									✓	
٣٥٢	أهلي	✓										✓	
٣٥٣	المطرا	✓										✓	
٣٥٤	جنادعه	✓										✓	
٣٥٥	اللسان	✓										✓	
٣٥٦	القول		✓									✓	
٣٥٧	الضياء		✓									✓	
٣٥٨	النور		✓									✓	
٣٥٩	السمع	✓										✓	
٣٦٠	البصرا	✓										✓	
٣٦١	يوم	✓										✓	

م	الاسم	اسم جامد	مصدر	مشتق								التعيين	
				اسم فاعل	صيغة مبالغة	صفة مشبهة	اسم مفعول	اسم تفضيل	اسم زمان	اسم مكان	اسم مرة	معرفة	نكرة
٣٦٢	ملحده									✓		✓	
٣٦٣	فوقه	✓										✓	
٣٦٤	المدرا	✓										✓	
٣٦٥	بعده(٢)	✓										✓	
٣٦٦	أحدا	✓											✓
٣٦٧	أنثى	✓											✓
٣٦٨	ذكرا	✓											✓
٣٦٩	رقاب	✓										✓	
٣٧٠	بنو النجار	✓										✓	
٣٧١	أمرًا		✓										✓
٣٧٢	أمر		✓									✓	
المرثية السادسة: كنت السواد لناظري – عدد أبياتها: بيتان.													
٣٧٣	السواد	✓										✓	
٣٧٤	ناظري	✓										✓	
٣٧٥	الناظر	✓										✓	
٣٧٦	بعدك	✓										✓	
٣٧٦		١٧٠	٧٠	٣٤	٣	٣٩	٢٢	١٧	١	١٣	٧	٢٣٩	١٣٧

الخاتمة

أسأل الله حسنها!

وفيها أهم ما توصلت إليه الباحثة من نتائج:

١- تميزت مرثيَّات حسَّان للنبي بإحكام النسج، ومتانة التركيب، وسلاسة العبارة، وقوة العاطفة، بعيدًا عن معاضلة المعنى والتأبيد فيه.

٢- رثى حسَّان ﷺ النبيَّ ﷺ في ست قصائد، اختار بحر الطويل لأطولها البالغة ستة وأربعين بيتًا، وبحر البسيط لثلاث منها، والمتبقِّيتان إحداهما على الكامل والأخرى على مجزوئه.

٣- سيطرت الأصوات المجهورة في المرثيَّات على معظم الأصوات؛ إذ حازت ثلثي الأصوات جميعها، ليعدّ ذلك بوحًا لعظم الفقد، وضخامة الرزء، وعمق الفجيعة، وأبلغ في التأتي للمراد.

٤- كان للأصوات المرققة في المرثيَّات النصيب الأكبر، فقد فاقت ٩٠% على حساب غيرها من المفخمة، وهذا يتناسب مع جو الرثاء المشحون بالحزن والأسى.

٥- تبدى غلبة الأسماء الجامدة التي لوّن بها حسَّان مرثيَّاته، على حساب المشتقات؛ ذلك لأنه استهل بعض مرثيَّاته بالوقوف على الأطلال، مفصلا حالة الحزن التي تغشتها، وملمعًا إلى أن هذه الآثار ستبقى شاهدة، ومذكرة بسيرته ﷺ.

٦- آثر حسَّان توظيف الأفعال المضارعة إلى المعالم، وإلى النبي ﷺ وإلى الصحابة من بعده؛ فبان أن الحزن متجدد، ورسم صورة حية ناطقة.

٧- بلغ تقديم شبه الجملة على غيرها من المفردات كثرة بالغة، وحدًا كبيرًا، لا تخطئه النظرة العجلى، حتى وصل اثنتين وأربعين مرة في الأبيات البالغة اثنين وثمانين بيتًا؛ فكان ذلك دليلًا على تمكن الشاعر من أدوات نصّه، ونقل الدّوال من مكانها داخل التركيب، وذلك دالٌّ على قوة نفسه وامتداد نفسه.

٨- الترادف، والتقابل الدلالي، هما الظاهرتان اللتان برزتا بقوة في المرثيَّات، على حين انزوى غيرهما من الظواهر الدّلالية، فدلّ ذلك على ثراء معجمه وتدفق تعبيره.

توصية:

وتوصي الباحثة شداة الباحثين وألفافهم، بالوقوف أمام شعر حسَّان قبل الإسلام وبعده، دراسة مقارنة؛ للرد على من يزعمون أن حسَّان بعد الإسلام قد لان شعره وتميث، ويمكن المقارنة بينه وبين الظواهر اللغوية في الشعر الجاهلي لنقف على مدى تطور الأساليب، وتأثرها ببيئة الإسلام الجديدة وهذا – لعمري– معين ثرّ لا ينضب، علّه يضيف للمكتبة العلمية والبحث العلمي لبنة في صرح علمي جد.

والله الهادي إلى سواء السبيل

الباحثة.

فهرس الآيات القرآنية

م	الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
١.	{غَيرِ المغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّين}	الفاتحة	٧	١٠٣
٢.	{نَغْفِرْ لَكُمْ خطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِين}	البقرة	٥٨	١١٢
٣.	{ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ}	البقرة	٨٥	١٤١
٤.	{مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا}	البقرة	١٠٦	١١٨
٥.	{وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ}	البقرة	٢١٤	١٢٢
٦.	{كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ...}	البقرة	٢٦١	١١٢
٧.	{بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير}	آل عمران	٢٦	٨١
٨.	{واسجدي واركعي مَعَ الراكعين}	آل عمران	٤٣	١١٦
٩.	{وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}	النساء	٢٤	١٠٣
١٠.	{الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا}	النساء	٧٥	١١٦
١١.	{أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ}	النساء	٧٨	٧٧
١٢.	{وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء}	النساء	١٢٧	٨٢
١٣.	{ لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلا}	النساء	١٣٧	١٧٨
١٤.	{وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ}	المائدة	٦	١٩
١٥.	{وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ ... }	المائدة	١١٦	١٣٨
١٦.	{إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين}	الأنعام	٢٥	١٢٢
١٧.	{نَغْفِرْ لَكُمْ خطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِين}	الأعراف	١٦١	١١٢
١٨.	{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ ...}	التوبة	٣٨	٣٠
١٩.	{قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ }	يونس	٨٩	٨٢
٢٠.	{فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ...}	يونس	١٠٨	١٤٩
٢١.	{يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا}.	يوسف	٢٩	١٤١
٢٢.	{وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ...}	يوسف	٤٣	١١١
٢٣.	{يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ}	يوسف	٤٦	١٣٥،١٤١
٢٤.	{قَالُواْ تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا...}	يوسف	٨٥	١٢٤
٢٥.	{قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون، قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِين}	الحجر	٣٦- ٣٧	١٠٣

م	الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٦.	{وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ}	الإسراء	٢٤	١٤٦
٢٧.	{وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ ...}	الكهف	٤٢	١٢٤
٢٨.	{سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا}	الكهف	٧٨	٨٢
٢٩.	{ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا}	الكهف	٨٢	٨٢
٣٠.	{فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا}	الكهف	٩٧	٨٢
٣١.	{يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا}	مريم	٢٣	١٢٠
٣٢.	{إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى}	طه	٣	١٣٤
٣٣.	{فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى، إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ}	طه	١١ – ١٢	١٤٢
٣٤.	{إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي}	طه	١٤	١٤٢
٣٥.	{وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ}	طه	٢٢	٩٠
٣٦.	{فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى}	طه	٦٧	١٢٦
٣٧.	{وَخَشَعَت الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا}	طه	١٠٨	١٢
٣٨.	{وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى}	طه	١٢٩	١٢٥،١٢٦
٣٩.	{وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءِ اهْتَزَّتْ ...}	الحج	٥	٦٥
٤٠.	{وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيد}	الحج	٤٥	٧٦
٤١.	{فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِين}	المؤمنون	١٤	١٠٧
٤٢.	{الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ...}	النور	٢٦	١٠٨
٤٣.	{وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ}	القصص	٣٢	٩٠
٤٤.	{عَالِمِ الْغَيْبِ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ ...}	سبأ	٣	١٢٣
٤٥.	{وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلاَ فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيب}	سبأ	٥١	١٢٦
٤٦.	{هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ}	فاطر	٣	١٤٠
٤٧.	{وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ}	فاطر	٤١	١٢٣
٤٨.	{لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ ...}	يس	٤٠	١٢٤
٤٩.	{وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيم}	الصافات	١٠٧	١٣٥
٥٠.	{وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ}	الزمر	٦٧	٨١
٥١.	{وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين}	الزمر	٧٥	٧٨
٥٢.	{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}	فصلت	٣٠	٨٢

م	الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٣.	{وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها	الزخرف	٢٣	١٠٤
٥٤.	{وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ}	الزخرف	٤٩	١٣٥
٥٥.	{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ... }	الأحقاف	١٠	١٣٦
٥٦.	{وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيد...}	ق	١٩-٢٣	٢٠
٥٧.	{فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيم}	الذاريات	٢٩	١٣٣
٥٨.	{وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى، وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا...}	النجم	٤٣- ٤٨	١٣٤
٥٩.	{وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ}	الصف	٦	٩٠
٦٠.	{وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ}	الملك	١٣	١٢
٦١.	{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أُوت...}	الحاقة	١٩- ٢٠	١٥، ٤٩
٦٢.	{فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيه}	الحاقة	٢٥	١٢٤
٦٣.	{يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ ...}	المعارج	١١ إلى ١٤	١٥
٦٤.	{كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى}	المعارج	١٥	١٥
٦٥.	{ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا، فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا...}	نوح	٩ — ١١	٢٨
٦٦.	{كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَة}	المدثر	٥٠	٨٢
٦٧.	{لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَة}	القيامة	١	١٢٣
٦٨.	{كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِي}	القيامة	٢٦	٦٣
٦٩.	{إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا}	الإنسان	٥	٨٩
٧٠.	{وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا}	النبأ	٤٠	١٢١
٧١.	{يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيه، وَأُمِّهِ وَأَبِيه، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيه}	عبس	٣٤ — ٣٦	١٥
٧٢.	{وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَت}	التكوير	٤	٧٦
٧٣.	{وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوج، وَالْيَوْمِ الْمَوْعُود...}	البروج	١ — ٥	٢٠
٧٤.	{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَة} الغاشية	الغاشية	١	١٤٠
٧٥.	{يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي}	الفجر	٢٤	١٢١
٧٦.	{مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}	الضحى	٣	١٣٤
٧٧.	{لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد}	الإخلاص	٣	١٢٤

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
اهجُ قريشًا؛ فإنه أشدُّ عليهم من رشقِ النَّبلِ	٢
لا يحنو عليكن بعدي إلا الصابرون...	٦٤
حُفَّت الجنّة بالمكارِه...	٦٤
أَن النّبي ﷺ أَقطع بلال بن الْحَارِثِ المزني مَعادِنَ القَبَلِيَّة جَلْسِيَّها...	٦٥
الفردوس ربوة الجنة وأعلاها وأوسطها، ومنها تُفَجَّر أنهار الجنّة	٨٨
ومَجَامِرُهُم الأُلُوَّةُ	٨٨

فهرس الأبيات الشعرية

م	البيت	البحر	الصفحة
قافية الباء..			
١.	ألاّ جعلتم رسولَ اللّه في سَفَطٍ ... مِن الأُلُوَّة أَصْدَى مُلْبَساً ذهبا	البسيط التام	٤٨
٢.	أمّ الحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَة ... تَرْضَى مِنَ اللّحْمِ بِعَظْمِ الرّقَبَة	الرجز التام	١٣٢
٣.	كليني لهمٍّ يا أميمة ناصبِ ... وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكب	الطويل	٣٦
٤.	وما مِثْلُه فِي النَّاسِ إلَّا مُمَلَّكًا ... أَبُو أُمِّه حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهْ	الطويل	١٢٦
٥.	ما بال عينك منها الماء ينسكب ...كأنّه من كلىً مَفْرِيَّةً سَرِبُ	البسيط التام	١٢٦
٦.	درأْتُ على أوابدَ ناجياتٍ ...يحفُّ رياضها قضفٌ ولوبُ	الوافر التام	٦٤
قافية التاء..			
٧.	أَنَا البَحْرُ فِي أَحْشَائه الدُّرُ كَامِنٌ... فَهَلْ سَاءَلُوا الْغَوَّاصَ عَنْ صَدَفَاتِي	الطويل	٤٠
قافية الدال..			
٨.	تَوَخَّى حِمَامُ المَوْتِ أَوْسَطَ صِبْيَتِي ... فَلِلَّهِ كَيْفَ اخْتَارَ وَاسِطَةَ العِقْدِ	الطويل	٤٦
٩.	نَبِيّ يَرَى مَا لَا تَرَون، وذِكْرُه ... أَغارَ، لَعَمْري، فِي الْبِلَادِ وأَنْجدا	الطويل	٦٥
١٠.	وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَا ... كَ مُنَازِلٌ كَعْبًا وَنَهْدَا	مجزوء الكامل	١٣١
١١.	أَنتَ امرؤٌ مِنْ أَهل نَجْدٍ، وأَهْلُنا ... تِهامٌ، وَمَا النَّجْدِيّ والمتَغَوّرُ	الكامل التام	٧٩
قافية الراء..			
١٢.	تَيَمَّمْتُ يَاء الحيِّ حينَ رَأيتها ... تُضِيء كَبدرٍ طَالِع لَيلةَ البدرِ	الطويل	٣٩

م	البيت	البحر	الصفحة
قافية السين..			
١٣.	والله ما طَلعَت شَمسٌ ولا غَرَبَت ... إلَّا وَحُبُّكَ مَقْرُونٌ بِأَنْفَاسِي	البسيط	١٥٠
قافية العين..			
١٤.	الحَمْدُ لله حَمْدًا لانْقِطَاعَ لَهُ ... فَلَيْسَ إِحسَّانهُ عَنَّا بِمَقْطُوعِ	البسيط التام	٨
قافية القاف..			
١٥.	أيَّ مَحَلٍّ أرْتَقِي ... أيَّ عَظيمٍ أتّقي	مجزوء الرجز	٢٤
قافية الكاف..			
١٦.	يَا صَمِيمَ الْحَيَاةِ إنِّي وَحِيدٌ ... مُدْلِجٌ تَائهٌ فَأَيْن شُرُوقُك ؟	الخفيف	٣٦
قافية اللام..			
١٧.	ودّعْ هريرةَ إنْ الركبَ مرتحلُ ... وهلْ تطيقُ وداعاً أيها الرّجلُ؟	البسيط	١٤٠
١٨.	فإن أصبتُ فلا عُجْبٌ ولا غَرَرُ... وإن نقصتُ فإنّ الناسَ ما كملوا	البسيط	١٥٠
قافية الميم..			
١٩.	صَدَدْتِ فأطْوَلْتِ الصُّدودَ وقَلَّما... وِصالٌ على طُول الصُّدُودِ يَدُومُ	الطويل	١٢٦
٢٠.	أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ؟ ... بِحَوْمَانَةِ الدُّرَّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ	الطويل	١٤٠
قافية النون..			
٢١.	علّلاني فإنّ بِيضَ الأماني ... فَنِيَتْ والظّلامُ ليسَ بِفاني	الخفيف	٣٠
قافة الهاء..			
٢٢.	مالي وللنجم يرعاني وأرعاه... أمسى كلانا يعافُلغمضَ جفناه	البسيط التام	١٦
٢٣.	فما لِنظمِ كلامٍ أنت ناظِمُه...معنًى سوى حكْم إعرابٍ تزجّيه	البسيط التام	ج

فهرس الآثار

الأثر	الصفحة
ما اكتحل رجل بمثل ملمول الحزن	٩٥

ثَبَت المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم .

ثانيا : الكتب المطبوعة:

١- **أبنية الصرف في كتاب سيبويه**، خديجة الحديثي، الطبعة الأولى، نشر مكتبة النهضة ببغداد، ١٩٦٥م - ١٣٨٥هـ.

٢- **الإتقان في علوم القرآن** للحافظ أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة (٩١١هـ)، تحقيق مركز الدراسات القرآنية.

٣- **أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين**، الدكتور: أحمد مختار عمر الأستاذ بكلية العلوم، جامعة القاهرة، نشر عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.

٤- **أدب الكاتب**، تصنيف أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، الكوفي، المَرْوَزِيِّ الدِّيْنوريِّ، المولود بالكوفة في سنة ٢١٣، والمتوفَّى ببغداد في سنة ٢٧٦من الهجرة، حقَّقه، وضبط غريبه، وشرح أبياته، والمهمّ من مفرداته، محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار الطلائع.

٥- **أساس البلاغة**، تصنيف أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المتوفّى سنة ٥٣٨هـ، تحقيق محمد باسل عيون السود، ، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ — ١٩٩٨م

٦- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، علي بن محمد الجزري ابن الأثير عز الدين أبو الحسن، ، نشر دار ابن حزم، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٣هـ — ٢٠١٢م. (ط. ابن حزم)

٧- **أسرار العربيّة**، تأليف الإمام أبي البركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري ٥١٣ — ٥٧٧هـ، تحقيق محمد بهجة البيطار، مطبعة الترقي بدمشق، ١٣٧٧هـ — ١٩٥٧م.

٨- **أسماء الله وصفاته المعروف بالأسماء والصفات** ، تأليف الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ ، حققه وعلق عليه محمد محب الدين أبو زيد ، نشر مكتبة التوعية الإسلامية للتحقيق والنشر والبحث العلمي ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م .

٩- **الاشتقاق**، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ،تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة الطبعة الثالثة،.

١٠- **الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني**، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهظة مصر، الفجالة، القاهرة.

١١- إصلاح المنطق، ابن السكيت، تحقيق: أحمد محمد شاكر أبو الأشبال – عبد السلام محمد هارون، نشر: دار المعارف.

١٢- **الأصوات اللغوية**، إبراهيم أنيس، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٧م.

١٣- **الأصوات ووظائفها**، محمد منصف القناطي، نشر جامعة الفتح ليبيا، الطبعة الثالثة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

١٤- **الأصول في النحو**، لأبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى : ٣١٦هـ) ، تحقيق : عبدالحسين الفتلي ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، لبنان - بيروت .

١٥- **الأصول**، دراسة أبستيموليجية للفكر اللغوي عند العرب النحو . فقه اللغة ـ البلاغة ، د/ تمام حسان ، عالم الكتب ،١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م .

١٦- **الأضداد**، محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق محمد أبو الفض إبراهيم، المكتبة العصرية.

١٧- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي المتوفى سنة ١٣٩٣هـ، دار نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

١٨- **الأعلام**، خير الدين محمود بن محمد بن علي بن فارس الزِّرِكْلِي الدمشقي، المتوفى سنة ١٣٩٦هـ، نشر دار العلم للملايين.

١٩- **الأعمال الكاملة**، محمود غنيم، دار الغد العربي، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٢٠- **الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني**، المتوفى سنة ٣٥٦هـ، شرحه وكتب هوامشه الأستاذ عبدأ مهنّا. علي مهنّا، دار الكتب العلميّة.

٢١- **إكمال الإعلام بتثليث الكلام**، محمد بن عبدالله بن مالك الطائي الجياني ، أبو عبدالله ، جمال الدين ، المتوفى سنة ٦٧٢هـ تحقيق سعد بن حمدان الغامدي ، الطبعة الأولى ، نشر جامعة أم القرى –مكة المكرمة– المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .

٢٢- **الألفاظ الكتابيّة**، عبدالرحمن بن عيسى بن حماد الهمذاني المتوفّى سنة ٣٢٧هـ، تحقيق إميل بديع يعقوب ، الطبعة الأولى ، نشر دار الكتب العلمية، سنة ١٤١١هـ –١٩٩١م .

٢٣- **الألفاظ المترادفة المتقاربة المعاني**، علي بن عيسى الرماني، أبو الحسن تحقيق ودراسة فتح الله صالح علي المصري، الطبعة الأولى نشر دار الوفاء، مصر، المنصورة.

٢٤- **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**: كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى ،نشر :المكتبة العصرية، صيدا بيروت١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .

٢٥- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٧٩١هـ) تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق ومحمد أحمد الأطرش، دار الرشيد، دمشق بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.

٢٦- **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن يوسف ،أبو محمد ، جمال الدين بن هشام الأنصاري المصري، المتوفى سنة ٧٦١هـ ، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية بيروت.

٢٧- **الإيضاح في علم النحو**، تصنيف أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفّار الفارسي، المتوفّى سنة ٣٧٧هـ، تحقيق ودراسة الباحثة سارة عبد الفتّاح، دار الكتب العلمية.

٢٨- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزيَّة، تحفيق: علي بن محمد العمران، نشر: مجمع الفقه الإسلامي، جدة.

٢٩- **البرهان في علوم القرآن**، للإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، المتوفّى سنة ٧٩٤هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر مكتبة دار التراث، القاهرة.

٣٠- **البلاغة العربية في ثوبها الجديد**، علم المعاني، د. بكري شيخ أمين، الطبعة الثامنة، دار العلم للملايين،

٢٠٠٣م.

٣١- **تاج العروس من جواهر القاموس**، تأليف السيد محمد بن محمد بن عبدالرزاق مرتضى الحسيني الزبيدي، نشر دار الهداية.

٣٢- **تاريخ مدينة السلام (تاريخ بغداد)**، تأليف الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، ابن النجار، ٣٩٢-٤٦٣هـ ، تحقيق: بشار عواد معروف ، الطبعة الأولى، نشر: دار الغرب الإسلامي، سنة:١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٣٣- **تاريخ مدينة دمشق**، تأليف الإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله الشافعي المعروف بابن عساكر،٤٩٩-٥٧١ه، نشر: دار الفكر، تحقيق : مصطفى عبدالقادر عطا، نشر دار الكتب العلمية بيروت.

٣٤- **تأويل مشكل القرآن**، تأليف أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري المتوفى سنة ٢٧٦هـ، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية.

٣٥- **التبيان في إعراب القرآن**، عبدالله بن الحسين بن أبي البقاء العكبري المتوفى سنة ٦١٦هـ، تحقيق علي محمد البجاوي، نشر مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٦م.

٣٦- **التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن**، تأليف الشيخ الإمام عبد الواحد بن عبدالكريم بن خلف الأنصاري الزملكاني، المتوفى سنة ٦٥١هـ، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، الطبعة الأولى نشر مطبعة العاني ببغداد، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٤م.

٣٧- **التثقيف في اللغة العربية النظرية والتطبيق**، تأليف الأستاذ الدكتور صادق عبدالله أبو سليمان، تقديم الدكتور كمال بشر، الطبعة الخامسة، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٣.

٣٨- **تجديد النحو**، الدكتور شوقي ضيف، الطبعة السادسة، نشر دار المعارف القاهرة.

٣٩- **التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة**، الدكتور محمود عكاشة، الطبعة الأولى، دار النشر للجامعات، ١٤٣٢هـ -٢٠١١.

٤٠- **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، تأليف ابن مالك، تحقيق محمد كامل بركات، نشر دار الكاتب العربي، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م.

٤١- **التشكيل الصوتي في اللغة العربية (فونولوجيا العربيّة)**، تأليف سلمان حسن العاني، الطبعة الأولى، نشر النادي الأدبي الثقافي، جدة المملكة العربية السعودية، ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م.

٤٢- التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الدكتور الطيّب البكّوش، تقديم صالح القرمادي، الطبعة الثالثة، مطبعة جمهورية تونس العربيّة، ١٩٩٢م.

٤٣- **تفسير البحر المحيط**، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، المتوفي سنة ٧٤٥هـ ، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد وعلي معوض، نشر دار الكتب العلمية سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

٤٤- **تفسير القاسمي، المسمى محاسن التأويل للقاسمي**، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، ت ١٣٣٢هـ =١٩١٤م، صححه : محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ =١٩٥٧م،

٤٥- **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، اختصار وتحقيق، محمد علي الصاوي، دار القرآن الكريم ببيروت.

٤٦- **تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تأليف الإمام: أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، تحقيق :سيد زكريا ، مكتبة نزار مصطفي الباز، ٥٦٠/١،

٤٧- **التفسير في أحاديث التفسير**، محمد المكي الناصري، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م،

٤٨- **تهذيب اللغة**، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، المتوفى سنة ٣٧٠هـ، الطبعة الأولى، تحقيق محمّد عوض مرعب، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت، ٢٠٠١م

٤٩- **جامع الدروس العربية**، تأليف مصطفى الغلاييني، الطبعة ٣٠ نشر المكتبة العصريّة، سنة ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٥٠- **جمهرة اللغة**، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، المتوفى سنة: ٣٢١هـ، تحقيق رمزي منير بعلبكي، نشر دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٥١- **جمهرة أنساب العرب**، تأليف أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري المتوفى سنة ٤٥٦هـ، تحقيق لجنة من العلماء، الطبعة الأولى، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٥٢- **حاشية الشهاب، المسمّاة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي المتوفّى ٦٩١هـ**، لأحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي المتوفّى سنة ١٠٦٩هـ، تحقيق عبدالرزاق المهدي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م - ١٤١٧هـ.

٥٣- **الحروف**، للخليل بن أحمد الفراهيدي، ١٠٠- ١٧٥هـ، حقّقه وقدم له وعلّق عليه د. رمضان عبد التوّاب، الطبعة الأولى، مطبعة جامعة عين شمس، ١٩٦٩م -١٣٨٩هـ.

٥٤- **خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب**، تأليف عبدالقادر البغدادي، المتوفّى سنة ١٠٩٣هـ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي، سنة: ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٥٥- **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، حسن عباس، نشر اتحاد الكتب، سنة ١٩٩٨م.

٥٦- **الخصائص**، أبو الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة ٣٩٢هـ، تحقيق: محمد علي النجار، تقديم: الدكتور عبد الحكيم راضي، نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة — القاهرة، سنة الطبعة: ٢٠٠٦ م - مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م.

٥٧- **الدُّرُّ المصون، في علوم الكتاب المكنون**، تأليف شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم، المعروف بالسمين الحلبي، المتوفّى سنة ٧٥٦هـ، تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوّض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الدكتور جاد مخلوق جاد، الدكتور زكريا عبد المجيد النوتي، قدم له وقرضه الدكتور محمد صيرة، نشر دار الكتب العلمية.

٥٨- **الدر النثير والعذب النمير** (في شرح مشكلات وحل مقفلات اشتمل عليها كتاب التيسير لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، المتوفى سنة ٤٤٤ هـ)، تأليف عبد الواحد بن محمد بن علي ابن أبي السداد الأموي المالقي (المتوفى: ٧٠٥ هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد عبد الله أحمد المقرئ، نشر دار الفنون للطباعة والنشر، جدة ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م.

٥٩- **دراسات في علم اللغة**، د. كمال بشر، نشر دار غريب، القاهرة، ١٩٩٨م.

٦٠- **دراسات في فقه اللغة**، تأليف د. صبحي إبراهيم الصالح المتوفى: ١٤٠٧هـ، نشر دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م

٦١- **دراسة الصوت اللغوي**، أحمد مختار عمر، الطبعة الرابعة، نشر عالم الكتب، ٢٠٠٦م

٦٢- **دلائل الإعجاز**، تأليف الشيخ الإمام أبي بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، المتوفّى سنة ٤٧١هـ أو سنة ٤٧٤هـ، قرأه وعلّق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، نشر مكتبة الخانجي - مطبعة المدني.

٦٣- **ديوان أبو الحسن علي بن العباس بن جريج المعروف بابن الرُّومي**، المتوفى سنة ٨٩٦هـ، شرح: أحمد حسن بسج، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ — ٢٠٢م.

٦٤- **ديوان أبو القاسم الشابي**، دراسة ومختارات، رجاء النقاش، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٣م.

٦٥- **ديوان أبو عبدالله حسين بن منصور الحلّاج**، المتوفى سنة ٣٠٩هـ، جَمْعُ المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون

٦٦- **ديوان أبي فراس، همام بن غالب بن صعصعة التميمي، المعروف بالفرزدق**، المتوفى سنة ١١٤هـ، قدم له وشرحه مجيد طرّاد، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٦٧- **ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس**، المتوفى سنة ٦٢٩هـ، شرح وتعليق د. محمد حسين ، نشر مكتبة الآداب بالجماميزت.

٦٨- **ديوان حافظ إبراهيم**، المتوفّى سنة ١٩٣٢م، ضبطه وصححه وشرحه ورتّبه: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، الطبعة الثالثة، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.

٦٩- **ديوان حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي**، المتوفى بين عامي (٣٥هـ و٤٠هـ)، تحقيق عبده مهنا، الطبعة الثانية نشر دار الكتب العلمية، سنة: ١٤١٤هـ — ١٩٩٤م.

٧٠- **ديوان زهير بن أبي سلمى**، المتوفّى سنة ٦٠٩م، شرحه وقدم له د. علي حسن فاعور، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م.

٧١- **ديوان غيلان بن عقبة بن مسعود العدوي المعروف ذي الرمة**، المتوفّى سنة ١١٧هـ، تحقيق أحمد حسن بسج، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ — ١٩٩٥م.

٧٢- **الرد على النحاة**، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء القرطبي، المتوفى سنة ٥٩٢هـ، دراسة وتحقيق محمد إبراهيم البنّا، نشر دار الاعتصام، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م.

٧٣- **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، أحمد بن النور المالقي، تحقيق د. أحمد محمد الخرّاط ، نشر دار القلم دمشق، ١٤٣٤هـ.

٧٤- **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، المتوفَّى سنة ٤٣٧هـ.

٧٥- **سر الفصاحة**، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، المتوفّى ٤٦٦هـ، نشر دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢م.

٧٦- **سقط الزند**، أبو العلاء المعري، دار صادر لطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م.

٧٧- **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني أبو داود، المتوفَّى سنة ٢٥٠هـ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، نشر دار الرسالة العالمية الطبعة الأولى١٤٣٠هـ — ٢٠٠٩م.

٧٨- **شذا العرف في فن الصرف**، أحمد بن محمد الحملاوي، تحقيق ناجي عبدالعال حجازي، مكتبة الرشد، الطبعة

الثانية ١٤٢٥هـ.

٧٩- **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر مكتبة دار التراث، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٨٠- **شرح التصريح على التوضيح**، الإمام العلّامة خالد عبدالله بن أبي بكر بن محمد الأزهري، المتوفّى سنة ٩٠٥هـ، تحقيق محمد باسل عيون السود، نشر دار الكتب العلميّة بيروت. ٢٠٠٠م.

٨١- **شرح السيوطي على ألفية ابن مالك المسمى البهجة المرضية**، تأليف الإمام الحافظ جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد صالح بن أحمد الغرسي، نشر دار السلام، ٢٠٠٠م.

٨٢- **شرح ألفية ابن معط المسمى الغرّة المخفية في شرح الدرة الألفية في علم العربية**، تأليف شمس الدين أحمد بن الحسين بن الخباز، تحقيق محمد مصطفى الخطيب، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.

٨٣- **شرح الكافية في النحو**، رضي الدين الاستراباذي، المتوفى سنة ١٠٢٣هـ، مطبعة الشركة الصحافية العثمانية، ١٣١٠هـ.

٨٤- **شرح المراح في التصريف**، العلامة بدر الدين محمود بن أحمد العيني المتوفى سنة ٨٥٥هـ، تحقيق وتعليق عبدالستّار جواد، مطبعة الرشيد، ١٩٩٠م.

٨٥- **شرح المقدمة الكافية في علم الإعراب**، أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر الشهير بابن الحاجب، المتوفَّى سنة٦٤٦هـ، تحقيق جمال عبد العاطي مخيمر أحمد، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز الطبعة الأولى ١٤١٨ – ١٩٩٧.

٨٦- **شرح ديوان أحمد بن الحسين بن الحسن الجَعْفِي الكوفي، المعروف بأبي الطيّب المتنبي**، المتوفّى سنة ٣٥٤هـ، لعبد الرحمن البرقوقي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ونشر الكتب، ٢٠١٢م.

٨٧- **شرح ديوان الحماسة ديوان الحماسة**، اختيارات أبو تمام حبيب بن أوس المتوفّى سنة ٢٣١ هـ، شَرْحُ أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، المتوفى: ٥٠٢هـ، نشر دار القلم، بيروت.

٨٨- **شرح ديوان حسان بن ثابت**، عبد الرحمن البرقوقي، مراجعة: يوسف البقاعي، الطبعة الأولى، نشر: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤.

٨٩- **شرح شافية ابن الحاجب**، محمد بن الحسن الرضيّ الأستراباذي، المتوفَّى سنة ١٠٢٣هـ، حققه وشرحه كل من محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

٩٠- **شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ**، جمال الدين محمد بن مالك، تحقيق. عدنان عبد الرحمن الدوري.

٩١- **شرح قطر الندى وبل الصدى**، أبو محمد، عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، المتوفَّى سنة ٧٦١هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة ٢٠٠٤م.

٩٢- **شرح كافية ابن الحاجب**، محمد بن الحسن الرضيّ الاستراباذي، حققه حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي – يحي بشير مصطفى، الطبعة الأولى، نشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة النشر: ١٤١٧هـ – ١٩٦٦م.

٩٣- **شرح كتاب ابن جني اللمع في العربية**، تأليف أبو القاسم عمر بن ثابت الثّمانيني، المتوفَّى ٤٤٢هـ، تحقيق حامد المؤمن، دار الحرم مطبعة العاني، بغداد.

٩٤- **شرح مفصل الزمخشري لابن يعيش**، يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا، المتوفّى ٦٤٣هـ، تحقيق إميل

بديع يعقوب، نشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٩٥- **الشعر والشعراء**، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، المتوفَّى سنة ٦٤٣هـ، صححه وعلق حواشيه مصطفى أفندي السقا، الطبعة الثانية، مطبعة المعهد (المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد علي بمصر)١٣٥٠هـ، ١٩٣٣م.

٩٦- **الصاحبي في فقه آللغة العربية وسنن العرب في كلامها**، الإمام العلامة أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا من لُغوي القرن الرابع الهجري، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٩٧- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، نشر دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م.

٩٨- **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**، تأليف الإمام محمد ناصر الدين الألباني المتوفّى سنة ١٤٢٠هـ، نشر المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٩٩- **صحيح السيرة النبوية للإمام ابن كثير**، جمع محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتبة الإسلامية، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

١٠٠- **صحيح مسلم**، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفّى سنة ٢٦١هـ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٤هـ.

١٠١- **الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث**، د. تحسين عبد الرضا الوزّان، دار دجلة، بغداد.

١٠٢- **طبقات فحول الشعراء**، لمحمد بن سلّام الجمحي، المتوفى سنة٢٣١هـ، مع تمهيد للناشر الألماني جوزف هل، نشر دار الكتب العلميّة، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

١٠٣- **طبقات فحول الشعراء**، أبو عبد الله، محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي، المتوفى سنة (٢٣٢هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر الناشر، دار المدني، جدة.

١٠٤- **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، تأليف يحيى بن حمزة العلوي، نشر دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٨٠م.

١٠٥- **ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي**، د. طاهر سليمان حمودة، نشر الدار الجامعية، ١٩٩٨م.

١٠٦- **الظواهر اللغوية في التراث النحوي**، د. علي أبو المكارم، نشر دار غريب، ٢٠٠٧م.

١٠٧- **العبقرية العربية في لسانها**، زكى الأرسوزى، دمشق: مطبعة الحياة بدمشق.

١٠٨- **علم أصوات العربية**، د. محمد جواد النوري، منشورات جامعة القدس المفتوحة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

١٠٩- **علم الأصوات**، تأليف برتيل مالمبرج، ترجمة ودراسة د. عبدالصبور شاهين، نشر مكتبة الشباب.

١١٠- **علم الأصوات**، د.كمال بشر، نشر دار غريب للطباعة، ٢٠٠٠م.

١١١- **علم الصرف الصوتي**، عبد القادر عبد الجليل، نشر دار أزمنة، ١٩٩٨م.

١١٢- **علم الصوتيات**، د. عبدالعزيز أحمد علام، د. عبدالله ربيع محمود، نشر مكتبة الرشد المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

١١٣- **علم العروض والقافية**، د. عبدالعزيز عتيق، نشر دار الآفاق العربية القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-

٢٠٠٦م.

١١٤- **علم اللغة مقدمة القارئ العربي**، د . محمود السعران، دار المعارف بمصر ١٩٦٢م .

١١٥- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفّى سنة ٨٥٢هـ، دار الريان للتراث، ١٩٨٦م.

١١٦- **فتح رب البريّة شرح المقدمة الجزريَّة**، في علم التجويد، صفوت محمود سالم، دار نور المكتبات، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

١١٧- **فصول في علم الأصوات**، محمد جواد النوري، علي خليل حمد، نشر نابلس، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

١١٨- فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، نشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة.

١١٩- **فقه اللغة وخصائص العربية**، محمد المبارك، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل فى التجديد والتوليد، تأليف محمد المبارك، نشر دار الفكر.

١٢٠- **فن الإلقاء** ، تأليف طه عبدالفتاح مقلد، مكتبة مدرسة الفقاهة.

١٢١- **فوات الوفيات**، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين، المتوفى سنة: ٧٦٤هـ، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م.

١٢٢- **في الميزان الجديد**، محمد مندور، نشر مؤسسات ابن عبدالله، تونس، الطبعة الأولى.

١٢٣- **القاموس المحيط**، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: مكتب تحقيق التراث، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:٥، ١٩٩٦م.

١٢٤- **القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث**، عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي.

١٢٥- **القول السديد في علم التجويد**، القول السديد في علم التجويد، على الله بن علي أبو الوفا، نشر دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٢٦- **الكتاب**، تأليف أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المكنّى بسيبويه، تحقيق عبدالسلام هارون، الطبعة الخامسة، مكتبة الخانجي القاهرة، ١٤٣٠هـ — ٢٠٠٩م.

١٢٧- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، لأبي القاسم جار الله الزمخشري، دار المعارف بيروت.

١٢٨- **الكلّيات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)**، لأبي البقاء أيّوب بن موسى الحسيني الكفوي، المتوفّى سنة ١٠٩٤هـ، تحقيق وفهرسة د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة.

١٢٩- **الكنز في القراءات العشر**، تأليف أبو محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن على ابن المبارك التّاجر الواسطيّ المقرئ تاج الدين ويقال نجم الدين المتوفى سنة ٧٤١هـ، تحقيق د. خالد المشهداني، نشر مكتبة الثقافة الدينية — القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

١٣٠- **لسان العرب**، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري (٧١١هـ)، تحقيق عبدالله الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، نشر دار المعارف، القاهرة.

١٣١- **اللغة العربية معناها ومبناها**، تمام حسان، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٣٢- **لغتنا الجميلة، فاروق شوشة**، ط:٣، القاهرة، مكتبة مدبولي. ١٩٨٢م

١٣٣- **اللهجات العربية نشأةً وتطورًا**، د. عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ — ٢٠٠٩م.

١٣٤- **اللهجات العربية**، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثامنة، ١٩٩٢م.

١٣٥- **ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن المجيد**، أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، المعروف بالمبرد (ت ٢٨٥)، تحقيق أحمد محمد سليمان أبو رعد، نشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.

١٣٦- **المبدع في التصريف**، لأبي حيّان النحوي الأندلسي، تحقيق وشرح وتعليق د. عبدالحميد السيّد طلب، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع.

١٣٧- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، تأليف أبي الفتح عثمان بن جنّي، تحقيق علي النجدي ناصف، الدكتور عبدالفتاح إسماعيل شلبي، الطبعة الثانية. لابن جني.

١٣٨- **المحيط في اللغة**، تأليف أبو القاسم إسماعيل ابن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقاني المعروف بكافي الكفاة، والصاحب ابن عبّاد، المتوفّى سنة ٣٠٥هـ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، نشر عالم الكتب بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ -١٩٩٤ م.

١٣٩- **مختار الصحاح**، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، نشر مكتبة لبنان، ١٩٨٦

١٤٠- **المدارس النحوية المدارس النحوية**، شوقي ضيف، نشر دار المعارف، الطبعة السابعة

١٤١- **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، رمضان عبد التواب، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

١٤٢- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، شرحه محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، ط:٣.

١٤٣- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م.

١٤٤- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، تحقيق عبدالعظيم الشناوي، الطبعة الثانية، دار المعارف القاهرة.

١٤٥- **مطالع الأنوار على صحاح الآثار**، إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قرقول، تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر، ٢٠١٢م،.

١٤٦- **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الوصول** ، لحافظ بن أحمد حكمي، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، المتوفى ١٣٧٧هـ، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر، نشر دار ابن القيم — الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

١٤٧- **معاني القرآن**، تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، المتوفّى سنة ٢٠٧هـ، تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية،١٩٨٠م.

١٤٨- **معاني النحو**، فاضل صالح السامرائي، نشر جامعة بغداد، ١٩٩٠م.

١٤٩- **معجم العين**، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، ت: د. مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

١٥٠- **معجم مصطلحات علم اللغة النظري**، د. محمد علي الخولي، نشر مكتبة لبنان، ١٩٩١م.

١٥١- **معرفة الصحابة** لأبي نُعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى الأصبهاني، المتوفّى سنة ٤٣٠هـ، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، نشر دار الوطن الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ — ١٩٩٨م.

١٥٢- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، الإمام ابن هشام الأنصاري، المتوفى سنة ٧٦١هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٧م — ١٤٢٨هـ.

١٥٣- **المفردات في غريب القرآن**، الرَّاغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق : محمد سيِّد كيلاني، دار المعرفة بيروت، لبنان.

١٥٤- **المفصّل في علم العربية**، الزمخشري، تحقيق فخر صالح قدارة، نشر دار عمَّار، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ،

١٥٥- **المفضليّات، مختارات العلّامة أبي العباس المفضّل بن محمد الضبّبي**، المتوفّى سنة ١٧٨هـ، حقّق نصوصها، وشذّب شروحها، وترجم لأعلامها، ووضع فهارسها، د. عمر فاروق الطبّاع، نشر دار الأرقم بن الأرقم، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ — ١٩٩٨م.

١٥٦- **المقتضب**، أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي المعروف بالمبرد، المتوفّى سنة ٢٨٥، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، نشر عالم الكتب بيروت.

١٥٧- **مقدمة ابن خلدون**، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، المتوفى سنة ١٣٣٢هـ تحقيق عبد الله محمد الدرويش، الطبعة الأولى، نشر دار يعرب، ١٤٢٥هـ— ٢٠٠٤م.

١٥٨- **مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد**، عبد الله العلايلي، المطبعة العصرية.

١٥٩- **المكوّن الدّلالي للفعل في اللّسان العربي**، أحمد حسَّاني، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٣م.

١٦٠- **الممتع في التصريف ابن عصفور الإشبيلي**، تحقيق فخر الدين قباوة، نشر دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى١٩٨٧م.

١٦١- **من الصوت إلى النص، نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري**، مراد عبد الرحمن مبروك، ١٩٩٣م،

١٦٢- **مناهج البحث في اللغة**، د. تمام حسان، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٠م.

١٦٣- **منتهى الطلب من أشعار العرب**، محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون، المتوفّى سنة ٥٩٧هـ، ت: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

١٦٤- **المنصف**، شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي المتوفّى سنة ٣٩٢هـ، لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري المتوفّى سنة ٢٤٧هـ، تحقيق : إبراهيم مصطفى وعبدالله الأمين . الطبعة الأولى، نشر دار إحياء التراث العربي، سنة: ١٣٧٣هـ — ١٩٥٤م.

١٦٥- **منظومة الموروث لمشكل المثلَّث**، للشيخ الإمام عبدالعزيز بن عبدالواحد المغربي المكناسي، المتوفّى سنة ٩٦٤هـ، ١٥٥٧م، قرأها واعتنى بها أبو عبدالله محمد تبركان.

١٦٦- **المورد الصافي في العروض والقوافي**، د. حمادة عبد الإله حامد، دار النابغة للنشر.

١٦٧- **موسيقى الشعر**، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٥٢م.

١٦٨- **الموسيقى الكبير**، تأليف أبي نصر محمد بن طرخان الفارابي، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة و محمد الحنفي، نشر دار الكتب والوثائق القوميّة، الطبعة الأولى.

١٦٩- **النحو الوافي**، عباس حسن، نشر دار المعارف، الطبعة الخامسة، ١٩٧٥م.

١٧٠- **النشر في القراءات العشر**، تأليف، الإمام الحافظ محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي، المعروف بابن الجزري، المتوفَّى سنة ٨٣٣هـ، تحقيق علي محمد الضباع، نشر المطبعة التجارية الكبرى.

١٧١- **نظرية اللغة والجمال في النقد العربي**، د. تامر سلّوم، نشر دار الحوار، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

١٧٢- **هذا الحبيب محمد رسول الله صلّى الله عليه وسلم يا محبّ**، تأليف أبو بكر الجزائري، نشر مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

١٧٣- **الهم والحزن**، الحافظ ابن أبي الدنيا، ت: مجدي فتحي السيد، دار الإسلام، ١٩٩١م.

١٧٤- **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، للإمام جلال الدين السيوطي، ت: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، ط:١.

١٧٥- **الواضح في القواعد النحوية والأبنية الصرفية**، محسن علي عطية، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠٧ م - ١٤٢٧ هـ.

١٧٦- **الوافي بالوفيّات**، تأليف صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرناووط وتركي مصطفى نشر دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠م.

١٧٧- **الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم الكوفي**، شرح وافٍ لمتني الجزرية وتحفة الأطفال، أحمد محمد عبد السميع الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

ثالثًا: الرسائل والدوريات العلمية، والأبحاث المنشورة :

١- **أنواع الاشتقاق في العربية بين القدماء والمحدثين**، دراسة لغوية نقدية، صادق أبو سليمان، مجلة جامعة بيت لحم، العدد ١١ و١٢ سنة ١٩٩٢م -١٩٩٣م .

٢- **التحليل الصوتي للنص (بعض قصار سور القرآن الكريم أنموذجًا)**، رسالة ماجستير للباحث مهدي عناد أحمد قبها، إشراف الأستاذ الدكتور محمد جواد النوري، جامعة النجاح الوطنية كليّة الدراسات العليا، نابلس فلسطين، ٢٠١١م.

٣- **التحولات الفكرية في شعر حسَّان بن ثابت**، للدكتور أحمد عبد الرحمن الزنيبات ، والدكتور خالد فرحان البداينة . مجلة جامعة دمشق ، ٢٠١٣م .

٤- **شعر عمر بن الفارض**، دراسة أسلوبية، تأليف رمضان صادق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

٥- **ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية (رسالة ماجستير)**، عبدالكريم العبيدي، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٩م.

٦- **ظاهرة التقابل الدلالي في علم الدلالة**، د. أحمد نصيف الجنابي، مجلّة آداب المستنصريّة، العدد العاشر، ١٩٨٤م.

٧- **اللغة والخطاب الشعري (استراتيجية التناص)**، محمد مفتاح، نشر المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م.

٨- **النواسخ في شعر حسَّان بن ثابت**، دراسة نحوية وصفية إحصائية تطبيقية للباحث حسن محمد آدم ٢٠٠٤م.

المواقع الإلكترونية

١- مقال بعنوان: الحركات والسكون في لغتنا العربية: المعاني والدلالات، تاريخ: ٧/ ٧/ ١٤٤٠هـ، الرابط: 1. https://www.manhal.net/article-module-articles-action-show-id-8565.htm

٢. **دلالة الألفاظ في سياقها البياني**، مقال على موقع منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العنكبوتية، لأستاذي الدكتور: حمادة عبدالإله، رابط الموقع:
http://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=16178

٣. **مقال: الشعر، نظامه المقطعي وعروضه الرقمي، وقصيدة نثره، وسرعته**، أ. كريم مرزة الأسدي، من الشبكة العنكبوتية، بتاريخ٢٧/ ٣/ ٢٠١٩م الرابط:
http://www.arabiclanguageic.org/print_page.php?id=6082

فهرس المحتويات

مُلخَّص البحث.....أ
المقدمة.....ب
التمهيد.....١
ترجمة حسَّان بن ثابت ٢
مرثيَّات حسَّان بن ثابت لرسول الله ﷺ.....٣
الفصل الأول.....٩
الظواهر الصوتية ودلالتها في المرثيَّات.....٩
المبحث الأول.....١٠
الأصوات ودلالاتها ١٠
المطلب الأول ١١
الصوامت ودلالاتها ١١
الجهر والهمس.....١١
الشدَّة والرخاوة والتوسّط ١٧
التفخيم والترقيق.....٢٢
المطلب الثاني ٣١
الصوائت ودلالاتها.....٣١
المبحث الثاني ٤٢
المقاطع والنبر ودلالاتهما.....٤٢
المطلب الأول ٤٣
المقاطع الصوتيَّة ودلالاتها.....٤٣
المطلب الثاني ٥٣
النبر ودلالاته.....٥٣
الفصل الثاني.....٦١
الظواهر الصرفية ودلالاتها في المرثيَّات ٦١
المبحث الأول.....٦٢

أبنية الأفعال ودلالاتها..... ٦٢
المطلب الأول ٦٣
أبنية الأفعال المجرّدة ودلالاتها..... ٦٣
أولًا: باب (فَعَلَ)..... ٦٣
ثانيًا: باب (فَعِلَ)..... ٧١
ثالثًا: باب (فَعُلَ) ٧٣
المطلب الثاني ٧٤
أبنية الأفعال المزيدة ودلالاتها..... ٧٤
أوّلًا: الثلاثي المزيد بحرف واحد..... ٧٤
ثانيًا: الثلاثي المزيد بحرفين ٨٠
ثالثًا: الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف ٨٢
المبحث الثاني ٨٥
أبنية الأسماء ودلالاتها ٨٥
المطلب الأوّل ٨٦
الأسماء الجامدة ودلالاتها ٨٦
أولًا: أسماء الذوات ٨٨
ثانيًا: أسماء المعاني (المصادر)..... ٩٤
المطلب الثاني ٩٩
أبنية المشتقّات ودلالاتها..... ٩٩
اسم الفاعل ودلالاته..... ٩٩
اسم المفعول ودلالاته ١٠٣
صيغ المبالغة ودلالاتها..... ١٠٥
الصفة المشبهة ودلالاتها..... ١٠٦
أسماء التفضيل ودلالاتها..... ١٠٨
اسما الزمان والمكان ودلالاتها..... ١٠٨
المطلب الثالث ١١٠
العدد ودلالاته ١١٠
الإفراد والتثنية: ١١٠

الجموع: ١١١
أولا: جموع التكسير ودلالاتها ١١١
الجموع السالمة ودلالاتها ١١٢
الفصل الثالث ١١٤
الظواهر التركيبيَّة والدلاليَّة في المرثيَّات ١١٤
المبحث الأول ١١٥
أنماط الجملة ودلالاتها ١١٥
المطلب الأول ١١٦
الجمل المستطيلة: ١١٦
المطلب الثاني ١١٩
الجمل المنسوخة ١١٩
المطلب الثالث ١٢٣
الجمل المنفية ١٢٣
المطلب الرابع ١٢٦
الرتبة ١٢٦
المطلب الخامس ١٣١
الحذف ١٣١
المبحث الثاني ١٣٨
التركيب الإنشائي ١٣٨
المطلب الأول ١٣٩
أسلوب الاستفهام ١٣٩
المطلب الثاني ١٤٢
أسلوب النداء ١٤٢
المبحث الثَّالث ١٤٤
الظَّواهر الدِّلَالِيَّة ١٤٤
المطلب الأوّل ١٤٥
الترادف ١٤٥
المطلب الثاني ١٤٩

التقابل الدلالي ١٤٩
الملحق..... ١٥٢
جدول الأفعال في المرثيَّات..... ١٥٣
جدول الأسماء في المرثيَّات ١٦٢
الخاتمة..... ١٧٨
فهرس الآيات القرآنية..... ١٧٩
فهرس الأحاديث..... ١٨٢
فهرس الآثار ١٨٤
فهرس الأبيات الشعرية..... ١٨٢
ثَبَت المصادر والمراجع..... ١٨٤
فهرس المحتويات ١٩٦
الملخص باللغة الإنجليزية ٢٠٠

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الملخص باللغة الإنجليزية

Abstract:

This study is about the most important linguistic phenomena in the lamentations poems of Hassan ibn Thabit and their impact on semantics.

The study began with an introduction that contains a definition of the study، its objectives such as; to discover what are within the literary text of linguistic proficiency، methodology and previous studies، and then a preface of Hassan ibn Thabit and his lamentations poems.

The study divided into three chapters: The first chapter included sound phenomena in lamentations poetry: and it includes two sections، the first is about the silences، sounds and their semantics، and the second is about tones and syllables.

The second chapter on the grammatical phenomena and their semantics in the lamentations poetry، and it contains two sections: the first is about verb structure and its semantics، and the second is about nouns and its semantics.

Chapter three is titled structural and semantic phenomena in the lamentations poetry، and it has been divided into three sections، the first one is about sentence and its semantics، and the second is the syntactic structure and composition of the sentence and the third is the semantic phenomena in the lamentations poetry.

The study concluded with findings and recommendations: the most important of them is: combined of Linguistic، syntactic، and semantic linguistic phenomena contributed to the structure and strengthening of the text.

At the end of the study came the list of sources and references.

Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of Education
Jazan University
College of Arts and Humanities

Linguistic phenomena in Hassan ibn Thabet poem to the prophet Mohamed peace be upon him

Letter of introduction for a master's degree in Arabic language and literature

preparation
Student: Maryam Ghamdhan Ali Jali

supervision
Dr :Hamada Abdulelah hamed
(Grammar and Professor Assistant offers section)

University year
1440 - 2019